

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الكتابة التاريخية عند الفرق الإسلامية بين القرنين
الأول و السابع الهجريين (7 - 13م)

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم: تخصص تاريخ وسيط

إشراف

بلعربي خالد

إعداد الطالب :

الأستاذ الدكتور

شعلال سماعيل

لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عسال نور الدين
مشرفا ومقررا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. خالد بلعربي
عضوا مناقش	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر-أ-	د. قاسمي بختاوي
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. مقنوني شعيب
عضوا مناقش	جامعة تيارت	أستاذ محاضر-أ-	د. علي محمد
عضوا مناق	جامعة الشلف	أستاذة محاضرة-أ-	د. بوكريدي نعيمة

السنة الجامعية : 1442-1443 هـ / 2020-2021م



شكر وتقدير

أتوجّه بالشكر والحمد والثناء للمولى عزّ وجلّ على كريم لطفه ومنّه

بإنجاز هذه الرسالة؛.

مع مشاعر الاحترام والتقدير إلى الوالدين العزيزين.

والشكر موصول إلى أساتذتي الأكارم، مع خصوصه إلى الأستاذ

المشرف البروفيسور بلعربي خالد، على قبوله الإشراف على هذه

الرسالة، وهذا رغم المشاغل والمهام الموكلة إليه، فلم يبخل عليّ بكريم

أخلاقه وبتسهيلاته وتجربته وتصويباته القيّمة، وإرشاداته مع التوجيه

العلمي والحثّ والتحفيز على إتمام وإتقان الموضوع.

والشكر موصول لأعضاء اللجنة الموقّرة المناقشة لهذه الرسالة.

وأن يحسن الله عزّ وجلّ جزاء كل من ساهم من قريب أو من بعيد في

هذا العمل العلمي.

الإهداء

❁ إلى روح سيّدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلّم صاحب المقام
المحمود والحوض المورد والشفاعة العظمى، وسادتنا الأنبياء والملائكة
والآل والأصحاب والأتباع وسلّم تسليمًا.

إلى الوالدين العزيزين أدام الله علينا نعمة وعبادة النظر إلى وجهيهما.
إلى الصالحين والعلماء العاملين الربّانيين وكل طالب علم.

إلى أرواح أجدادي الطواهر.
إلى الشهداء الأبرار، فخر الدين والوطن.

إلى كل راعٍ أمين على رعيّته.
إلى الأستاذ المشرف كفله الله بالعناية.
إلى أستاذتي وأمّي سعدو التالية رحمها الله.
إلى إخوتي من النسب، وعائلي أعماما وأخوالا.

إلى كل من عرفتهم وأحببتهم وأحبوني في ذات الله تعالى.
إلى كلّ المحبّين في أهل العلم من غير المتعلّمين.
إلى المذكورين آنفا أهدي زهر هذا المنجّر العلمي المتواضع.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم وبارك على نبينا الكريم سيدنا محمد وعلى إخوانه وآله وصحبه والتابعين وسلم تسليما كثيرا.

إنَّ التأريخ للفرق الإسلامية يكتسي نوعا من الخصوصية والاستثناء في حياة المسلمين عموما، سيما في القرون الأولى وما عرفته هذه الحقب من ظهور لهذه الفرق المختلفة من ناحية المشارب والمآرب، وانعكاس ذلك على أهل القرون المتوالية، حيث لم يخلو عصر من تداعيات الافتراق الذي أصاب الأمة الإسلامية منذ عصرها الأول إثر وفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبرز ذلك جليا في آخر عهد الخلافة الراشدة.

كان السواد الأعظم من المسلمين من أهل السنة والجماعة، وبرزت إلى الوجود فرق أخرى منها الشيعة والخوارج، وهاتين الفرقتين الأخيرتين عمَلتا على نشر معتقداتهما ومقاليتهما وأفكارهما ومحاولة إقناع العامة بشتى الطرق للاعتراف بها وتصحيح مذهبيهما، وعمدت في ذلك إلى تأويل نصوص القرآن الكريم، ووضع الحديث النبوي الشريف، واختلاق الأسانيد والرواة، وقد شمل ذلك العلوم العقلية كعلوم الكتاب، والسنة، والفقه، والتاريخ، وغيرها. وقد تعرّض هذا الأخير لكثير من محاولات التبديل والتغيير من هذه الفرق تعصبا لمذاهبهم، فأدى بهم ذلك إلى محاولة العبث بنصوص الوحي الشريف من كتاب وسنة، وتوظيف ذلك في تزيف الوقائع بدءا بسيرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، ثم الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم من بعده فما يليهم؛ لكن الله قيض لهذا الدين والعلم والتاريخ من يحميه من التأويل الفاسد والتحريف والغلو، من الجهابذة الذين جمعوا بين علوم الشريعة والجرح والتعديل والتاريخ، وأعانهم على ذلك الفهم الذي استنارت به بصائرهم على أن يردّوا على هذه الفرق المدّعية، والتي كادت أن تُفسد على المسلمين دينهم وتاريخهم.

وارتكزت هذه الفرق على مجموعة من المرجعيات قد يكون بعضها ضاربا في التاريخ مستمدا من الأمم الخالية خاصة من ناحية المعتقدات وما أنجر عنها إثر اعتناقها من معادة لأهل السنة والجماعة التي أخذت عن الأصول الصحيحة رواية ودراية وصارت على طريقة

أهل الحقّ وعلى المَحَجَّة البيضاء التي تركهم عليها صاحب الهدى والهدى السراج المنير صلوات ربي وسلامه عليه، واستطاعوا بحججهم وبراهينهم إن يردّوا على هذه الفرق ويكشفوا عن تناقضهم بما لا يجعل مجالا للشك أو الجدل لمن كان له ادني عقل.

لهذا كانت هذه الرسالة موجهة للبحث في هذا المجال المهمّ والحساس في الآن نفسه المتعلق بالفرق الإسلامية وما يشوبه من التباس خاصّة في كتابات المتأخّرين من المؤرخين للموضوع، وعليه فلا يزال البحث في مثل هذه الدراسات أمراً ضرورياً ومُلحاً نظراً لما تتطوّر عليه من التفرّد للدفاع عن الحقائق العلمية التاريخية التي طالما حاول مُخالفها صياغتها وَفَقَ أهوائهم ولا يزالون، شريطة أن يلتزم الباحث فيه بالموضوعية قدر الإمكان، وأن يَعْلَمَ جازماً أن مثل هذه المواضيع لا يمكن رَمَقُها بعين البحث إلا بمراقبة العلوم المساعدة وعلى رأسها علوم الشريعة، والسّير واللّغة، والأنساب، والجرح والتعديل، وغيرها، وليس كل سِفْرِ وكتاب يوجد به البغية من عنوانه بل على الباحث أن يتحرّى طريقة أهل الحقّ في مثل هذه الكتابات حتى لا تَرْلَ قَدَمُهُ فيكتب بيمينه ما لا يعقله خَلْدُهُ، وعليه مشاورّة أهل الاختصاص بمختلف أصنافهم في العلوم المذكورة آنفاً.

وبمناسبة ذكر أهل الاختصاص فلقد كان مشروع هذه الأطروحة يحمل عنواناً آخر مع بقاء التّصوّر نفسه للموضوع، ولكن مَنََّ الله علينا بالبروفيسور "خالد بالعربي" الذي لم يألوا جهداً في النّصح والتوجيه والإرشاد للوصول إلى عنوان الرسالة وفحواها، فانضبط بذلك زمام البحث فجاءت موسومة بالعنوان التالي: "الكتابة التاريخية عند الفرق الإسلامية ما بين القرنين 1-7 الهجريين 7-13 الميلاديين"، ويتضح جلياً موضوع الرسالة وإطارها الزماني المبتدئ من القرن الأول الهجري وهو زمن ظهور دعوة الإسلام بمبعث خير الأنام سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف كان الرّعيّل الأول يتلقّى تعاليم هذا الدين، ويعايش سُنّة سيّدنا النّبِيّ صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وتقريراً، وكانوا النّاقلين الحقيقيين لسيرته صلى الله عليه وسلم إلى الأجيال التالية لهم من التابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم، فكانوا بذلك

أوائل المسندين والمؤرخين، وتمتد الحقبة الزمنية لغاية القرن السابع وقد تتعداه في بعض الإشارات المهمة من باب الاستدلال والبرهان والتحليل والإسقاط. وأما الإطار المكاني فيقاس بانتشار دعوة الإسلام ومنهج أهل السنة والجماعة من جهة، وتفرّق أصحاب الفرق والحاملين لمذاهبها شرقاً وغرباً.

ليس بالجديد البحث في موضوع الفرق ولكن وَجْهَ الجِدَّةِ في هذه الدراسة هو جمع المادة العلمية المتناثرة هنا وهناك بين طيّات المصادر والمراجع التي تُقرُنُ بين ما كان يحمله أصحاب هذه المذاهب والفرق من المعتقدات، وما كان يدور بينها من تأويل للنصوص والأحداث وأثر ذلك على كتابة التاريخ عند هذه الفرق، وكذلك النظر في الأصول التي اعتمدتها كبرى الفرق الإسلامية في تأليف تواريخها، وعرضها على آراء المحقّقين المُتقدِّمين في هذا الفنّ المشهود لهم بالدين والعلم والأمانة وطول الباع والرئاسة والتمكّن وحسن الخلق.

ومن الدراسات السابقة للموضوع كتاب الدكتور إبراهيم بيضون المعنون بـ: "مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية" طبعة دار المؤرخ العربي بيروت لسنة 1416هـ/1995م يتحدث فيه صاحبه عن انبثاق التاريخ عن علم الحديث النبوي الشريف، ويشير إلى الكتابات الأولى للمسلمين في هذا الميدان، وكذلك نشأة المدارس التاريخية، وذكر لكبار المحدثين والأخباريين والمؤرخين، ومناهج بعض الفرق في كتابة التاريخ كالشيعة والخوارج وفق آرائهم في مسائل كبرى ومصيرية عند المسلمين كالإمامة، وتأويلهم لنصوص الوحي الشريف. مع إبراز لأراء أهل السنة والجماعة ومؤلفاتهم، خاصة الجامعين بين مختلف العلوم، والدراسة عميقة النفع لولا إهماله الصلاة على سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والترضيّ على ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم بالمقدمة. وكذلك كثرة الأحكام التي أطلقها الكاتب على شتى المسائل ولم يُشير إلى المصادر التي أخذ منها أحكامه تلك، واستشهاده بأقوال بعض المستشرقين في عملية النّقد التي تتخلّل الدراسة.

وفي دراسة أخرى للدكتور عبد العزيز الدوري وجاءت بعنوان: "نشأة علم التاريخ عند العرب" يتحدث في كتابه هذا عن نشأة علم التاريخ عند المسلمين ويرجع ذلك إلى ما قبل الإسلام متجليةً في الكتابات القديمة التي تصف مختلف المجالات والأعمال، واضطلاع العرب بعد قدوم الإسلام بعلم التاريخ والتدوين بدايةً بسيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المقرونة بأحاديثه الشريفة، وكان العاكفون على ذلك من المحدثين وكتاب السير الذين أَرخُوا لعصر الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام من ساداتنا الصحابة وأبنائهم رضي الله عنهم، واستمرار ذلك طبقة عن طبقة إلى كبار الإخباريين والمؤرخين. وأورد في كتابه هذا نماذج من كبار المُنْشِغِلِينَ بعلم التاريخ من أهل السنة والجماعة، والمدارس التي كانوا ينتمون إليها كمدرستي المدينة المنورة، والعراق، مع إعطاء نماذج لرواياتهم التاريخية التي لا تخلوا من الإسناد. مع إيراد لبعض المؤرخين من الفرق الأخرى كاليقوي، ويختتم بعد أن يورد إعلام المؤرخين و أشهر تواريخهم المعروفين بها، يختم دراسته هذه بذكر إمام المفسرين و شيخ المؤرخين الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله، ويُعرِّف بكتابه المانع النافع "تاريخ الرسل والملوك"، والإشارة إلى اتصال سند الروايات المذكورة فيه. والكتاب في عُمومه يتحدث عن نشأة ورسوخ علم التاريخ عند المسلمين، سيما منهم أهل السنة والجماعة. طبعة مركز زايد للتراث والتاريخ 1420هـ/2000م.

ومن الدراسات أيضا نجد كتاب: "التاريخ العربي والمؤرخين" لصاحبه شاعر مصطفى وهو عبارة عن دراسة حول مراحل ظهور علم التاريخ عند العرب مع تتبع لمسيرته في القرون الوسيطة للمسلمين وتخلله من بعض الطوائر كالكتابات التي أسقطت السند من الرواية؛ وبالتالي فقدت هذه التواريخ صلتها بعلم الحديث النبوي الشريف و يشير الكاتب أيضا إلى تدخل عامل الانتماء المذهبي والسياسي وتأثيره على الكتابات التاريخية، ويوجه إشارته إلى الإمام الطبري في تاريخه وحفاظه على السند و الرواية، وينتقد في الآن نفسه

المسعودي ويعتبره أبرز ممثل للطريقة التاريخية اللاسندية، ويتحدث عن استمرار بعض المؤرخين المُحدثين في ذكر السند عند إيرادهم الخبر كابن عساكر في تاريخ دمشق، والخطيب البغدادي في تاريخه، و تاريخ حلب لابن العديم، وغيرهم. ويشير في كتابه أيضا إلى المدارس التاريخية المختلفة، كمدرسة المدينة المنورة ، والعراق، والشام، ومصر، واليمن وحتى الفارسية، والمسيحية ، ويصل بالكتاب إلى عهود متأخرة من التاريخ الإسلامي فيتحدث عن العهد المملوكي، والمغولي، والتركمانى مبرزاً مناهج التأليف التاريخي وأهم المؤرخين في كل عصر. وجاء الكتاب في أجزاء ثلاثة. طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى 1978م، والثالثة 1983م.

ومن الدراسات الإستشراقية كتاب المستشرق الانجليزي (دافيد صموئيل مرغليون" David Samuel Margolion 1856 - 1940) في كتابه "دراسات عن المؤرخين العرب" طبعة دار الثقافة، بيروت، ترجمة الدكتور حسين نصار، كلية الآداب جامعة القاهرة. وكعادة المستشرقين يكتبون في مواضيع شديدة الحساسية دون ضبط لما يقولونه وما يطلقونه من أحكام سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد، كوصف إيقاف الخليفة الراشد سيّدنا عمر بن عبد العزيز لسبب أمير المؤمنين سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالموقف العاطفي، وفي موضع آخر يشير إلى الاختلاف بين ابن إسحاق صاحب السيرة، والإمام الشافعي في تحديد ترتيب السور الكريمة التي نزلت على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويقول شكّ ابن إسحاق في ذلك، ويتجاهل بذلك مبدءاً مهماً عند المسلمين أن هذا النوع من الاختلاف يُرجع فيه إلى المحقّقين من العلماء والأسس التي اعتمدها في مثل هذا الترتيب، مع التنويه بأنّ سيرة ابن إسحاق رواها وهذبها ابن هشام روايةً عن شيخه وتلميذ ابن إسحاق الإمام المحقّق البكائي، وتعقّب الإمام ابن هشام سيرة ابن إسحاق بالتحقيق والتحريض والتعليق، فاختصر وحذف وأضاف روايات و أخباراً وقف عليها. وكما قيل: "الفضل للمبتدئ ولو أحسن المقتدي". ويتطرّق "مرغليون" في كتابه هذا إلى ذكر التاريخ الجاهلي،

وبواكير التاريخ العربي، ويتدرج في ذكر المؤرخين البارزين في رأيه لكل قرن إلى أن يصل إلى القرن الثامن الهجري، ونقف عند مثالين في هذه الدراسة ألا وهما: الأول: اليعقوبي حيث يقول عنه دون الإشارة إلى تشييعه أنه كان عظيم الإعجاب بسيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعميق الاهتمام بالأئمة من أبنائه، ولا ينسب المستشرق مرغليون اليعقوبي إلى التشييع بل ينسبه إلى الاعتزال، وقد فصل علماءنا المحققون في هذه المسألة أنه في حقبة معينة اجتمع الرافضة والمعتزلة في قول واحد حول مسائل في العقيدة فكان أهل الجرح والتعديل لايفرقون بين الوصفين تبعا لهذا فيقولون «...وكان رافضيا معتزليا...» وكتبهم مليئة بمثل هذا والمثال الثاني: حديث مرغليون عن ابن خلدون فيبالغ في مدح الرجل وتوثيق رواياته -مع ما لابن خلدون من مكانه رحمه الله- ليصل بعد ذلك إلى أن يقرّ بينه وبين "أرسطو"، وكأنّ ابن خلدون استقي نظرياته في السياسة وفي علم العمران البشري من تجربة أرسطو، ويقول عن مؤلفات ابن خلدون "الفكرة شبيهة شبا عجيبا بفكرة أرسطو" ليخلص بذلك إلى فكرة فلسفة التاريخ التي تجمع بينهما في نظره، أو بالأحرى التي أخذها ابن خلدون عن أرسطو. هذا ما وقفت عليه من دراسات سابقة ذات الصلة بموضوع الرسالة التي بين أيديكم.

صفة البحث في تاريخ الفرق الإسلامية على جانب من الأهمية والخطورة، إذ لا يمكن بأيّ حال من الأحوال إهمال التأريخ لهذا الجانب من ماضي المسلمين والذي تجاذبته كثير من الأحداث و المقالات والأقلام، وانعكس ذلك على واقعنا المعيش من خلال تأثر المتأخرين بمناهج المتقدمين في كل مجال، وهذا واحد من الميادين التي ألقت بظلالها على مجتمعاتنا التي نعيش فيها، سيما منها ما يُعرف بالمرجعية التاريخية لكل من كتب في هذا الضرب من المواضيع. وكذلك فإن إبراز المناهج العامة التي اعتمدتها الفرق في كتابة التاريخ وروايته هو أبرز للمنهج الحق الذي سار عليه سواد الأمة الأعظم والذي يعتبر إتباعه والتمسك به هو الأصل والمحنة في قوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالسواد

الأعظم". لذلك فإن التطرق لهذه المناهج وأصحابها والبرهنة عليها من حيث الصحة والسقم شيء بالغ الأهمية، وهو في الحقيقة نوع من الحماية لجناح الدين لتعلّق الموضوع بالنُصوص الشريفة وبالركائز والأساطين التي بُنيَ عليها تراث المسلمين الصحيح المؤسّس والمقعدُ بدءًا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسادتنا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ولا يستطيع أي خائن لبحر هذا النوع من البحث من أن يأخذ بزمامه دون التسليم لهذه الحقيقة العلمية، ولا يستطيع أيضا كل باحث موصوف بالموضوعية أن يلقي وراء ظهره كل الحجج والبراهين النّقلية والعقلية التي تركها الأولون واستند عليها المحقّقون طوال قرون من الزمان، والسير عكس هذا المنهج هو الخبال والاعتلال ومجانبة صادق الروايات والأقوال؛ وعليه تتجلى أهمية الموضوع ويتجلّى معها دوافع اختياره، وإنّه ضرورة علمية جامحة للبحث والتقصّي، وفتح الباب أمام واحد من أكثر الموضوعات إثارة للاستفهام الذي لا يتحمّل التأخير في الإجابة عنه في كل عصر من العصور وهذا النوع من الدراسات مستمر باستمرار حركة الفلك ودبيب الإنسان على وجه البسيطة.

لكل دراسة وبحث تساؤل جوهري، والذي يبقى الهدف منه هو الإجابة عليه وعلى ما يتشعب عنه من أسئلة فرعية مُكمّلة لمجموعة الاستفهامات التي حتما ستُطرح في أيّ بحث من هذا النوع، وهي بمثابة الحافز الذي يدفع القارئ إلى فحص الدراسة للتعرف على الإجابات العلمية، والحجج والبراهين المقدّمة في سياق إثبات أو نفي ما يدور حول الموضوع من إشكال، مع التزام الدقّة والتحريّ بطرح إشكالية البحث والإجابة عليها فكانت كالاتي: ما حقيقة أصل المناهج التي اعتمدتها الفرق الإسلامية في تأليف تواريخها، والكتابة في هذا الفن من فنون العلم؟ هذا السؤال العام وهذه الإشكالية تحتاج إلى تفصيل في فكّ جوانبها لذلك تُطرح على إثرها مجموعة من التساؤلات لهذا الغرض منها: ماذا كان حال العالم والعرب قبل ظهور الإسلام ومن ثمّ ظهور الإسلام والفرق بين المسلمين؟ وهل كان لذلك اثر

في نقل الخبر وتداوله بينها؟ وما حقيقة القول بأن ظهور الإسلام وطريقة المسلمين الأوائل هي التي أصبغت على التاريخ الصبغة العلمية؟ وماذا نعني بالفرق الإسلامية، وهل هي شيء حميد أم ذميم في مجتمع المسلمين؟ ومن هم أهل السنة والجماعة وما هو منهجهم في كتابة التاريخ؟ وما هي فرقة الشيعة وأصولها التي اعتمدتها في تدوين التاريخ؟ ومن هم الخوارج وما هي مرتكزاتهم التي ارتكزوا عليها في رواية وتوصيف الأحداث التاريخية؟ وكيف تعاملت كل فرقة من هذه الفرق مع الضوابط العامة للرواية التاريخية، وعلى رأسها نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة والآثار؟

ونظرا لطبيعة الموضوع التاريخية المتعلقة بدراسة الفرق الإسلامية والتاريخ لها؛ فقد تمّ إتباع مجموعة من المناهج بدايةً بالمنهج التاريخي الوصفي، يضاف إليه المنهج الإحصائي، والمنهج المقارن، ويتخلّل هذه الدراسة أيضا المنهج التحليلي، فبالنسبة لتمهيد الموضوع استعمل المنهج التاريخي الوصفي مع المنهج المقارن وهذا وصفا للفرق وإحصاء لها أو بشكل أدقّ إحصاء لكبرى الفرق الإسلامية وما تفرّع عنها من فرق أخرى، وأما الفصل الأول فقد استخدم المنهج التاريخي الوصفي، حيث تمّ وصف مجموعة الأحداث والوقائع المتعلقة بالتطور الحضاري للشعوب القديمة، سيما منها الشعب العربي وبالتالي تطور حركة علومها والتي ينضوي تحتها علم التاريخ، والتدوين التاريخي. والفصل الثاني أتبع المنهج التاريخي الوصفي مع النهج الإحصائي أيضا وهذا تبياناً لمكانة التاريخ عند المسلمين وظهوره، وكمية المؤلفات التي ألفها المسلمون في القرون الأولى، وإحصاء أهم النماذج في التأليف التاريخي. والفصل الثالث استعمل فيه المنهج التاريخي الوصفي لتوصيف أهل السنة والجماعة مع المنهج التحليلي لتحليل بعض المواقف ذات الأثر والراسخة في ذاكرة الأمة الإسلامية، خاصة ما تعلّق بالمُسندين الأوائل والمحدثين والمؤرخين من ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم، والأجيال التي أعقبت الرعيل الأول من مدرسة النبوة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم. والفصل الرابع تم استخدام المنهج التاريخي الوصفي يصبحه المنهج

المقارن في مقارنة فهم السواد الأعظم للنصوص والحكم على الأحداث، والوقائع مع نظرة وحكم وتأويل الفرق لهذه النصوص والأحداث، كما أن الفصل به تحليل كبرى المواقف التي كانت سببا في اختلاف الأقوال والآراء والمعتقد وما نجم عنها من حركة مسّت السّفَر والبشر.

لإنجاز هذه الدراسة تم اعتماد مادتها العلمية من المصادر والمراجع التي خطتها أنامل العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء واللغويين والإخباريين والمؤرخين، مع تنوّع المدارس التي كانوا ينتمون إليها وكلّ له خصوصيته التي امتاز بها، مع مراعاة المرجعية التي تمثلها، والتي تتضح من خلال عنوان الكتاب وفحواه، ولعلّ تعدّد علوم هذه المصنّفات خدم بشكل كبير الهدف العام من الدراسة، أو ما يُعرف بالعلوم المساعدة التي يحتاجها الباحث في هذا النوع من المواضيع والتي لامناص من استعمالها، لأنّ الكلام عن الفرق والتورّيح لها يتطلب إماما بهذه العناوين التي تُوقِفُ القارئ على حقيقة الافتراق الذي حدث بين المسلمين وأيضا حقيقة مُنَبّت كل فرقة وما آلت إليه مُعتقدا وخُلدا وعددا وبلدا، ومن أهم هذه المواد التي حملتها طيات الكتب:

1_ كتب الحديث النبوي الشريف: وعلى رأسها كتب الصّاح، صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت 869/256م)، وصحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت 261هـ/874م)، قال العلماء عن صحيح البخاري انه اصح كتاب بعد كتاب الله عزّ وجلّ لأن صاحبه وتلميذه الإمام مسلم كان أمير المؤمنين في الحديث النبوي الشريف وهي أعلى درجة يبلغها الراوي لأحاديث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أفدت كثيرا من هاذين السّفرين وما كان على شاكلتهما من كتب الأحاديث الشريفة كالسُنن والجوامع والمعاجم والمصنّفات، حيث استعملت في شرح الآيات الكريمات، والتدليل على معتقدات الفرق وأفكارها ومرافقها والأحداث التي طالبتها بقول سيد المؤرخين في ذلك صلوات ربي وسلم عليه. وهي بالغة الأهمية في مثل هذه المواضيع، إذ لا

يخلو التدليل والاحتجاج والبرهنة من أقوال الصادق المصدق، إذ أن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم حدث بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وتحدث عن الفرق وما تحدثه بعد وفاته وكان كما قال صلى الله عليه وسلم، وأصحاب هذه الكتب هم من أعلم الناس بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته رواية ودراية.

2- كتب السيرة النبوية والشمائل والموالد: وهي مدونات على جانب كبير من القيمة والنفاسة لتعلقها بالجناب الأعظم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لولاه لم يكن يعرف للمسلمين تاريخ أصلا، فاهتمت هذه الكتب بذكر سيرته صلى الله عليه وسلم وشمائله أي صفاته الخلقية الخلقية، وهي أولى المؤلفات في التاريخ عند المسلمين بدءا بمغازي سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها السيرة النبوية الشريفة لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبى المدني (ت 151هـ/م)، وهذه السيرة هذبها وحققها الإمام عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (ت 213 أو 218هـ/م) وقد رواها عن شيخه وتلميذ ابن إسحاق الشيخ البكائي رحمهم الله. ومن كتب السير أيضا نجد السيرة النبوية الشريفة لموسى بن عقبة ويعرف بكتاب "المغازي" (ت 141هـ/م)، قال عنه الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: "عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي" رحمه الله.

ويُنضم إلى هذه المؤلفات كتاب "الشمائل النبوية" للإمام الترمذي (ت 279هـ/892م)، ومختصر الشمائل النبوية" للإمام البيهقي (ت 458هـ/1065م) يُضاف في هذه المصنفات ما تعلق بموطن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم "تاريخ مكة المكرمة" أو "تاريخ بيت الله الحرام"، و"تاريخ مهاجرة المدينة المنورة" وكلا المؤلفين لابن زبالة (ت 199هـ/814م).

وكتب الموالد الشريفة "الشفاء بتعريف حقوق سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم" للقاضي عياض (ت 544هـ/1149م) من خير الكتب التي عرفت بحقوق سيدنا المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، فقد أحاط الكتاب بصفاته، وما يجب له من حقوق، وأبو الخطاب ابن دحية الكلبي (ت 633هـ/1167/1168م) وابنه أبو القاسم (ت

677هـ/1181م) فآلف كتاب "الدّر المنتظم في مولد سيّدنا النّبِيّ المعظّم" صلى الله عليه وسلّم، وقد آلف الشيخ الأكبر محمّد بن علي محيي الدّين بن عربي (ت 638هـ/1249م) مؤلّفاً في المولد النّبوي الشريف يُعرف "بمولد ابن عربي". ومن العلماء والحفّاظ الذين صنّفوا في الاحتفال بالمولد النّبوي الشريف الحافظ ابن كثير، وقد أفرد جزءاً لمولده صلى الله عليه وسلّم في كتابه البداية والنهاية. والإمام الحافظ محمّد بن أبي بكر عبد الله القيسي الدمشقي المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي (ت 842هـ/1438م)، صاحب "جامع الآثار في مولد النبي المختار"، و"مورد الصادي في مولد الهادي" صلى الله عليه وسلّم.

3_ كتب تفسير القرآن الكريم: والتي لا مناص من الاستعانة بها وهي على قدر كبير من الفائدة، كيف لا؟ وهي ثمار اجتهاد علماء الأُمّة من السلف الصالح أصحاب القرون الخيرية في هذا العلم الجليل الشريف المتعلّق بكتاب الله عزّ وجلّ، الذي فيه أحكام المسلمين و أخبار الأُمم الخالية، ونبأ القرون الباقية، وفيه حجّة على أهل الفرق في تأويلاتهم التي حاولوا من خلالها تصحيح مناهجهم، وتصحيح ما كتبوه من تاريخ تبعاً لهذه التأويلات. وعلى راس هذه التفاسير كتاب: "جامع البيان في تفسير آية القرآن الكريم" للإمام الجليل سيّد المفسرين وشيخ المؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله (ت 310هـ/923م) وتفسير الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (ت 803هـ/1400م)، وتفسير الإمام ابن عطية (ت 541هـ/1146م)، المعروف "بالمُحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" وتفسير الإمام محمد الفخر الرازي (ت 604هـ / 1207م)، والشهير تفسيره بـ"التفسير الكبير" و"مفاتيح الغيب" وتفسير الشيخ الامام أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي المالكي الجزائري (ت 875هـ) المسمّى تفسيره "بالجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم".

4_ كتب الفرق وعلم الكلام: ومن الكتب والمصادر ذات الصلة المباشرة بالموضوع، والتي ركزت مادتها العلمية على أصول تسميات الفرق ومعتقداتها ومقالاتها ومآلها والردّ عليها، ويجيء في مقدّمة هذه المصادر كتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين" للإمام أبي

الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ/935م)، وكتاب "الفرق بين الفرق" للإمام أبي طاهر البغدادي (ت 429هـ/1037م)، وكتاب "الملل والنحل" للإمام الشهرستاني (ت 479هـ/1153م)، وكتاب "التبصير في علوم الدين" للإمام أبي إسحاق الإسفرائيني (ت 418هـ/1027م)، ولم تحمِل هذه المؤلفات كثيرَ اختلافٍ في رواياتها خاصة ما تعلّق بالكلّيات، ومنها ما تعلّق أيضا بتاريخ هذه الفرق من حيث النشأة والظهور، وهي أسفار مهمة جدا في تبیین مواضع اتفاق الأمة ومواضع المخالفين لهذا الاتفاق، والتعرّض لذلك بعَيْنَي الفحص والنقد، خاصة وأنّ أصحاب هذه الكتب كانوا من أعلام أهل السنة والجماعة العلماء الجهابذة الجامعين لفنون العلم.

5_ كتب الفقه: ومن أهمها كتاب "الرسالة" للإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله أبي عبد الله القرشي (ت 204هـ/819م) وهو كتاب مهمّ جدا في ذكر الروايات بسندها وشرح وافي من طرق عدّة لمسائل الفقه والرواية، والرّواة، وذكر المجاهيل منهم، مع ما ورد به من إشارات تاريخية تدليلا على المسائل الفقهية. وكتاب "الشريعة" لمحمد بن الحسين الآجري أبي بكر (ت 360هـ/970م) رحمه الله وحوى بداخله ردودا على الفرق من الناحية الفقهية، ومن ناحية الأخذ بروايات أهل الأهواء والبدع وحدود ذلك، ومُختلف المسائل حتى التاريخية منها.

6_ كتب الطبقات: ويأتي في صدارتها كتاب "طبقات ابن سعد" لمحمد بن سعد (ت 230هـ/844م)، وكتاب "أسدُ الغابة في معرفة الصحابة" رضي الله عنهم لابن الأثير الجزري (ت 630هـ/1232م)، و"الإصابة في معرفة الصحابة" رضوان الله عليهم لأحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 856هـ/1452م)، وكتاب "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" لصاحبه يوسف المزيّ (ت 742هـ/1341م)، ونوع هذه المصنفات يدخل ضمن مرتكزات علم التاريخ إذ لا يكمن كتابة ورواية الأحداث والوقائع دون الحديث عن كتب الطبقات وتصنيفها نظرا لما تحتويه من سرد لحياة أعلام الأمة والذين كان لهم الدور الأبرز في صناعة هذا الإرث

التاريخي الكبير الذي تزخر به حضارة المسلمين، وعلى رأس هؤلاء سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، وسادتنا الصحابة رضوان الله عليهم؛ ثم الأولياء والعلماء والأعلام والشخصيات التي نتجت عنها كثير من المواقف التاريخية، ولا يخلو هذا النوع من المصادر من السند في الرواية والتحقيق عدا بعض الاختلاف الذي لا يؤثر كثيرا على المسار العام للتاريخ عند المسلمين وسير رجالهم ونسائهم، وإذا لوحظ الاختلاف فإن أصحاب هذه الطبقات لا يألون جهدا في الإشارة إلى هذا الاختلاف إشارة التحقيق ويُنهون كلامهم بعمود من أعمدة العلم وهي قوله: "والله أعلم".

والملاحظ في هذه الكتب هو بدؤها بأعظم سيرة وأزكى عُمرٍ وحياة وصاحب أنبل المواقف، وصاحب أمجد تاريخ المؤسس للحضارة الفعلية والحقيقية، خير الدنيا والآخرة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

7- مصادر القواميس والمعاجم والتعريفات: ومن أفضلها وأضبطها وأنفعها كتاب "القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي رحمه الله (ت 817هـ/1414م)، ويظهر من عنوانه الإحاطة بمختلف التعاريف مع الاستدلال في ذلك بالتصوص الشريفة والآثار. "ومعجم التعريفات" للشریف علي بن محمد بن علي الزين الجرحاني (ت 816هـ/1413م)، وهو معجم يحتوي على تعريف لأهم المصطلحات المتداولة بين أهل الشريعة والحقيقة، وقد يوجد به تعارف شافية ومؤدية للمعنى المطلوب دون إطالة، كما أنه يوقف المطلع عليه على جوهر معاني الألفاظ عموما.

8- مصادر الجرح والتعديل: ومن أشهرها كتاب "الجرح والتعديل" لعبد الرحمن ابن أبي حاتم (ت ..) وكتاب "الثقات" لمحمد ابن حبان (ت 354هـ/960م) ومن المتأخرين الأعلام كتاب "لسان الميزان" لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1848م)، حيث تعتبر هذه المصنفات من أهم ما اخترعه علماء الحديث النبوي الشريف، وترتكز هذه المصنفات على البحث والتتقيب في سير الرواة للحديث وما تعلّق بهم من حيث العدالة أو عدمها في صدق الرواية، ودافعهم الأساس لذلك هو الكذب على سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم من أصحاب الفرق والمذاهب

الفاصلة، وقد عبّر عن ذلك الإمام سفيان الثوري بقوله: "لما استعمل الناس الكذب استعملنا لهم التاريخ".

9- مصادر النوازل والفتاوى: كتاب المعيار المغرب للإمام أبي العباس أحمد الونشريسي (ت 914هـ/1508م) ويعتبر هذا الكتاب مصدراً مهماً جداً في نوازل المغرب والأندلس حيث جمع صاحبه هذه النوازل ودلّل عليها بفتاوى أئمة الزمان وأصحاب الشأن في هذا الفن من فنون العلم، ومن بين ما تطرّق إليه ما طرأ على بلاد المغرب والأندلس من تبدّلاتٍ كيانية عكستها ممارسات الدويلات التي قامت ببلاد المغرب والأندلس على أساس مذهبي كالشيعة والخوارج.

10- مصادر التاريخ العام: التي لا يستغني الباحث عنها في مثل هذه المواضيع والتي تطرقت لتاريخ الفرق من بينها تاريخ "الرسل والملوك" لمحمد بن جرير الطبري (ت 310هـ/922م) وهو كتاب مهم جداً في التأريخ للوقائع والأحداث التي انبثقت عن فكر أصحاب الفرق مع التفصيل لهذه الأحداث والانتقاد لها، وتكمن أهمية المؤلف في كونه نجم عن إمام مجتهد من أئمة مذاهب أهل السنة والجماعة. وكتاب آخر في هذا السياق وهو "الكامل في التاريخ" لابن الأثير الجزري (ت 630هـ/1232م) واحد من الأسفار التاريخية الشاملة كما سبقهم منذ بدء الخليقة إلى عصر المؤلف، وتطرق فيه إلى مجمل الأحداث ومن بينها الحديث عن الفرق ورؤوسها وما ابتدعته في تاريخ المسلمين فكراً وحركة.

11- مصادر الجغرافيا التاريخية: ومنها كتاب: "الروض المعطار" لمحمد الحميري (ت 900هـ/1494م)، والذي تكمن أهميته في كونه ليس مصدراً للباحثين الأكاديميين فقط، ولكنه عمدة كثير من المصادر الجغرافية التي اعتمد عليه مؤلفوها، ومن أبرز المصادر الجغرافية التي أخذ صاحبها عن الروض المعطار كتاب: "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م)، ولم تقتصر مادتها العلمية على التعاريف الجغرافية فحسب بل تعدتها إلى إردافها بالإشارات التاريخية المرتبطة بالمواقع والأعلام الجغرافية وما اختصّ بها.

12_ **المراجع:** أهمّها وأبرزها كتاب "السيرة النبويّة الشريفة في ضوء المصادر الأصلية" لصاحبه مهدي رزق الله أحمد وهو مرجع يزخر بالمادة العلمية الخادمة لموضوع عنوانه؛ إذُ تطرّق فيه إلى السيرة الشريفة للجناب الأعظم صلى الله عليه وسلم وتبيين المصادر التي صنّفت في هذا الفنّ الجليل، وهو دليل يستعان به على فكّ غوامض هذا الموضوع. والمرجع الثاني: كتاب "أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام" لمؤلّفه سميع دغيم، حيث يوقفنا كاتبه على حياة العرب في الجاهلية والأصول الدينية وغيرها التي ارتكز عليها أهل جزيرة العرب في حفظ وكتابة تاريخهم، وكذا اتّصالهم بالحضارات الأخرى التي سيكون له تداعياته على الافتراق الذي حدث داخل مجتمع المسلمين. وكتاب محمّد متولّي الشعراوي "قصص الأنبياء وسيرة سيّدنا الرسول صلى الله عليه" يسرد فيه صاحبه الشيخ الشعراوي خاتمة المفسّرين حياة ساداتنا الأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم حياة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم. وقد أفاد الدراسة في التعريف بساداتنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وليتّصف هذا البحث بصفة الأكاديمية بعد توظيف مادته العلمية جاءت خطّته على النحو التالي: مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق.

فأما المقدّمة فيها ما درّج عليه البحث من تعريف للموضوع وإبراز لأهميته وطرح لإشكاله وذكر لسوابقه من الدراسات ومنهاجه، ثم نقد لأهم مصادره وتفصيل لخطّته.

التمهيد عبارة عن ذكر المفاهيم الكبرى للموضوع من تعاريف ومصطلحات عنوان الرسالة، ومنها الحديث عن ظهور كبرى الفرق الإسلامية، والنّهي عن الافتراق الذي جاء في القرآن الكريم، ونبوءة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما يُعرف بحديث الافتراق.

الفصل الأول: الذي حاء تحت عنوان "الكتابة التاريخية عند العرب القدامى" وتتاول الكتابات التاريخية في حضارة العرب قبل الإسلام، وإشارات إلى بدايات التأريخ على العهد الإسلامي،

وكان هدف هذا الفصل العام هو الإشارة إلى ما كان من صلة بين مناهج القدامى والمُحدّثين من صلة في كتاب التاريخ.

الفصل الثاني: وتناول "تجليات الكتابة التاريخية عند المسلمين" متطرقاً إلى شخص سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته العظيمة السامية على الخليقة جمعاء، والخصائص التي امتاز بها وعلاقة ذلك بعلم التاريخ من حيث تكلمه عن القرون الماضية وإنبائه بالأخبار الآتية، ومنها كلامه عن الفرق وكل ما قاله حولها وقع بعد وفاته الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وارتباط سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة التاريخ عند المسلمين، فسيرته وسنّته صلى الله عليه وسلم هي الأصل الأصيل في هذا العلم عند أهل الاسلام؛ فانعكس هذا جلياً في ظهور ما يُعرف بعلم السند في الرواية، وهذا ما منح الشرف والمصداقية في كتابة التاريخ والتأسيس لذلك حينئذ.

الفصل الثالث: وجاء بعنوان "منهج أهل السنة والجماعة" في كتابة التاريخ ومن عنوان هذا الفصل نستخلص أن هذه الفرقة شكّلت السواد الأعظم من المسلمين ومثّلت في الآن نفسه المنهج القائم على الأسس العلمية والضوابط المدعومة بالحُجج والبراهين، وشملت هذه القواعد كل العلوم التي تميّز بها المسلمون والتي ينضوي تحتها ما اصطلحت عليه البشرية بأبي العلوم. كما حوى الفصل الحديث عن كبار المحدثين والمُسندين والمؤرّخين والإخباريين من الرعيل الأول من ساداتنا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدّين، وكان نتاج ذلك ما وصل إلينا من أمّهات الكتب والمصنّفات في سيرته صلى الله عليه وسلم وما تلاها من مؤلّفات في مختلف نواحي التاريخ.

الفصل الرابع: تناول هو الآخر فرقتين كان لهما بالغ الأثر في إحداث شَرخٍ فكري داخل كيان المسلمين وهاتان الفرقتان هما الشيعة والخوارج، ويتضح في هذا الفصل: "مناهج الشيعة والخوارج في التدوين التاريخي" المباني الفكرية التي أسّس عليها الشيعة والخوارج طرقهم في كتابة التاريخ بدءاً بما يعرف عندهم بمصنّفات الحديث التي خالفوا فيها القواعد

الخاصة بهذا العلم الشريف، فَوَضَعُوا الأحاديث واختلقوها، واخترعوا الرواة، وأَلْبَسُوا على العامة أمر دينهم ودنياهم وذلك بتأويل آي القرآن الكريم وفق أهوائهم وما يمليه عليهم التعصّب بمذاهبهم، كما حوى الفصل انعكاس ذلك على كتاباتهم التاريخية مع تتبّع أشهر كتبهم في التاريخ وإبراز طريقتهم هذه بإعطاء أمثلة مما كتبوه وعرض ذلك للنقد الذي وجّهه إليهم أئمة التاريخ مما لا يدع شكاً عند المطلّع عليه نظراً لقوة الأدلة وقيام الحُجّة عند منتقديهم.

الخاتمة: وكعادتها اشتملت على أهم النتائج المتوصّل إليها بعد تصفّح طيّات المصادر والمراجع فكانت خلاصة هذا العمل.

الملاحق: وكما هي موضّحة في آخر العمل جاءت مُبيّنة لبعض جوانب هذا البحث التي تحتاج إلى هذا النوع من المادة العلمية وفق ما يتطلّب كل جزء وما تتطلبه كل فرقة مذكورة داخل الرسالة.

وفيما يتعلّق بالصعوبات التي اعترضت هذا البحث وعلى رأسها دقّة وحساسية الموضوع من حيث الاتّصاف بالموضوعية في إنجازهِ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اختيار مادته العلمية المنثورة بين المصادر والمراجع شكّلاً عبئاً ومسؤولية علمية كبيرة في فهم وانتقاء هذه المادة وهذا خَشْيَةٌ الوقوع في مزالق الذاتية التي ينجم عنها الإجحاف وإصدار الأحكام المُفضّية إلى مجانبية الصواب والحقيقة العلمية، وكذا اختلاف الروايات والآراء خصوصاً عند المتأخّرين من المؤرخين، وكثرة الأحكام الصادرة منهم بحقّ الفرق، كلّ هذا شكّل صعوبة في فهم الموضوع، خاصّة في بدايته عندما يطّلع الباحث على ما يُعرف بالدراسات السابقة ولا ينطبق هذا المعنى على المتأخّرين كلهم.

وفي الأخير لا يعني إنهاء هذه الرسالة إلماًً بالموضوع بل لا يزال باب البحث والدراسة لأصناف هذه المواضيع مفتوحاً للباحثين والدارسين شريطة أن يتّسم الباحث بالقدرة

على البحث في مثل هذه المواضع والتحلي بالموضوعية قدر الإمكان، والأهم في هذه العملية كلها هو الاتصاف بالإنصاف، المؤسومين بِسِمَةِ الْمُنتَسِبِينَ إِلَى الْعِلْمِ المتأدبين مع خَلْقِهِ.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أجدد الشكر للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور خالد بلعربي على جهوده وعلو همته وسناء أخلاقه وتوجيهاته التي كان لها الدور الكبير في إخراج هذا العمل على صورته الأكاديمية هذه، والشكر موصول إلى أعضاء اللجنة الموقرة كوكبة الأساتذة الأفاضل لتشريفهم بمناقشة هذه الأطروحة وبالتالي تهذيبها وتثمينها وتقييمها بملاحظاتهم وتصويباتهم المفيدة التي من شأنها الرفع من قيمة البحث بالوقوف على الحقيقة العلمية.

مدخل

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى إخوانه وآله وصحبه وسلم.

قال الإمام الطبري في تفسيره بسنده عن سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنه قوله: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ الآية¹. ونحو هذا في القرآن الكريم: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله²

وقال الإمام القشيري في تفسيره لهذه الآية: "هؤلاء أقوام أظهر عليهم في الابتداء رقوم الطلب، ثم وسمهم في الانتهاء بكَيَّ الفرقة، فباتوا في شِقِّ الأحاب، وأصبحوا في رُمرَةِ الأجانب³."

الْفِرْقُ لُغَةً: الفرق: خلاف الجمع، فَرَقَهُ يَفْرِقُهُ فَرَقًا، وَفَرَقَهُ، وقيل: فَرَقَ لِلصَّلاحِ فَرَقًا، وَفَرَقَ لِلإفساد تفريقًا. وفي الحديث: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمِيتَتْهُ جَاهِلِيَّةٌ» الحديث⁴، يعني أن كل

¹ - الآية 105: سورة الأنعام.

² - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تفسير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 1422هـ/ 2001م، ج5، ص 663.

³ - أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تفسير القرآن العظيم المسمى: لطائف الإشارات، تعليق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، ج1، ص 442.

⁴ - باب الترغيب في لزوم الجماعة والتشديد على من نزع يده من الطاعة: عن أبي الحسن علي بن محمد المقرئ، أنبأ الحسن بن محمد بن إسحاق، ثنا يوسف بن إسحاق القاضي، ثنا شيبان بن فروخ، ثنا جرير بن حازم، عن غيلان بن جرير، عن أبي قيس بن رباح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عِمَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصِيَّةِ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصِيَّةً فَقَتَلَ فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بِرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ». ينظر: أبو بكر أحمد=

جماعة عَقَدَتْ عقداً يوافق الكتاب والسنة فلا يجوز لأحد أن يفارقهم في ذلك العقد، فإن خالفهم فيه استحق الوعيد. والفِرْقُ والفِرْقَةُ والفريق: الطائفة من الشيء المُتَفَرِّق. والفِرْقَةُ: طائفة من الناس والفريق أكثر منه¹.

الفرق الإسلامية اصطلاحاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَتَّرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» الحديث². قال عبد القاهر: للحديث الوارد على افتراق الأمة أسانيد كثيرة، وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة: كأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي أمامة، ووائل بن الأسقع، وغيرهم رضي الله عنهم. وقد روي عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأمة بعدهم فرقا، وذكروا أن الفرقة الناجية منها فرقة واحدة، وسائرهما على الضلال في الدنيا والبرار في الآخرة³.

= ابن الحسين بن عليّ البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، حديث رقم: (16611)، ج 8 ص 270.

¹ - محمد عبد الله بن مكرم الأنصاري الخزرجي ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، تحقيق محمد أحمد حسب الله وآخرون، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1429هـ/1988م، مج5، ج38، ص - ص3397، 3398.

² - باب شرح السنة: حدَّثَنَا وهب بن بقية، عن خالد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَتَّرِقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَتَّرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً». رواه أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، حديث رقم: (4596)، ج 7 ص 5.

³ - أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1416هـ/1995م، ص - ص4، 9.

وروي عن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم ذَمُّ الْقَدَرِيَّةِ¹، وَأَنَّهُمْ مَجُوسٌ² هذه الأُمَّة، وروي عنه ذَمُّ الْمُرْجِيَّةِ³ مع القدرية، وروي عنه أيضا ذَمُّ المارقين وهم الخوارج⁴.

¹ - الْقَدَرِيَّة: وهم القائلون بأنَّ الله تعالى غير خالقٍ لأَكْسَابِ النَّاسِ ولا لشيءٍ من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أنَّ الناس هم الذين يَقْدِرُونَ على أَكْسَابِهِمْ وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ في أَكْسَابِهِمْ ولا في أعمال سائر الحيوانات صُنْعٌ وتقدير، ولأجل هذا القول سماهم المسلمين "قدرية". ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص - ص 114، 115.

² - الْمَجُوس: أو الْأَكْنُوطَرِيَّة: أي عُبَاد النَّار: زعموا أنَّ النار وأعظموا العناصر جرماً، وأوسعها حيزاً، وأعلاها مكاناً، وأشرفها جوهرًا، وأنورها ضياءً وإشراقاً، وألطفه جسماً وكياناً، والاحتياج إليها أكثر من الاحتياج إلى سائر الطبائع، ولا كون في العالم إلا بها حياة ولا نمو، ولا انعقاد إلا بممازجتها. وعلى هذا المذهب أكثر ملوك الهند وعظمائها، يُعَظِّمُونَ النَّارَ لجوهرها تعظيماً بالغاً ويقدمونها على الموجودات كلها. ينظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1414هـ/1993م، ج1، ص613.

³ - الْمُرْجِيَّة: اختلفت المرجئة في الإيمان ما هو، وهم اثنتا عشرة فرقة. يقولون أنَّ الإيمان قول بلا عمل، وذكر فيهم أبو حاتم في الرتبة حديثاً مرفوعاً: «المرجئة يهود هذه الأمة» الحديث. والإرجاء هو التأخير، والمرجئ من يؤخر العمل عن الإيمان. قال ابن بري في حواشيه: هم يرون أنه لو لم يصلّوا ويصوموا لنجّاهم إيمانهم، وقال النبي صَلَّى الله عليه وسلّم: «لُعِنَتِ الْمَرْجِيَّةُ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا» قيل من المرجئة يا رسول الله قال: «من يقولون الإيمان كلام». ينظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص - ص 132 - 154. /محمد إبراهيم الفيومي، الخوارج والمرجئة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1423هـ/2003م، ص 137. /البغدادي، الفرق بين الفرق، ص202.

⁴ - الْخَوَارِج: كل من خرج على الإمام الحقّ الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين رضي الله عنهم، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان في كل زمان. وعلماء الشريعة يُسَمُّونَهُمْ بُعَاةً. والخوارج في التاريخ هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في صيفين بعد قبول التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه. وفيهم يقول رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: «إِنْ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حُلَاقِيَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ». وأجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضي الله عنه إِنَّ حَكَمَ، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحَكَمَيْنِ وكل من رضي بهما، وأجمعوا على أنَّ كل كبيرة كفر إلا "النجداث"، فرقة منهم، فإنها لا تقول ذلك. ويقال للخوارج=

وروي عن أعلام الصحابة ذمّ القدرية، والمرجئة، والخوارج المارقة وقد ذكرهم عليّ رضي الله عنه وبرئ من أهل النّهروان¹ في خطبته المعروفة بالزهراء².

وبين النبيّ صلى الله عليه وسلم الفروق بين الذين زاغوا عن طريق الحقّ، وبين أهل الصواب والنّجاة من المسلمين، كما أنّ المقام يدعو إلى ذكر ما طاله الاختلاف بين الفرق من قضايا العقيدة والفقه، وأدى ذلك إلى تزييف الوقائع والأحداث خدمةً للأغراض الخاصة وإتباعاً للزيف والهوى. وقد علّم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يُرد بالفرق المذمومة التي هي من أهل النّار فرق الفقهاء المسلمين الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدّين، وإنما فصلّ سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم بذكر الفرق المذمومة الذين خالفوا الفرقة الناجية في الأبواب التي

=الحرورية: نسبة إلى حروراء قرية بظاهر الكوفة نزلوا بها لما خرجوا على عليّ رضي الله عنه، ويُقال لهم النّواصب: والناصبي المغالي في بُغض عليّ رضي الله عنه، ويقال لهم الشّراة: لزعمهم أنّهم المقصودون بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ الآية 111 سورة التوبة. وهم عشرون فرقة. ينظر: أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلّين، تصحيح هلموت ريتز، دار فارنز شتايز، قيسبادن، ط3، 1400هـ/1980م، ص86/البغدادى، الفرق بين الفرق، ص - ص 72 ، 103/عبد المؤمن الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرّشاد، القاهرة، 1413هـ/1993م، ص - ص 215 ، 219.

¹ النّهروان: بالعراق، مدينة صغيرة من بغداد إليها مشرقاً أربعة فراسخ، ولها نهر جليل تجري فيه المراكب العظام ينبعث من جبال أرمينية، فإذا صار بباب كسرى سُمّي النهروان، وفي الجانب الغربي منها أسواق ومسجد جامع ونواعر تسقي أرضها، وفي الجانب الشرقي مسجد جامع أيضاً وأسواق، وحول المسجد خانات ينزلها الحاج والميارة. وعليها كانت الواقعة بين علي رضي الله عنه وبين الخوارج. ينظر: محمّد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عبّاس، بط، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص - ص 582 ، 583.

² -البغدادى، الفرق بين الفرق، ص9.

اتَّفَق عليها أهل السنة والجماعة؛ كباب صفات الله عزَّ وجلَّ وأسمائه وأوصافه، أو باب من أبواب النبوة وشروطها والإمامة على أصل واحد ... خالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القَدَرِيَّة، والخوارج، والروافض¹، والنَّجَارِيَّة²، والجَهْمِيَّة³،

¹ - الروافض: أو الرافضة: اسم يطلق على كل من تبرأ من الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكذلك على كل من تبرأ من الصحابة رضوان الله عليهم، أمَّا سبب التسمية: إن شيعة الكوفة حينما سمعوا زيد بن علي يتولَّى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لأنَّهما وزيرَي جدِّه صلى الله عليه وسلم كما يقال: "رفضوه"؛ فقال لهم: رفضتموني، فسمُّوا رافضة. وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن الرافضة فقال: «الذين يشتمون أو يسبُّون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما»، ومن عقائدهم التولِّي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، والتبرِّي من الشيخين أبي بكر وعمر، وسائر الصحابة رضي الله عنهم إلا العدد المحدود الذين لم يرتدوا عن الاسلام حسب اعتقادهم. ينظر: أبو نُعَيْم الأصبهاني، كتاب الإمامة والردَّ على الرافضة، حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه علي بن محمَّد بن ناصر الفقيهي، ط1، مكتبة العلوم، المدينة المنورة، 1407هـ/1987م، ص - ص22، 23.

² - النَّجَارِيَّة: أصحاب الحسين بن محمد النَّجار، وأكثر معتزلة الري وما حواليتها على مذهبه. وهم إن اختلفوا أصنافاً إلا أنهم لم يختلفوا في مسائل أصول اعتقادهم. وهم: برغوثية، وزعفرانية، ومستدركة. ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات من العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، ووافقوا الصفاتية في خلق الأعمال. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص100.

³ - الجَهْمِيَّة: وهم أتباع الجهم بن صفوان القائل بخلق القرآن، من أفحش الزنادقة، وأظْهَرُهُم كفراً، وأقبحهم تأويلاً لكتاب الله وردَّ صفاته. وأخذ الجهم عن الجعد بن درهم الذي كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن والتعطيل، وخرج الجهم عن السلطان إذ حمل السلاح وقاتل في صفِّ سريج بن الحارث ضد نصر بن سيَّار، وقتله سالم بن أحوز المازني في "مَرْؤ" أواخر زمان بني مروان سنة 128هـ/745م. ينظر: عثمان بن سعيد الدارمي، الردَّ على الجهمية، تقديم بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط1، 1405هـ/1985م، ص - ص171، 186/ ينظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات، ص - ص167، 168.

والمُجَسِّمَةِ¹، والمُشَبَّهَةِ²، وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ مِنْ فِرْقِ الضَّلَالِ يُكْفَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا³.

وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم اختلافهم في الإمامة في سقيفة بني ساعدة بالمدينة المنورة حين اجتمعت الأنصار رضي الله عنهم وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عباد رضي الله عنه، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما واحتج عليهما أبو بكر بحديث النبي صلى الله عليه وسلم أن الإمامة لا تكون إلا في قريش فأذعنوا له منقادين، ورجعوا إلى الحق طائعين، ثم بايعوا أبا بكر رضي الله عنه واجتمعوا على إمامته واتفقوا على خلافته وانقادوا لطاعته⁴.

ولم يحدث بعد هذا في حياة أبي بكر وأيام عمر رضي الله عنهما إلى أن ولي عثمان بن عفان رضوان الله عليه، وأنكر قوم عليه في آخر أيامه أفعالا كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين، فصار ما أنكروه عليه اختلافا إلى اليوم، ثم قُتل رضوان الله عليه وكانوا في قتله مختلفين، فأما أهل السنة والاستقامة فإنهم قالوا: «كان رضوان الله عليه

¹ - المُجَسِّمَةُ: والقائلون بالتجسيم هم الكرامية أتباع بن كرام الذي كان يسمى مَعْبُودَه جسما ويجعل له حدا، كما قالت الثنوية في معبودهم أنه نور متناه من الجانب الذي يلي الظلام. وأطلق على معبوده اسم الجواهر كما أطلقه النصارى. ويعرف المجسمة باسم الكرامية والحشوية، وقال بذلك طوائف من الحنابلة أشهرهم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. ينظر: أبو المظفر الإسفراييني، التبصير في الدين - تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ص - ص111، 112/عبد الرحمن خليفة، المُشَبَّهَةُ والمُجَسِّمَةُ، المكتبة المتخصصة للرد على الوهابية، ط1 - دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص - ص11-18.

² - المُشَبَّهَةُ: وجملة المشبهة صنفان: صنف منهم يشبه ذاته بغيره من الذوات. وصنف منهم يشبه صفاته بصفات أغياره. وأول من أفرط في التشبيه من هذه الأمة: السبائية من الروافض الذين قالوا بآلهية علي كرم الله وجهه حتى أحرق علي قوما منهم، فزادوا بعده عُتُوًا في ضلالتهم، وقالوا: الآن علمنا على الحقيقة أنه الإله. لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُعَدُّ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ» الحديث. ينظر: الإسفراييني، التبصير في الدين، ص 119.

³ - البغدادى، الفرق بين الفرق، ص - ص9، 11.

⁴ - أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص2.

مُصيباً في أفعاله قتله قاتلوه ظلماً وعُدواناً» وقال قائلون بخلاف ذلك، وهذا اختلافهم بين الناس إلى اليوم¹.

ثم بويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاختلف الناس في أمره فمن بين مُنكرٍ لإمامته ومن بين قاعدٍ عنه ومن بين قائلٍ بإمامته معتقد لخلافته، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم، ثم حدث الاختلاف في أيام علي رضي الله عنه في أمر طلحة والزبير رضوان الله عليهما وحريهما إياه وفي قتال معاوية رضي الله عنه إياه في صيفين، وفي مسألة التحكيم بينه وبين معاوية، حيث بعث معاوية رضي الله عنه وأهل الشام عمرو بن العاص رضي الله عنه حكماً، وبعث علي وأهل العراق أبا موسى الأشعري رضي الله عنه وأخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق، اختلف أصحاب علي عليه فأبوا إلا خلعوه وإكفاره بالتحكم وخرجوا عليه فسموا خوارج لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصار اختلافاً إلى اليوم².

¹ - أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ، ص3.

² - نفسه، ص - ص 3 ، 5.

واختلف المسلمون عشرة أصناف: الشَّيع¹ والخوارج والمُزَجَّة والمُعْتَزلة² والجَهْمِيَّة والضَّرَّارِيَّة³

¹ - الشَّيع: الشيعة الذين شابعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، والإمامة عندهم قضية أصولية وركن الدين، لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبت عصمة الأنبياء والأئمة، والقول بالتولي والتبري ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك، ولهم في تَعْدِيَةِ الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة، ومذهب، وخَبْط. وهم خمس فرق كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه. ينظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ج1، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م، ص - ص169، 170.

² - الْمُعْتَزَلَة: أطلق أهل السنة اسم الاعتزال على هذه الفرقة للواقعة الشهيرة المتمثلة في اعتزال واصل بن عطاء الغزال لحققة الحسن البصري "رحمه الله" حين اشتد الجدل حول مصير مرتكب الكبيرة، واعتبر واصل بن عطاء صاحب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر، وهذا ما أغضب الإمام الحسن البصري فطرده من حلقة، فاعتزل واصل إلى سارية من سوارى مسجد البصرة ومعه عمرو بن عبيد وبعض الناس. فسبب التسمية يعود إلى خلافهم لقول الأمة في مسألة الفاسق حيث افتجروا القول بالمنزلة بين المنزلتين. وافتقرت المعتزلة فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرهما، وفرقتان منها من جملة فرق الغلاة في الكفر وهما الخابطية والحمارية، وعشرون منها قدرية محضة يجمعها كلها في بدعتها أمور. وعرفو بالمجوسية، والثنوية، والوعيدية، والمُعْطَلَة، والقدرية، والحرقيه، والمغنية، واللفظية، والقبرية. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص - ص 114، 116. /أبو لبابة حسين، موقف المعتزلة من السنة النبوية، ط2، دار اللواء، الرياض، 1407هـ/1987م، ص - ص 10، 14.

³ - الضَّرَّارِيَّة: وهم أتباع ضرار بن عمرو، وافقوا المعتزلة وزادوا عليهم، ووافقوا النجار في دعواه، وانفردوا بأشياء مُنْكَرَة منها طريقة رؤية المولى عزّ وجلّ، وإنكار مصحف ابن مسعود وأبيّ بن كعب رضي الله عنهما، وشكّوا في جميع عامة المسلمين وقال ضرار: لعلّ سرائر العامة كلّها شرك وكفر، وقام بنفي صفات الله على ما جاءت عليه. البغدادي، الفرق بين الفرق، ص - ص 214، 215.

والْحُسَيْنِيَّة¹ والبَكْرِيَّة² والعامَّة وأصحاب الحديث³، والكلابية⁴ أصحاب عبد الله بن كلاب القطان⁵.

واختلاف المسلمين في الأفهام التي وقع فيها الاختلاف لم يبق عند حدٍّ ما تقتضيه الحجة العلمية الصِّرْفَة في دلالة النص على معناه، أو في ثبوت نسبته إلى الوحي، بل داخلته ملابسات أخرى كثيرة، يعود بعضها إلى تفاعلات المجتمع الإسلامي في تطوره السريع، وما نتج عن ذلك التطور من المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويعود بعضها الآخر إلى الصراع العقائدي والثقافي الذي نشأ عن انتشار الإسلام في أرض الأديان والمذاهب والفلسفات مشرقاً ومغرباً. ومن هذه الملابسات المعقّدة تطورت الخلافات في الفهم، فهم العقيدة وتوسّعت متى انتهت إلى ما عرف في التاريخ الإسلامي بالفرق الإسلامية، التي نشبَ بينها صراع فكريّ بالأساس، وسياسي واجتماعي في بعض الأحيان، صراع جاوز حدود العدالة والقسط في حالات كثيرة ليؤول إلى تحكّكات المكابرة والأهواء، أو إلى

¹ - الْحُسَيْنِيَّة: فرقة من الخوارج ورئيسهم رجل يُعرف "بأبي الحسين" يَرَوْنَ الدار دار حرب وأنّه لا يجوز الإقدام على من فيها إلا بعد المحنة، ويقولون بالإرجاء في مُوافقيهم، ويقولون فيمن خالفهم أنّهم بارتكاب الكبائر كفار مشركون. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 119.

² - الْبَكْرِيَّة: وهُم فرقة واحدة ليس لها تبع كثير، وظهر خلاف البكرية من بكر ابن أخت عبد الواحد بن زياد، وكان ظهور بكر في أيام ظهور واصل بن عطاء في ضلّالته. البغدادي، الفرق بين الفرق، ص - ص 22 ، 25.

³ - الْعَامَّة وَأَصْحَابُ الْحَدِيث: وهم أهل الحجاز، أصحاب مالك بن أنس، وأصحاب محمّد بن إدريس الشافعي، وأصحاب سفيان الثوري، وأصحاب أحمد بن حنبل، وأصحاب داود بن علي بن محمّد الأصفهاني، وإنّما سُمّوا أصحاب الحديث لأنّ عنايتهم بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على التّصوص، ولا يرجعون إلى القياس الجليّ والخفيّ ما وَجَدُوا خبراً أو أثراً. الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1 ص 243.

⁴ - الْكَلَابِيَّة: وهم أصحاب عبد الله بن سعيد بن القطان المشهور بابن كلاب، وهم يقولون بأكثر ما ذُكر عن أهل السنة والحديث. ينظر: أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص - ص 298 ، 299.

⁵ - أبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص - ص 1 ، 5.

المصادر والإلزامات التي لا تستند إلى الأدلة والحُجج، وهذا ما ألحق بأمة المسلمين الضرر وأفَعَدَهَا عن التحضّر¹.

ويعتبر علم التاريخ الإسلامي من العلوم النّقلية، بسبب اتصاله الأول بعلم الحديث. ومن المحقّق أن العرب في جاهليّتهم وأوائل الإسلام لم يقوموا بتدوين التاريخ، وإنّما كانوا يحفظونه في ذاكراتهم؛ ولم يكن ذلك لأنهم يجهلون الكتابة، ولكن لتحبيّذهم الحفظ على الكتابة؛ فهذه الأخيرة لم تكن وقتذاك لتعطي صاحبها تفوّقاً في المجتمع أكثر مما تعطيه مَلَكَةُ الحفظ. فكان تاريخ العرب الأوّل، وهو عبارة عن وقائع وأيام وغزوات محفوظة في الذاكرة يردّدونه على ألسنتهم وأعانهم على حفظه بيئتهم الصحراوية الطليقة، التي ليس فيها تعقيد².

ولكن بعد أن ابتعد العرب عن بيئتهم وتفرّقوا في الأرض للفتح والغزو بين شعوب لا تتكلّم لغتهم، ضعفت ملكة الحفظ عندهم وظهرت حاجتهم إلى التدوين. ففي أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريّين/الثامن والتاسع الميلاديّين، كان العرب في حاجة ملّحة إلى ضبط ونقل أحاديث سيّدنا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والسير والأحوال؛ ليصلّح النّاس في أمور دينهم؛ وكان هذا بداية تدوين التاريخ الإسلامي. وإن كان التدوين في التاريخ لم يُنشر إلّا حينما أقبل أهل البلاد المفتوحة على الإسلام، وأقبلوا على تعلّم اللّغة العربية؛ حيث كانت حضاراتهم السابقة تساعد على تذوّق التاريخ. فكان معظم المؤرخين الأوائل في

¹ - عبد المجيد النّجار، دور الإصلاح العقديّ في النّهضة الإسلامية، مجلة المعرفة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، جامعة بيروت الإسلامية، العدد الأوّل، السنة الأولى، 1401هـ/1981م، ص 59، 61.

² - يسري عبد الغني عبد الله، معجم المؤرخين المسلمين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، ص11.

الإسلام هم المُستَعَرِّبين من العجم؛ لأنّ العرب - في أول الأمر - كانت تُلَحِّقُهُمْ أَنْفَهُ من انتحال العلم، لكونه من جُملة الصنائع¹.

والإشكال التاريخي يعاني في استقراره من مُخْتَلَفَيْن: أي تاريخ حقيقي وموضوعي، وتاريخ وصفي يميل إلى الأسطورة، المُضْمَرِ ضمن الشعور العربي الحديث، ولَسْنَا بحاجة في هذا المقام إلى إعادة رسم التاريخ العربي أو الإسلامي، ولكن يجب أن تكون كتابته موافقة لإبعاد أسطر القوة عنه - في بعض الحقب -، وتقديم تفسير بعيد عن الخيال².

ويعتبر القرآن كلام الله والمصدر الأول للإيمان والتشريع، يضاف إليه أقوال وأفعال النبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم بما فيها الصادرة عنه كبشر، والتي كان لها قيمة عُلْيَا ومِثَالِيَّة لباقي النَّاس، وعُرف ذلك بـ: "بالسنة النبوية"³ المنتقلة إلى الصحابة عن طريق علم سنَد الحديث ثم إلى وَرَثَتِهِم من العلماء، والتي استعملت لمقاومة وردّ الشيعة والخوارج. وكَثُرَ رُوَاة الحديث والراغبين في هذا العلم وتفرّقوا في الأمصار، وكثر معهم الصراع بين الفرق الإسلامية التي عَمِلَتْ على تزييف ولَوِي الأحاديث خِدْمَةً وتأييدا لأغراضهم المتعدّدة، ومع هذا فإنّ القرآن والحديث يُشكّلان المصدر الأساس للمؤرخين

¹ - يسري عبد الغني عبد الله، معجم المؤرخين المسلمين، ص11.

² - Hichem Djatt, la personnalité et la devenir arabo-islamique, édition du deuil, paris, 1974, p32.

³ - السنة النبوية الشريفة: المصدر الثاني بعد القرآن للإسلام باعتباره عقيدة، وتشريعا، وأخلاقا. قال الشافعي: «وسنن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم مع كتاب الله وجهان: أحدهما: نصّ الكتاب، فاتّبعه رسول الله كما أنزل الله. والآخر: جملة، بيّن رسول الله فيها عن الله معنى ما أراد بالجملة، وأوضح كيف قرّضها عامّا، أو خاصّا، وكيف أراد أن يأتي بها العباد، وكلاهما اتّبع فيه كتاب الله». والرسول صَلَّى الله عليه وسلّم كان يُبيّن للناس ما نزل إليهم بسلوكه، وبقوله، وبإقراراته، يقول صلوات الله عليه وسلامه: «مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ» الحديث. ينظر: عبد الحليم محمود، السنة في مكانتها وفي تاريخها، بط، دار غريب، القاهرة، 1998م، ص - ص 30 ، 31.

المُحدّثين لكتابة سيرة النبيّ سيّدنا محمّد - صلّى الله على سيّدنا وسلّم تسليمًا - ومعرفة تطوّر الإسلام الأصيل¹.

القول بهذا الاستدلال والاستنتاج يدعمه الارتكاز الذي لا مناص عنه من الفهم الصحيح للنصوص والوقائع المنقولة إلينا من العلماء والفقهاء والمؤرّخين الأوائل المشهود لهم بالعلم والأمانة، ونُقطة القوة في صدق ما نقلوه إلينا هو المَعِينُ الصافي الذي اغْتَرَفَ منه جهابذة وفطاحل المحقّقين.

¹– Edouard Perroy, histoire générale des civilisations–l’expansion de l’orient et de la naissance de la civilisation occidentale, volume 3, presses universitaires de France, paris, 1967, p93.

❖ الفصل الأول: الكتابة التاريخية في

البلاد العربية القديمة.

❖ أولاً: علم التاريخ عند العرب القدامى.

❖ ثانياً: تدوين التاريخ عند العرب القدامى.

❖ ثالثاً: الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين

الأوائل.

إنّ النمط العلمي والاجتماعي الذي عاش عليه الأولون من الأمم حتماً كان يختلف عما كانت عليه المجتمعات المتوالية في عصور لاحقة، وبخاصّة في الحقبة الوسيطة من تاريخ المسلمين؛ غير أنّ الأمصار التي دخلها الإسلام مرّت عليها حضارات سابقة تركت آثارها النّقلية والعقلية التي خاض فيها بعض المُنتسبين إلى الأمة الإسلامية وهذا ما يفرض على سبيل الضرورة والإنصاف معرفة ما كانت عليه هذه الأمم في طريقة تحصيل العلوم وتداولها، والتي ينضوي تحتها علم التاريخ، الذي تشترك فيه كلّ الأمم والحضارات المتقدّمة زمنياً، وورّثت كثير من الحضارات المتأخّرة هذه العلوم مع مراعاة عامل الفروق الوقتية في تناقل المعارف بين أجيال هذه الحضارات من جهة، والتحريف الذي أصاب كثيراً من هذه النُّقول المعرفية من جهة أخرى، وكذلك التأثير الفعلي لهذا الانحراف على المسلمين الذين كانوا محاطين بهذه الحضارات ومختلطين بها في كثير من المجالات، ما كان له بالغ الأثر في نشأة وظهور العديد من المعتقدات والمذاهب والآراء التي أدّت إلى التقاف النّاس حول رؤوسها والقائلين بها، وكان ذلك لدوافع عدّة شكّل الاستقواء من مذاهب السابقين القدامى عاملاً رئيساً من هذه الدوافع في إحداث الفرق داخل مجتمع المسلمين، وقوفاً على مدى صحة ذلك بدراسة العلاقة بين الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية.

أولاً: علم التاريخ عند العرب القدامى

1_ أصول التراث التاريخي عند العرب القدامى

يُعتمد في دراسة التاريخ على نوعين من المصادر النوع الأول: هو المصادر الأدبية وتضم المؤلفات القديمة التي كُتبت في حقبة معاصرة للأحداث أو بعدها بمدة قصيرة أو طويلة. هذه المؤلفات لا تقتصر على كتابات المؤرخين فقط، وإنما تشمل أيضاً ما كتبه الشعراء والفلاسفة والخطباء وكتّاب السّير والجغرافيين، ذلك أنّ دراسة التاريخ لا تُعنى بأمور السياسة والحكم والحرب فحسب، بل تهتم أيضاً بأحوال الشعب الاقتصادية والاجتماعية والعقائدية والفكرية وغيرها. والنوع الثاني من مصادر دراسة التاريخ هي المصادر التي اتفق المؤرخون على تسميتها بالمصادر الوثائقية غير الأدبية، وهي تشمل الوثائق البُردية والنقوش والرّسوم والعملات والأطلال الأثرية سواء المنقوشة منها أو الصمّاء¹.

والتاريخ القديم اصطلاح واسع، تضم مادته أحداثاً كثيرة، مضى عليها الزمان وانقضت قرون وعصور وانطمست معالم المكان والأشياء وأصبح من الصعب بل يستحيل على غير المتخصّص أن يستنتج أي شيء في غياب الدليل الأثري القاطع، ولا يمكن الاكتفاء بما كتبه البعض من انطباعات أو ما سجله من مواقف وأحداث لأن ذلك لن يخرج عن كونه وجهة نظر شخصية إلاّ فيما ندر. حيث يتجرّد الكاتب من عواطفه وميوله، ويَعْرِضُ للموضوع من جوانبه المختلفة مُلقياً الضوء على أبعاده الإيجابية والسلبية على

¹ _ فوزي مكاي، تاريخ العالم الإفريقي وحضارته، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1400هـ/1980م، ص11.

السواء وليس على جانب واحد فقط ذلك يُعبّر عن رأيه الشخصي ويخدم مصالحه هو فقط أو مصالح من يخدمهم قَلَمُه¹.

وأما المصادر والمراجع التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة وكتابة أخبار القرون الوسطى الأولى من حياة الجزيرة العربية: **القرآن الكريم**: وما يتّصل به من كتب التفسير مثل: تفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، ويدخل في ذلك الكتب التي تدخل في أسباب نزول السور والآيات، ككتاب "أسباب النزول" لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت 456هـ/1063م). **حديث سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم**: وما يتصل به من شروح، ومجاميع الحديث كثيرة، كالصّحاح، والسّنن، والموطّأ، ومن الشروح "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، و"صحيح مسلم" بشرح الإمام النووي يحيى بن شرف، و"الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار" لمحمّد بن موسى الحزمي (ت 754هـ/1303م)².

وأما المصادر غير العربية منها: "التوراة والتلمود" وفيها ذكر للعرب وتفسير لصلاتهم مع العبرانيين وهناك بعض الكتب العبرانية التي تؤرّخ لليهود وفيها ذكر للعرب خاصّة الأنباط³

¹ - محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر - 1998م، ص21.

² - جمال عبد الهادي محمّد مسعود ووفاء محمّد رفعت جمعة، جزيرة العرب، ج1، د.ط، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، 1997م، ص - ص 13 - 15.

³ - **الأنباط** : النّبط: قوم من العجم. والأنباط : دولة قامت على الأطراف الخارجية لمنطقة فلسطين حوالي القرن السادس قبل الميلاد، وعاصمتها البتراء. جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي، لبّ الباب في تحرير الأنساب، تحقيق محمّد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م، ج2، ص291./حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1993م، ص117.

الذين نزلوا فيما بين البحر الأحمر والفرات¹.

ولمعرفة التراث التاريخي الأصيل للجزيرة في العصر الجاهلي يجب الوقوف على مسألتين مهمتين: الأولى: "أدب الأيام"، والثانية: علم الأنساب، ولا شك أن أخبار أيام العرب قديمة جداً، وهذا لمحاكاتها لأقدم أقسام التوراة، وهنا تتبين أهمية الأيام عند العرب نثراً وشعراً، وهي موجودة فعلاً في عصور ما قبل الإسلام، أما الأنساب فتدل على وجود الحسّ التاريخي عند العرب، وكان النسابة يحفظون شجر الأنساب عن ظهر قلب، وخوفاً من ضياعها فقد كان يُقَيِّض لها من يحفظها².

ويعتبر الشعر الجاهلي من المصادر التي يعتمد عليها الباحث في دراسته لتاريخ العرب قبل الإسلام، وذلك لما اشتمل عليه من مفاخر وحماسة ورثاء وهجاء، أو وصف لطبيعة بلاد العرب، حتّى قيل فيه أنّه "ديوان العرب، سُجِّلَتْ فيه أخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم وأفكارهم"³.

ومقارنة بالمصادر السابقة الذكر في أخبار العرب وتاريخهم، هناك مصادر ثانوية منها: "تاريخ الرسل والملوك" لأبي جعفر محمد الطبري، و"البداية والنهاية لابن كثير"، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير، و"العبر" لابن خلدون. وكتب الجغرافية، منها: "صفة جزيرة العرب" للهمداني، ومعجم البلدان لياقوت الحموي⁴.

والأدب العربي قبل بعثة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويشمل الشعر والنثر روايةً عن ذلك العصر، ومن دواوين الشعر الجاهلي المطبوعة: ديوان أميّة بن أبي الصلت. ومن

¹ - سميع دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995م، ص21.

² - محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتأريخ عند العرب، ص- ص 12- 13.

³ - أحمد أمين سليم، تاريخ وحضارة العرب، د.ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م، ص61.

⁴ - جمال عبد الهادي محمد، جزيرة العرب، ص15.

وتمود¹، وأخبار عن أهل الحبشة، وأصحاب الأخدود وهم أهل نجران النصارى. وفي الحديث الذي دُونَ في أيام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أخبار عن نُظُم الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية. وهناك كتب التفسير تفسر القرآن الكريم، وفيها بيان ما أُشْكِلَ فهمه في القرآن من إشارات وتنبهات. أما كتب السير والمغازي فقد تعرّضت لأخبار الجاهلية وخصوصاً ما اتّصل منها بحياة سيّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، من أهمها سيرة ابن هشام أخذاً من الرواية الشفوية ومن كتب مفقود في سيرة سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عبد الله محمد ابن إسحاق. أمّا الشعر الجاهلي فيعتبر من أهم المصادر لتاريخ العرب قبل الإسلام، فهو يَصوِّر لنا أحوالهم الاجتماعية والدينية، وطباعهم وأخلاقهم².

2_ أثر الديانات القديمة على التدوين التاريخي عند العرب

عرف العرب الديانات السماوية ومنها: الحَنيفية³ وظهرت في الذين استنكفوا عن عبادة الأوثان، ولم يعتنقوا المسيحية أو اليهودية، وسُمِّيَ أتباعها بالأحناف أو الحنفاء، وكلّها جمع لحنيف صفة سيّدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الواردة في القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا

=الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1400هـ/1980م، ص 328.

¹ _ تمود: بنو تمود: قبيلة من العرب العاربة البائدة، اشتهرت باسم أبيهم، فلا يُقال فيها إلاّ تمود، من غير "بني". وكذلك وردت في القرآن الكريم. وهم بنو تمود بن جاثر بن إرم بن سام ابن نوح عليه السلام. كانت منازلهم بالحجر ووادي القرى، بين الحجاز والشام. ينظر: القلقشندي، المصدر السابق، ص200.

² _ سميع دغيم، أديان ومعتقدات العرب، ص - ص 20 - 21.

³ _ الحَنيفية: حَنَفَ عن الشيء وتحنّف: مَالَ. والحنيف: المسلم الذي يتحنّف عن الأديان، أي الميل إلى الحقّ، وقيل هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملّة سيّدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وقيل: هو المُخلص، وقيل هو من أسلم في أمر الله فلم يَلْتَوِ في شيء، وقيل: كلّ من أسلم لأمر الله تعالى ولم يَلْتَوِ فهو حنيف. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج2، ج12، ص1025.

هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ الآية¹. ومعظم ما نعرفه عن الحنيفية ومضمون تعاليمها مأخوذ من الكتب المقدسة، القرآن الكريم، والإنجيل، والتوراة².

ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، وينتظر النبوة، وكانت لهم سنن وشرائع، وهي من نوع التحصيل. فمن كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر، ويعتقد الدين الحنيفي وينتظر المَقْدَمَ النبوي الشريف: زيد بن عمرو بن نفيل³، كان يسند ظهره إلى الكعبة ويقول: "أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَيَّ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى دِينِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَدٌ غَيْرِي"، وَسَمِعَ أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ يَوْمَا يَنْشُدُ:

كَلَّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ *** اللَّهُ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفِيَّةِ زُورُ

ومن هؤلاء النابغة الذبياني، آمن بيوم الحساب فقال:

فَعَلْنَاهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ *** قَوِيْمٌ فَمَا يَرْجَوْنَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ

وأراد بذلك الجزاء والأعمال⁴.

¹ - سورة البقرة، الآية 135.

² - سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب، ص - ص 48 - 50.

³ - زيد بن عمرو بن نفيل: أحد حكماء الجاهلية وابن عم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يدرك الإسلام وكان يكره عبادة الأوثان ووأد البنات، رآه سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وسئل عنه بعدها فقال: «يبعث يوم القيامة أمة وحده»، توفي قبل مبعث سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات وذلك 17 قبل الهجرة/606م. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أيار/مايو 2002م، ج3، ص60.

⁴ - الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص - ص 590 - 592.

وكان أتباع سيدنا إبراهيم عليه السلام يمارسون كل الشعائر الدينية التي جاءت بها الحنيفية، من توحيد لله وعبادته وتعظيم البيت الحرام، والحج إليه¹.

اليهودية² هي أولى الديانات الكتابية الموحى بها. أي أنّ اليهود أهل كتاب "التوراة والتلمود"، فالتوراة هو الأساس وجاء التلمود ليكمل أحكام التوراة ويشرحها. فقد قام أحبار اليهود بتسجيل هذه الشروحات، وقوامها مجموعة القواعد والأحكام والوصايا والشرائع والشروح والتعاليم والروايات التي تواترت شفاهة³.

ويبدو أنّ اليهود قدماء في الجزيرة العربية منذ عهد عاد وثمود. وانتشرت اليهودية بين ملوك حمير، وبين بني كنانة، وبين الحارث بن كعب، وكندة، وغسان، وتهود أيضا قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريضة والنضير. وتهود قوم من غسان وقوم من جذام ومن بني الحارث بن كعب. أما يهود الحجاز فكانوا قبائل وعشائر منهم بنو عكرمة، وبنو ثعلبة، وبنو محمر، وبنو قينقاع، وبنو زيد، وبنو النضير، وبنو قريضة، وبنو بهدل، وبنو عوف، وبنو القصيص⁴.

¹ - ربيع عولمي، الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير، في تاريخ الحضارات القديمة، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص158.

² - اليهودية: هَادَ الرجل: أي رجع وتاب. وإنّما لزمهم هذا الاسم لقول سيدنا موسى عليه السلام: ﴿يَا يَهُودُ اتَّبِعُوا مِثْلَ شِرْكِكُمْ﴾. الآية 156. سورة الأعراف. أي رجعنا وتضرعنا. وهم أمة سيدنا موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء؛ أي أنّ ما كان ينزل على سيدنا إبراهيم وغيره من سادات الأنبياء عليهم السلام ما كان يُسمى كتابا؛ بل صُحُفًا. ومسائلهم تدور على جواز النسخ ومنعه. وعلى التشبيه ونفيه، والقول بالقدر، والجبر وتجويز الرجعة، واستحالتها، أي الرجوع إلى الحياة بعد الممات. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص - ص 250 - 256.

³ - سميع دغيم، أديان ومعتقدات العرب، ص55.

⁴ - نفسه، ص- ص 56 - 57.

وانقسم يهود الجزيرة إلى قسمين: يهود من أصل عبراني يعودون في نسبهم إلى سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم من زوجته سارة عليهم السلام، أو نسبة إلى هود قوم عاد، وهناك يهودٌ عرب التحقوا باليهودية بعد انتشارها في بلادهم ودخولهم في دين اليهود¹.

اليونان: التأثير اليوناني الثقافي في الشرق كان قوياً، فقد حملوا معهم ثقافتهم وتقاليدهم، ومن أعظم مافعلوه تأسيسهم لمدينة الإسكندرية ولمكتبتها العظيمة. ولا نخفي الأثر الذي تركته المدارس الدينية والثقافية التي أنشئت على تخوم البلاد العربية وكانت تعجّ بالكتب والمؤلفات اليونانية. وكانت مسألة القضاء والقدر مطروحة في الجاهلية. ويبدو أن كثيراً من الأسرى اليونان الذين وقعوا في أيدي الفرس نقلوا بعض الاعتقادات اليونانية وبعض النظريات الفلسفية. أضف إلى ذلك أن لفظة "قَدْر" لها صلة باسم الإله الكنعاني "منى" وهو إله القدر. واستعملت هذه اللفظة في الجاهلية بمعنى "القدر" والمنية بمعنى الموت وهي من الكلمات السامية المشتركة والواردة في مختلف لهجات هذه المجموعة².

وأول من وضع الأصنام عمرو بن لُحَي بن غالوثة بن عمرو بن عامر، لما ساد قومه بمكة المكرمة، واستولى على أمر البيت، وكان قد جلب هُبَل من بلاد الشام من عند قوم كانوا يعبدون الأصنام، فوضعه على الكعبة المشرفة وكان معه إساف ونائلة³ على شكل زوجين⁴.

¹ _ سميع دغيم، أديان ومعتقدات العرب، ص 57.

² _ سميع دغيم، المرجع نفسه، ص - ص 41 - 42.

³ _ **إساف ونائلة:** هو إساف بن يعلى، وكان من جرهم، ونائلة بنت زيد من جرهم، وكان يتعشقا في أرض اليمن فاقبلوا حُجَاجاً ففجراً بالكعبة في البيت، فمُسخا ووضعوا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج 2، ص 580.

⁴ _ الشهرستاني، المصدر نفسه، ص 580.

والعرب أصناف شتى، فمنهم الْمُعْطَلَّةُ، ومنهم مُحْصَلَّةُ نوع تحصيل. فأما الْمُعْطَلَّةُ منهم: مُنْكَرُو الخالق، والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المُحْيِي، والدهر المُفْنِي، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾¹ الآية؛ فالجامع هو الطبع إشارة إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي، والمُهْلِك هو الدهر².

إن المُتَاخَمَةَ والتجاور الجغرافيين كان لهما دور بارز في علاقة العرب بالأحباش المسيحيين الذين احتلوا اليمن مدة طويلة وأنشأوا الأديرة الكثيرة فصارت النصرانية ديانة عربي الجنوب واليمن. وحاول أبرهة أن يجعل من كنيسة "الْقُلَيْعَس" التي بناها كعبة العرب. وكان الأحباش سببا في تنصير الحميريين والنبط³.

3_ علاقات العرب بالحضارات الأخرى

وكان للعرب القدامى صلات بحضارات وشعوب عدة ، ذلك أن موقع جزيرتهم سمح بهذه الصلات. ويتحدث بعض المؤرخين عن تأثير المصريين على بلاد العرب من حيث الدين والثقافة والفكر، وكان للعرب علاقات بالعبرانيين الذين استقروا بفلسطين، والعلاقة بينهما إن من حيث الموطن الجغرافي، ومن حيث النسب. وبعد عهد سيدنا سليمان الحكيم عليه السلام فر الكثير من اليهود العبرانيين إلى بلاد العرب وأقاموا بها، أشهرها مدينة يثرب. ووقعت ممالك السوماريين والبابليين على تخوم شبه الجزيرة العربية، خصوصا في الشمال على أرض الرافدين وبلاد الشام، وتأثر السبئيون والحميريون واكتسبوا بعض طقوس وعادات السوماريين. وهذا نتيجة الاحتكاك الاقتصادي. يضاف إلى هذا استيطان اليهود بلاد العرب

¹ _ سورة الجاثية: الآية 24.

² _ الشهرستاني، نفسه، ج2، ص 582.

³ _ سميع دغيم، أديان وامتدادات العرب قبل الاسلام، ص- ص 40.

الجنوبية، الذين كانوا يسكنون بابل وتم سبيهم على يد "نابوخذنصر"¹ فنقلوا بذلك عاداتهم وتقاليدهم²

وقامت المملكة الآشورية في شمالي بلاد العرب، ولم تنتجوا العرب من غزواتهم، وهذا ما يحمل على الاعتقاد بوجود التأثير الديني المتبادل بين الشعبين. وكان التأثير الديني واضح بين الكلدانيين ورثة الآشوريين والعرب خصوصا أقطار الشام وشمالي الجزيرة العربية، حيث وُجد رسم لصنم اسمه "هجم" مُثل عند عرب تيماء³ في زِيّ آشوري⁴.

أما المصادر اليونانية واللاتينية والسريانية، فهي تعتمد على أخبار الرّحالة والتجار آنذاك، وأيضا على أخبار المحاربين الذين يقعون أسرى في الحروب المُفرج عنهم، وأقدم ما وصل من ذلك هو ما ذكره "أخليس" عام (525-465 ق.م)، وهيرودوت عام (480-425 ق.م). إلا أن معلوماتهم جاءت عَرَضِيَّةً وغير دقيقة. والجغرافي "استرابون" (64 ق.م) الذي ساهم في حملة الرومان على اليمن. قدّم وصفا لأحوال العرب. و"بطليموس" الذي وضع كتاباً فيه وصف لأحوال العرب الاجتماعية والتجارية⁵.

¹ _ نابوخذنصر: أشهر ملوك الدولة البابلية الأخيرة التي قامت فيما بين النهرين فيما بين القرن السابع قبل الميلاد الى سنة 539 ق.م، وانتهت بالغزو الفارسي، وقد وُحِدَ نابوخذنصر سوريا الطبيعية، حطم مملكة يهوذا في القدس وسبى اليهود إلى بابل عام 586 ق.م واستمر سبيهم إلى عام 536 ق.م وقد ملك من عام 604 ق.م إلى 561 ق.م. ينظر: مفيد عرنوق، صرح ومهد الحضارة السومرية، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1999م، ص - ص 60 - 61.

² _ سميع دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الاسلام، ص - ص 36 - 38.

³ _ تيماء: بُلَيْدٌ في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاجّ الشام ودمشق. ولما بلغ أهل تيماء في سنة تسع وَطْءُ سَيِّدنا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وادي القرى أرسلوا إليه وصالحوه على الجزية وأقاموا ببلادهم وأرضهم بأيديهم، فلما أجلى سَيِّدنا عمر بن الخطاب اليهود عن جزيرة العرب أجلاهم معهم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 67.

⁴ _ سميع دغيم، المرجع السابق، ص - ص 38 - 39.

⁵ _ المرجع نفسه، ص 21.

أما المصادر المسيحية أشهرها ماكتبه "يوزبيوس" (265-34 ق.م)، وما كتبه صاحب كتاب تاريخ الحروب "بروكوبيوس" مؤرخ القائد البيزنطي المشهور "يليراريوس" من حروب الغساسنة والمناذرة، وحملة الأحباش على اليمن¹.

تمكّن "كورش"² بحكمه الجديد لبلاد فارس من إخضاع بلاد الشام لسيطرته سنة 538 ق.م، وفي عهده تمّ إعادة اليهود من السّبي عندما دخل بابل، وبهذا الاستعمار انقطع عصر العرب الساميين حيث لم يعد إلّا بعد ألف عام أي في عهد سيّد البرية النبيّ العظيم محمّد صلّى الله عليه وسلم وأصبحت الشام جزءاً من الإمبراطورية الفارسية وكانت دمشق المدينة الرئيسة في العهد الفارسي، وتعتبر هذه المرحلة من أكثر العصور غموضاً في تاريخ بلاد الشام³.

ويبدو أن صلات العرب القدامى بالفرس كانت وثيقة، وكثيراً ما دخل العرب أمصاراً واستوطنوها وهي خاضعة لنفوذ الفرس خصوصاً في بلاد ما بين الرافدين وشمالى بلاد الشام وجنوبي العراق. وليس أدل على ذلك سوى ما ذكر من علاقة إمارة المناذرة في الحيرة بملوك فارس. فالعرب كانوا طرفاً في الحرب الدائرة بين الفرس والروم؛ فالمناذرة والّوا الفرس والغساسنة والّوا الروم. وكان التأثير متبادلاً بين الفرس والعرب في العادات والتقاليد

¹ - سميع دغيم، أديان ومعتقدات العرب، ص - ص 21 ، 22.

² - كورش: في أواسط القرن السادس قبل الميلاد في سنة 552 ق.م أو 550 ق.م ظهر أمر كورش الثاني الملقب بكورش الأكبر بن قنبوسيا فنهض بقومه الفرس وأخضع الميديين والعلاميين بعد أن دانت له فارس فتوجّ ملكاً وأصبح إمبراطوراً لهذه الأقاليم الثلاثة (فارس وميديا وعلام) وأسس دولة الكيانيين المشهورة. ينظر: علي ظريف الأعظمي، تاريخ الدولة اليونانية والفارسية في العراق، تقديم وتعليق عزّة رفعت، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد - الظاهر، 2001م، ص - ص 23 - 24.

³ - أحمد إسماعيل عليّ، تاريخ بلاد الشام، ص 65.

والعبادات والمعتقدات وكثيرا ما كان الفرس يحاولون فرض معتقداتهم على عرب الحيرة وخصوصا المزدكيّة¹، فدخل العرب في ديانتهم وتزندقوا معهم².

وكانت معركة "إيسوس" عام 333 ق.م بين الفرس والإسكندر المقدوني بداية نهاية الفرس في بلاد الشام وسيطرة اليونان على هذه المنطقة، وضمّ بطليموس³ فلسطين إلى مصر، واسترجع "سلوقس" بابل والقسم الشرقي من آسيا الصغرى وبلاد الشام من الفرات حتى المتوسط حتى أضحت المملكة السلوقية السورية أعظم وأكبر الممالك التي قامت على أنقاض ممتلكات الإسكندر قوةً واتساعاً، ثم أعلنت بعد ذلك روما الحرب ضدّ السلوقيين عام 69 ق.م حيث تمكّن الروم من الانتصار عليهم واحتلت بلاد الشام كلّها في السنة الموالية في عهد "بومبي" وحكمت بلاد الشام من قبل نائب قنصل روماني⁴.

وبعد استيلاء الرومان على مَخَلَفَات مملكة الإسكندر، وخصوصا اليونان وآسيا الصغرى وبلاد الشام وشمالِي إفريقيا، أصبحوا على تماسٍ مباشر مع البلاد العربية، ثم دخلوا إلى عمق البلاد العربية مع حملة الإمبراطور "بومبيوس" عام 64 قبل الميلاد. حيث استولوا

¹ _ المزدكيّة: أصحاب مزدك. ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباذ والد أنوشروان - ملك الفرس-، ودعا قباذ إلى مذهبه فأجابه. واطّلع أنوشروان على خزيه وافترائه؛ فطلبه فوجده فقتله. حكى الوراق: أنّ قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين، والأصلين. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص - ص 294 - 296.

² _ سميع دغيم، أديان وملتقات العرب قبل الاسلام، ص- ص 39 - 40.

³ _ بطليميوس: ولد بطليميوس سنة 366/366 ق.م، من أسرة مقدونية محترمة، وقد كان له دور إيجابي في انتصارات الإسكندر المقدوني في حملته على بلد فارس، ثم أصبح من القيادات المهمة؛ فواليا على مصر سنة 323 ق.م، وساهم وهو واليا على مصر ثم ملكا فيما بعد في تشكيل إمبراطوريات الخلفاء والتثبيت البطيء للدول الهلينستية التي كان لها قطعا تأثيرا على تاريخ العالم. ينظر: محمد فهمي عبد الباقي، محاضرات في تاريخ مصر البطلمية، د.ط، مدوّنة نهضة العرب، مصر، 2011م، ص - ص 30 - 31.

⁴ _ أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ص66.

على مملكة النبط أيام ملكهم "الحارث". ولا ننسى اتصالهم بمملكة "تدمر" وسيطرتهم عليها وعلاقتهم بالغساسنة واعتبارهم عمالا لها على البلاد العربية. كما أن قيصر بيزنطة عام 356م "قسطنطين الثاني" عمل على إرسال بعثة نصرانية تبشّر بالدين المسيحي. ومن آثار الرومان ببلاد الشام القلاع والحصون والمعابد في "جرش الأردن"، وقلعة "بعلبك" في لبنان، ودير "البلمند" في شمالي لبنان. وكانت هذه المناطق تعج بالقبائل العربية¹.

الهند: العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد، والغالب عليهم الفطرة والطبع. وأنّ الروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد والغالب عليهم الاكتساب والجهد²

¹ _ سميع دغيم، أديان ومتقدّات العرب قبل الاسلام، ص - ص 40 - 41.

² _ الشهرستاني، الملل والنحل، ج 2 - ص 578.

ثانياً: تدوين التاريخ عند العرب القدامى

1_ كتابة التاريخ وحفظه في جزيرة العرب

أفضل البلاد المعمورة بين شقّ الأرض الشمالي إلى الجزيرة الكبرى، وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس "ماروي" تُقَطَّع على أربعة أقاليم، فجنوبيّها: اليمن، وشماليتها: الشام، وغربيّها شرم أيلة¹ وما أطَرَدَتْهُ من السواحل ممتدة إلى غاية مدينة القُلُزْم². وفُسْطَاط³ مصر، وشرقيّها: عمّان والبحرين وكاظمة والبصرة، وموسطها: الحجاز وأرض نجد والعروض، وتسمى جزيرة العرب، لأنّ اللسان العربي في كلّها شائع⁴.

أما عرب الحجاز فكان لهم تراث قصصي شفهي تمثل في "الأيام" المعروفة ولهم حفظ الأنساب وما يتعلّق بها، وأما أصول التاريخ بالجاهلية نوعان: قصص ديني وتُنْي أو يهودي ومسيحي نقله الأخبار والرهبان، أو أخبار من التاريخ الفارسي، والنوع الآخر: روايات جماعية بدويّة المنشأ تحمل اسم "الأيام" تَضُمّ التاريخ البدوي للقبائل. وأما الأنساب فهي سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية القبلية للتعارف والتمايز⁵.

¹ _ أيلة: الشرم الشق. وشرم أيلة: هو شرم السبع اليوم وأيلة: ميناء مشهور، وهو ميناء الأردن والحجاز وفلسطين. لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي بن الأكوع الحوالي، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1410هـ/1990م، ص39.

² _ القُلُزْم: كانت مدينة على ساحل البحر الأحمر من أرض مصر وبها سمي البحر القلزم البحر الأحمر. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص39.

³ _ الفُسْطَاط: البيت من آدم أو نحوه كالخيمة، وهي أول مدينة عمرت للمسلمين في القطر المصري وسميت بالفسطاط لأن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما فتح مصر ضرب فسطاطه هناك. ينظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص39.

⁴ _ الهمداني، المصدر نفسه، ص39.

⁵ _ شاكر مصطفى، التاريخ والمؤرّخون العرب، ج1، ص - ص 54 - 55.

العرب أمراء الكلام، ومعادن العلوم والأحكام، وأهل الشجاعة، وأهل الشيمة والحياء، والكرم والوفاء والمروءة، أَحْكَمَتْهُمْ التجارب، وأدَّبَتْهم الحكمة، والعرب جيل من الناس لم يزلوا مَوْسُومِينَ بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق، والذَّلَاقَةُ¹ في اللسان، ولذلك سموا بهذا الاسم فإنه مشتق من الإبانة، لقولهم أعرب الرجل عما في ضميره إذ أبان عنه، ومنه قوله صَلَّى الله عليه وسلم: «الْثَّيْبُ تُعَرِّبُ عَنْ نَفْسِهَا»²، والعرب أربع طبقات وهم: 1- العرب العاربة: وسمّوا بهذا إما لرسوخهم في العروبية، أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمُبْدَعَةُ لها. 2- العرب المُسْتَعَرِبَةُ: من بني حَمِير بن سبأ، وسمّوا بهذا الاسم لأن السّمات والشعائر العربية انتقلت إليهم، فانقلوا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم وهي اللّغة العربية. 3- العرب التابعة للعرب: من قضاة وقحطان وعدنان وشعبيها العظيمين مُضر وربيعة. 4- العرب المُسْتَعْجَمَةُ: ومن له ملك بدوي بالمغرب والمشرق، وسمّوا بذلك لاستعجام لغتهم على اللّسان المُضْري الذي نزل به القرآن الكريم³.

ومكّة المشرفة وهي بلدة مستطيلة كبيرة تَسَعُ من الخلائق مالا يحصيهم إلا الله تعالى، في بطن وادٍ مقدّس، والجبال مُحَدَقَةٌ بها كالسور لها، وهي بأرض الحجاز أي: مكّة المكرّمة والمدينة المنورة، واليمامة، ومخاليفها. وقد عرّف الحجاز الإمام الشافعي رضي الله عنه، وغيره⁴.

¹ _ الذَّلَاقَةُ: دَلَقُ اللّسان: أي حديد بليغ. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 885.

² _ الحديث: أخرجه ابن ماجة في سننه بسنده، كتاب النّكاح، باب اسْتِئْمار الْبِكر والثَّيْب، حديث رقم: 1872، ص 602.

³ _ محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تصحيح محمّد بهجة الأثري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1314هـ، ج1، ص- ص 9 - 11.

⁴ _ محمّد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمّد حامد الفقي، ج1، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م، ص - ص 30-31.

وبنيت بمكة المكرمة الكعبة المعظمة عشر مرات منها: بناء الملائكة وبناء آدم، وبناء أولاده، وبناء إبراهيم الخليل على جميعهم الصلاة والسلام، ومنها بناء العمالق، ومنها بناء جرهم، ومنها بناء قصي بن كلاب، ومنها بناء قريش، ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، ومنها بناء الحجاج بن يوسف الثقفي¹.

والمحصلة من العرب الجاهلية كانت على ثلاث أنواع من العلوم أحدها: علم الأنساب والتواريخ والأديان، ويعدونه نوعاً شريفاً، خصوصاً معرفة أنساب أجداد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، والاطلاع على ذلك النور الوارد من صلب ساداتنا إبراهيم إلى إسماعيل عليهما السلام، وتواصله في ذريته إلى أن ظهر بعض الظهور في أسارير عبد المطلب "سيد الوادي"، "شبيبة الحمد"، وسجد له الفيل الأعظم، وعليه قصة أصحاب الفيل، وأما النوع الثاني: فهو علم الرؤيا وكان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ممن يعبر الرؤيا في الجاهلية فيصيب، فيرجعون إليه ويستخبرون عنه، وأما النوع الثالث: فهو علم الأنواء² وذلك مما يتولاه الكهنة³ والقافة⁴ منهم، وعن هذا قال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم:

¹ _ محمد أحمد الحسني الفاسي المكّي، المصدر السابق، ج1، ص47.

² _ علم الأنواء: النوء: نجم يُستدل به على المطر، والعرب تجعل النوء للغارب لأنه ينهض للغروب متناقلاً. ينظر الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م، ج2، ص589.

³ _ الكهنة: من الكهانة: وهي ادعاء علم الغيب. ينظر: الشهرستاني، المصدر نفسه، ج2، ص589.

⁴ _ القافة: من القيافة: وهو علم يبحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في المقابلة للأثر. ينظر الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص589.

«مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»¹ الحديث.²

لم يكن للعرب قبل مبعث سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم من مادّة التاريخ إلّا ما توارثوه بالرواية، مما كان شائعاً بينهم من أخبار الجاهلية الأولى، كحديثهم عن آبائهم، وأجدادهم، وأنسابهم، وما في حياة الآباء والأجداد من قصص، فيها البطولة وفيها الكرم، وفيها الوفاء، ثمّ حديثهم عن البيت وزمزم وجُرهم³ وما كان من أمرها، ثمّ ما كان من خبر البيوتات التي تناوبت الإمرة على قريش، وما جرى لسد مأرب، وما تبعه من تفرّق في البلاد، إلى أمثال هذا مما قامت فيه الذاكرة مقام الكتاب، واللّسان مقام القلم، يعي النّاس عنه، ويحفظون ثمّ يؤدّون⁴.

وأما قبل الإسلام فقد كان بنو إبراهيم عليه السلام، يؤرّخون من نار سيّدنا إبراهيم عليه السلام إلى بنيان البيت العتيق حين بناه سادتنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ثمّ أرّخ بنو

¹ _ الحديث: حديثُ زيد بن خالد أخرجه مسلم حديث رقم: 71. وأخرجه البخاري في "كتاب الصلاة"، "باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم" حديث رقم: 810. وأخرجه أبو داود في "كتاب الطب"، "باب في النّجوم" حديث رقم: 906. وأخرجه النسائي في "كتاب الاستسقاء" "باب كراهية الاستمطار بالكوكب" حديث رقم: 1524.

² _ الشهرستاني، المصدر نفسه، ج2، ص589.

³ _ جرهم: من قبائل العرب العاربة، أي العرب الخُصّ، أصهار سيّدنا إسماعيل عليه السلام لما أنزله أبوه سيّدنا إبراهيم عليه السلام مكّة المشرفة، فتزوّج إسماعيل امرأة من جرهم، فولدت له اثني عشر ولداً، منهم: نبت، وقيدار. ينظر: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1402هـ/1982م، ص107.

⁴ _ ابن هشام - السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، د.ط، مؤسّسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1426هـ/2005م، ص4.

إسماعيل من بُنيان البيت حتى تفرّقوا، فكان كلما خرج قوم من تهامة¹ أرخوا بمخرجهم، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بن زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤي، وأرخوا من موته إلى الفيل².

ثم كان التاريخ من الفيل حتى أرخ سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وقد كان كل طائفة من العرب تؤرّخ بالحادثات المشهورة فيها ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم، وفي ذلك قول بعضهم:

ها أنا ذا آملُ الخلود وقد *** أدرك عقلي مولدي حجراً

وقال الجعدي:

فمن يكن سائلاً عني فإني *** من الشُّبَّان أيام الخِتان

وكل واحد أرخ بحادث مشهور عندهم فلو كان لهم تاريخ يجمعهم لم يختلفوا في التاريخ³.

وجاء عن أخبار مكّة المكرمة قول ابن إسحاق: "أنّ قريشا وجدت في الركن كتاباً بالسرّانية، فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود، وإذا فيه: "أنا الله ذو بكّة خلقتها

¹ - تهامة: وهي قلعة من اليمن وهي جبال مشتبكة أولها من البحر القلزمي ومشرفة عليه، وتمر منها قطائع في جهة المشرق، وحدود تهامة في غربيها بحر القلزم وفي شرقيها جبال متّصلة من الجنوب إلى الشمال. ينظر: أبو عبد الله محمّد الإدريسي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، مج1، ص 148.

² - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1987م، مج1، ص 13.

³ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج1، ص - ص 13 - 14.

يوم خلقت السماوات والأرض، وصوّرت الشمس والقمر، وحفّفها بسبعة أملاك حُفَاء، لا تزول حتى يزول أخشباها¹، مُباركٌ لأهلها في الماء واللّبن².

وللشعر الجاهلي أهمية كبرى، وليس أدلّ على ذلك ممّا روي عن "عكرمة" تلميذ ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: "ما سمعنا ابن عباس فسّر آية من كتاب الله عزّ وجلّ إلّا نزع فيها بيتا من الشعر، وكان يقول: "إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله، فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، به حُفظت الأنساب، وعُرفت المآثر، ومنه تُعلّمت اللّغة، وهو حجة فيما أشكّل من غريب كتاب الله، وغريب حديث سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وحديث صحابته والتابعين". وعن ابن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كان الشعر علّم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه، فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلو عنه بالجهاد، وغزو فارس والروم، ولهيّبت عن الشعر وروايته، فلما كُنز الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنّت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يئلوا إلى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب بالموت والقتل، فحفظوا أقلّ ذلك، وذهب عنهم أكثره"³.

2_ الكتابة التاريخية عند عرب جنوب الجزيرة

لقد كان في الجزيرة العربية في الدور الجاهلي مجتمعات بدوية وأخرى مستقرة، ففي جنوب الجزيرة، تشير الكتابات والنقوش إلى ظهور ممالك خلال المدة 1200 ق.م و527م، وقد خلّفت هذه الممالك كتابات تتراوح تواريخها بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي، تسجل أعمال البرّ والتقوى، وتقديم الجزية، ومشاريع الري، وإنشاء الأسوار

¹ _ الأخشبان: قال ابن هشام: أخشباها: جَبَلَاهَا. ينظر: أبو بكر أحمد ابن أبي خيثمة، التاريخ الكبير، تحقيق صلاح فتحى هلال، ط1، الفاروق الحديثة، القاهرة، 1424هـ/2004م، ج1، ص140.

² _ ابن أبي خيثمة، المصدر السابق، ص140.

³ _ أحمد أمين سليم - تاريخ وحضارة العرب - ص61.

والشخصيات والحملات العسكرية. وبدأت هذه الكتابات بطريقة مشوشة في البدء إلى أن أُدخل تقويم ثابت للتأريخ، ويشير الهمذاني إلى وثائق ملكية وسجلات حميرية، حُفظت واستفيد منها فيما بعد، وإلى "زَيْر" أو وثائق وسجلاتٍ للأنساب حفظتها بعض العوائل والبطون¹.

وشكّل جنوب جزيرة العرب منذ أقدم العصور مركزاً حضارياً متقدماً؛ حيث قامت على أرضه إحدى أقدم الممالك العربية، فمملكة سبأ: تشكّلت قبل عشر قرون من الميلاد، واستمرت إلى أن سيطر عليها الحميريون في القرن الأول قبل الميلاد. وسبأ اسم أرض في شرق اليمن على ضفاف وادي "أذنة" وأشهر حواضرها مأرب، وقد يطلق اسم سبأ على أرض اليمن كلّها، وهذا الاسم من الفعل سَبَأَ في اللغة اليمنية القديمة غزا أو قام بغزوة. وقد جاءت كلمة سبأ في العهد القديم حوالي ثلاث وعشرين مرة، وفي القرآن الكريم في سورة النمل: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾²، وتاريخ سبأ عمود التاريخ اليمني القديم³.

وعلاوة على ما جاء من أخبار في العهد القديم، وعند الكتاب الكلاسيكيين فالنقوش العربية الجنوبية لها المقام الأول بين المصادر التاريخية. كذلك الحال مع نقوش الملوك الآشوريين التي جاء فيها ذكر تلك البلاد خاصة اعتلاء ملوك سبأ الأقدمين عرشها. كذلك النقوش البابلية لها مكانتها، فهي تقدّم لنا عدداً كبيراً من أسماء الأعلام العربية الجنوبية⁴.

¹ _ عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص16.

² _ سورة النمل: الآية 22.

³ _ عفت وصال حمزة، نساء حكمين اليمن، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1420هـ/1999م، ص - ص 15 - 16.

⁴ _ ريتلف نيلسون وآخرون، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين عليّ، مراجعة زكي محمد حسين، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1975م، ص59.

ومن المصادر الأخرى التي يجب أن تُعنى بها لتاريخ الفترة الواقعة فيما بين القرون المسيحية الأولى وبين مجيء الإسلام الكتب العربية والسريانية والبيزنطية والحبشية، ولو أنّ المصادر الأصلية مازالت حتى اليوم هي النقوش العربية الجنوبية¹.

دولة معين: قامت دولة معين بين نجران وحضرموت في منطقة الجوف شمال اليمن، وهي من أوائل الدول التي تظهر في التاريخ القديم لشبه الجزيرة العربية، وكانت مركزاً حضارياً هاماً، ومصادر دراسة هذه الدولة تتركز في الكتابات التي تركها المعينيون، وكتابات ديودوروس الصقلي وسترابون² وبليني، وقد ذكرنا أن عاصمتهم "قرناو"، وقامت في حدود 1500 - 1200 قبل الميلاد³.

دولة حضرموت⁴: وهو الاسم المستعمل حتى الآن، وتقع حضرموت إلى الشرق من اليمن على ساحل بحر العرب، وتعرف كذلك باسم "كاترو موتاي". وتوصلت جهود البعثات الأثرية في المنطقة إلى عدد كبير من النقوش، -تجاوز الألف نقش- أهمها نقش منطقة "العقلة" التي

¹ - ريتلف نيلسون وآخرون، المرجع نفسه، ص 59.

² - استرابون: جغرافي ومؤرخ روماني عاش في فترة حكم أغسطس وتيبريوس من بعده وتوفي سنة حوالي 21م. أمضى معظم حياته فيما بين سقوط الجمهورية وقيام الإمبراطورية. كان ذا ثقافة عالية وإلمام كبير بأحوال ونظم الجمهورية الرومانية التي زار معظم أقاليمها. وهو مصدر مهم في وصف مصر والإسكندرية، حيث أنّه حذر إلى مصر وأقام بها 4 سنوات ابتداء من سنة 24 ق.م. ينظر: مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م، ص، ص 17 - 18.

³ - حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، ص 75.

⁴ - **حضرموت:** سُميت بحاضر ميّت وهو أول من نزلها، واسمها في التوراة حاضر ميّت، وقيل سميت بحضرموت بن يقطن، وقيل اسم حضرموت عمرو بن قيس الحميري. وقيل حضرموت اسمه عامر بن قحطان. وحضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف. وبها قبر سيدنا هود عليه السلام. فتحها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن راسل أهلها فدخلوا في طاعته. ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ج2، ص - ص 269 - 270.

تضمّنت قائمة بأسماء حكام حضرموت وسبأ، وكانت هذه الدولة في مجال القرن الخامس قبل الميلاد¹.

دولة قتبان: وقد جاء ذكرها عند سترابون، وتقع بالجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وأهم مدنها كانت "تمنع" على ساحل المحيط الهادي، وأُخْتُلِفَ في تاريخ نشأتها مابين الألف قبل الميلاد، أو الستمئة، أو الخمسين قبل الميلاد. ومصادر تاريخها النقوش كنقش جيلازر، وريكانز، ونقش الملك، "شهر هلال بن ذر أكر" وكتابات المؤرخين اليونان والرومان².

كانت الملكة بلقيس اليمنية الحميرية وقومها يعبدون الشمس من دون الله، ثم أسلمت لله ربّ العالمين قبل القرون العديدة من بعثة نبيّنا وسيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. وقصّ الله علينا في سورة النمل ما كان بينها وبين سيّدنا سليمان عليه الصلاة والسلام³.

ولسبأ أهمية خاصة في جنوب الجزيرة العربية، ويرجع ذلك إلى الصلة التي ربطت بين ملكة سبأ وسيّدنا سليمان عليه السلام، حيث وردت أخبار هذه العلاقة في التوراة والقرآن الكريم. وتشير الأدلة الأثرية التي كُشف عنها في العراق القديم ورود اسم سبأ في النقوش الآشورية التي ترجع إلى عهد الملك سرجون الثاني (721 - 705 ق.م) في معرض الدول التي تؤدي إليه الجزية. وقد أشارت بعض كتابات المؤرخين والرّحالة اليونان والرومان إلى دولة سبأ. وكان المؤرخ اليوناني "ثيوفراستس" أول من أشار إليهم⁴.

¹ _ حسين الشيخ، العرب قبل الاسلام، ص80.

² _ حسين الشيخ، المرجع نفسه، ص - ص 85 - 88.

³ _ محمد بن محمد الحسني الصنعاني، الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، د.ط، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، 1404هـ/1984م، ص9.

⁴ _ حسين الشيخ، العرب قبل الاسلام، ص - ص 90 - 96.

وكلمة خبر: بمعنى البحث والفحص ومعنى الأخبار أيضاً، والتي اضطربت تفاسير اللغويين لأصل هذه الكلمة وشكّوا في عروبته حتى أعطوها أصلاً فارسياً: "ماه روز" قالوا إنها حرفت عنه، والأرجح أنّ جذرها "ورّخ" جذر سامي ولكنّه مأخوذ من لغة اليمن الجنوبية، ومعناها الأول هناك هو القمر أو الشهر¹.

اهتم السبئيون ببناء معاهد الآلهة وتقديم القرابين لها، وتشير النقوش إلى تشييد المعابد في "صرواح" و"مأرب" وغيرهما، وأشهرها معبد للإله ألمقة في مأرب، ويسمى "معبد أوام"، ويعرف حالياً باسم "محرم بلقيس"².

ومكّنت اللقى الأثرية التي عُثر عليها من التعرّف على ديانة السبئيين؛ حيث عُرف عنهم التّعبد والنجوم من ذلك شمس وعثر وألمقه أي الشمس والزهرة والقمر، وكان الأخير الاسم الرسمي لمملكة الآلهة في سبأ، وارتبط الإله أحياناً بمواقع مثل نجران ومدر وأوام وصرواح، حيث وجدت أماكن عبادة³.

ويُعتمد في دراسة تاريخ سبأ على الأدلة الأثرية السبئية والكتابات السبئية التي عُثر عليها في مناطق عدّة من جنوب الجزيرة العربية وبخاصّة في "الجوف" مقرّ السبئيين. وأُرّخت الأحداث نسبة إلى الأشخاص، وبعض الأحداث الهامة. كما ورد ذكر كلمة "سبأ" في التوراة، وبالقرآن الكريم في سورة سميت باسم "سبأ" برقم: (43) من الكتاب المبين، وكانت هذه المملكة من حدود 800 قبل الميلاد إلى 520 للميلاد⁴.

بلاد اليمن: لا ريب أنّ الأحداث الهامة كانت تستثير اهتماماً طبيعياً عند العرب قبل الإسلام، ويتمّ التعبير عنها بأدوات مختلفة، قد تكون أسطورة أو قصّة أو نسباً أو نظماً أو

¹ _ شاکر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ص39.

² _ حسين الشيخ، السابق، ص - ص 97 - 98.

³ _ عفت وصال حمزة، نساء حکمن اليمن، ص - ص 24 - 25.

⁴ _ حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، ص - ص 90 - 95.

نقشاً أو سجل أحداث، وبالفعل قد تمّ اكتشاف نقشٍ عربي باقٍ وُضع لما قام به امرئ القيس، كما تمّ العثور على نقش آخر يشير على الأرجح إلى تدمير خيبر ويرجع إلى سنة 78هـ¹.

وأول الإخباريين وأهمهم من الذين رَوَوْا تاريخ اليمن القديم بشكل قصص، اقتبسها مؤرّخونا ونقلوا الشيء الكثير منها إلى كتبهم، منهم: كعب الأحبار (ت 32هـ/652م)²، ووهب بن مُنبّه (ت 114هـ/732م)³، وعبيد بن شربة الجرهمي (ت 67هـ/686م)¹، وروايات هؤلاء عمدة مؤرّخي صدر الإسلام².

¹ _ محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتأريخ عند العرب، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 12.

² _ سيدنا كعب الأحبار رضي الله عنه: هو كعب بن ماتع، وهو كعب الأحبار، يكنى أبا إسحاق. أدرك عهد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، كان إسلامه في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج 4، ص - ص 460 - 461.

³ _ وهب بن مُنبّه: بن كامل اليماني الصنعاني الدماري أبو عبد الله الأبنائوي ولد سنة 34هـ/654/655م. وتوفي رحمه الله سنة 116هـ/734م بصنعاء. قال الإمام الذهبي: ابن كامل ابن سيج بن ذي كِبَار، وهو الأسوار الإمام، العلامة الأخباري القصصي، أبو عبد الله الأبنائوي أخو همام بن منبّه، ومعل وغيلان ابنا منبّه، ولد زمن سيدنا عثمان ابن عفّان رضي الله عنه. ورحل وحجّ وأخذ عن ابن عبّاس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، والتّعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، وطاووس، حدّث عنه ولده، عبد الله وعبد الرّحمن، وعمرو بن دينار، وسماك بن الفضل، وعاصم بن رجاء بن حيوة، وداد بن قيس، وإسرائيل أبو موسى، وهمام بن نافع، والمغيرة بن حكيم، وابني أخويه عقيل وعبد الصمد، وأبو الهذيل، وعمران بن خالد الصنعانيون، وخلق سواهم. روايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب، قال الإمام احمد: كان من شرفاء أهل فارس. =قال العجلي: تابعي ثقة. وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة. وعن مسلم الرّنجي عن المثني بن صباح، قال: "لبث وهب بن مُنبّه أربعين سنة لم يسبّ شيئاً فيه الروح؛ ولبت عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً. قال: وقال وهب: لقد قرأت ثلاثين كتاباً نزلت على ثلاثين نبياً. وقال وهب لعطاء الخراساني: قرأت نيّفاً وتسعين كتاباً من كتب الله، منها سبعون ظاهرة في الكنائس، ومنها عشرون لا يعلمها إلا القليل، فوجدت فيها كلّها: "أنّ من وكلّ إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر". وكان يقول: المؤمن يخالط ليعلّم، ويتكلّم ليفهم، ويخلو ليغنم. وله قول بليغ في ذمّ الخوارج، وتاب على يده "ذا الخولان" عن قول =

وعرب ما قبل الإسلام لم يكونوا بعيدين عن التأريخ، وكل جماعة منهم كان لها على طريقتها وبمقدار سَوِيَّتِها الحضارية تأريخها الخاص بعضه مدوّن أو منقوش وبعضه شفهي. وهو تراث واسع من الكتابات والنقوش والأخبار العديدة جداً والمتفاوتة في الأهمية تفاوتها في الصّحة والصدق وما كانت كلّها مدوّنة بلغة قريش والقرآن الكريم، فعرب اليمن بالجنوب لهم على أوابدهم الأثرية والمعابد والقلاع والسدود نقوشهم بالمسند، خطّهم الخاص، وبلغة الجنوب الخاصة، يذكرون فيها أعمال الدّين، والخبر، والجزية، وبناء الأسوار، والمعابد والحصون والحملات العسكرية، وقد دخل إليهم بعد سنة 115 ق.م تقويم ثابت. وكذلك كان العرب المناذرة بالحيرة، وعرب الشام، وجماعة ثمود وأهل الصفا، ولم يُؤثّر على الغساسنة مؤلفات تاريخية فتأريخ تاريخهم بين ما يضمّ تاريخ البيزنطيين، وما تروي الأخبار العربية البدوية³.

3_ التورخ في بلاد العرب شمال الجزيرة

الشَّامُ والشَّامُ والشَّامُ⁴ وهو الاسم الذي أطلقه الجغرافيون العرب، من الغرب والبادية الممتدة من أيلة الفرات، ثمّ من الفرات إلى حدّ الروم، وشماليتها بلاد الروم، وجنوبيها حدّ مصر وتية

=الخوارج. ينظر: السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 48./الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص - ص 545 - 557.

¹ _ عبيد بن شريّة الجرهني: ويُقال عمير بن شُبْرَمَة. قال هشام بن محمّد الكلبي، عن أبيه قال: عاش عبيد بن شريّة الجرهني مائتي سنة وأربعين سنة، ويُقال ثلاثمائة سنة، وأدرك الإسلام فأسلم، وأتى سيّدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وهو خليفة. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص 536.

² _ محمّد أحمد ترحيني، المؤرخون والتأريخ عند العرب، ص 14.

³ _ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، ج1، 1983م، ص - ص 52 - 54.

⁴ _ أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 197هـ/1997م، ج3، ص 311.

بني إسرائيل، وآخر حدودها مما يلي مصر رَفَح ومما يلي الروم الثغور¹، أي أنّ بلاد الشام كانت تضمّ الرقعة التي تشغلها الآن سورية ولبنان والأردن وفلسطين، وهذا على مدى طويل إلى غاية تقسيمها بفعل الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى².

والواقع أنّ هجرة القبائل العربية لم تتوقف من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام عبر العصور القديمة، لأسباب عدة منها: مزاولة التجارة، والجفاف المتزايد لشبه الجزيرة من عصر لآخر، والحروب التي كانت تقع من حين لآخر بين القبائل العربية. وبلاد الشام ما هي إلا امتداد لشبه الجزيرة العربية من ناحية الشمال. ومع موجة الفتوحات العربية في صدر الإسلام، اندفعت القبائل العربية وبطونها إلى الشام، حاملةً معها الدماء واللغة العربيتين والدين الإسلامي إلى تلك البلاد. وانقسموا إلى بدو وحضر³.

إنّ القبائل التي كانت قاطنة في الشام في الفترة السابقة للفتح كانت إمّا قُضاعية أو قحطانية، وكانت النصرانية منتشرة فيهم. فأمرأ الغساسنة كانوا على هذه الديانة الذين تلقّوا الدّعم من روما، ولذلك كانت الديانة السائدة⁴.

الشّام: بفتح أوله، وسكون همزته أو فتحها، ولغة ثالثة بغير همز. وسمّيت بالشّام لِشّام بني كنعان بن حام إليها، أو لأنّ سام بن نوح أول من نزلها، فجُعِلت السين شيئاً، وكان اسمها سورى. وحدّها من الفُرات إلى العريش طولاً وعرضاً من جبلي طيء إلى بحر الروم، وجهاً

¹ _ الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق دي غوجه M.J.Degoeje، د.ط، مطبعة بريل، ليدن - هولندا، 1927م، ص55.

² _ نجدت حمّاش، الشام في صدر الإسلام، ط1، دار طلاس، دمشق، 1987م، ص37.

³ _ محمود محمّد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1979م، ص - ص 15 - 16.

⁴ _ نجدت حمّاش، الشام في صدر الإسلام، ص63.

من أمّهات المدن: منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق وبيت المقدس، وفي سواحلها عكا وصور وعسقلان¹.

أما عن اسم سورية بلاد الشام فقد اختلف الباحثون حول أصل التسمية، فالبعض يذكر أنّ الكتاب المقدس أورد اسم سورية بـ"آرام" نسبة إلى "رام" أحد أبناء سام ابن نوح، لأنّ أكثر سكانها القدماء كانوا من صلبه، وقد أعطى العرب لهذه البلاد اسم "الشام" لوقوعها إلى اليسار من الحجاز أما اسم سورية فهي عربية، استعمله البابليون وأطلقوه على إقليم في الفرات الأعلى باسم "سوري". ويظهر هذا الاسم بمدينة أوغاريت² من خلال الكتابات الأدبية المكتشفة³.

ويذكر البعض أنّ اليونان من سمّى سورية بهذا الاسم، نسبة إلى صور المدينة البحرية بعد إبدال الصاد سيناً، أو نسبة إلى "أسور" أو "أسيريا" وهي بلاد الآشوريين اللذين تولّوا أعمال سورية⁴.

والشام: بلاد كثيرة وكوثر عزيمة وممالك، وقسمت الأوائل الشام أقساماً الأولى: فلسطين وفيها غزة والرملة، والشام الثانية: مدينتها العظمى طبرية والغور واليرموك، والثالثة: الغوطة ومدينتها العظمى دمشق، ومن سواحلها طرابلس الشام، والرابعة: أرض حمص وقنسرين

¹ - صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مرصد الإطلاع على أسماء الأماكن والباقاع، تحقيق وتعليق محمد علي البجاوي، ط1، دار الجبل، بيروت، 1412هـ/1992م، مج2، ص775.

² - أوغاريت: (رأس شمرا) مدينة كنعانية تقع شمال اللاذقية، سكنت منذ الألف السادسة قبل الميلاد عمل أهلها في التجارة ما بين مصر وبلاد ما بين النهرين، عرفت بصناعة الأرجوان. هاجمها الإيجيون شعوب البحر وقضوا على حضارتها سنة 1200 ق.م. ينظر: سعد صائب، دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ، ط1، دار طلاس، دمشق، 1999م، ص93.

³ - أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ط3، دار دمشق، دمشق، 1994، ص- ص27 - 28.

¹ - أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ص - ص27 - 28.

ومدينتها العظمى حلب وساحلها أنطاكية، والشام اسم لجميع ذلك من الكور، وأول طول الشام من ملطية إلى رفح¹.

ويروي الإمام ابن عساكر مؤرخ دمشق عن كعب قال: "أول حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط حرّان ودمشق وبابل". وذكر عن منصور بن يحيى بن سعيد الموصلي أنه قال: "المدن القديمة الكعبة ومصر ودمشق والجزيرة والأبلة² ونيوى³

¹ _ محمد الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص335.

² _ الأبلة: مدينة بالعراق عامرة بالناس وهم في خصب من العيش ورفاهية. وفي قول محمد بن سيرين القرية التي مرّ بها سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيّقوهما وهي مدينة قديمة وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بحفر نهرها. فتحها عتبة بن غزوان في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه. الحميري، المصدر السابق، ص8.

³ _ نينوى: كورة من كور الموصل، وإلى أهلها أرسل سيدنا يونس بن متى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، وكان قومه يعبدون الأصنام. فكان من أمره وأمر قومه ما نصّه الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾ الآية: 98 سورة يونس. وهي مدينة سيدنا أيوب على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، وهي عامرة وبها عين "ثرة"، وهي العين التي استحمّ بها سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام وتطهّر وغسل نفسه من البلاء الذي كان به. وهناك تُعرف عينٌ بعين يونس، ويأوي إلى المسجد الثّساك. وأول من بنا هذه المدينة ملك يُقال له "بسوس" وكان ملك الموصل مُحارباً لملك نينوى، ثمّ غلب ملك الموصل على نينوى، ورجعت جميع هذه الممالك إلى ملوك فارس، حتى أتى الله بالإسلام، وقد خربت وآثار سورها بيّنة، وأصنام من حجارة مكبوبة على وجوهها. ينظر: محمد الحميري، الروض المعطار، ص - ص 585 - 586.

وحرّان¹ و"السوس الأقصى"، والذي بنا مدينة دمشق هو الملك الكرواتي "بيوراسب" وروى وهب بن منبه أنّ الذي بناها هو غلام سيّدنا إبراهيم عليه السلام وكان اسمه دمشق، وسكنها الروم بعد ذلك².

ويقول أبو عبد الله محمّد المقدسي عن بلاد الشام أنّها أكثر البلاد بركات وصالحين وزهّاد ومشاهد، وهي إقليم الأخيار كثيرة الأنهار³.

وقد سمّاها الأقدمون سوريا وقسموها إلى قسمين، الأول: سوريا، والثاني: فلسطين، وأمّا الرومانيون فسمّوا القسمين معاً سوريا وسمّاها المسلمون شاماً بعد فتحها. وذكر الحافظ السهيلي في كتابه "التعريف والأعلام": الشام بالسرّانية الطيّبُ سمّيت بذلك لطيبها وخَصْبِها، وقيل سمّيت شاماً لأنّها شمال الكعبة المشرفة، وأخبار هذه المدينة في الأيام الغابرة أكثرها غامض وأهمّ حوادثها ذكرت في التوراة. وكان عرب غسان هم عرب الشام في أيام ولاية

¹ _ حرّان: مدينة من ديار مُضَرَ، قديمة عتيقة يُقال بناها هِران أخو سيّدنا إبراهيم عليه السلام وهو أبو سيّدنا لوط عليه السلام، وهي مدينة الصابئين، وحرّان مدينة مسوّرة ومسجد جامعها داخل في مدينتها. ولها قرىّ متّصلة في كلّ قرية مسجد جامع ومنار. ويزعم الصابئون أنّ "ماني الثنوي" من أهل حرّان، وأنّه كان أسقفاً بنجران. الحميري، المصدر نفسه، ص8.

² _ أبو القاسم عليّ بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محبّ الدّين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، د.ط، دار الفكر، بيروت لبنان، 1415هـ/1995م، ج1، ص - ص 11 - 18.

³ _ شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أحمد المقدسي البشاريّ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبع بريل، ليدن - هولندا، 1877م، ص 33.

الرومانيين على سوريا نسبة إلى ماء بالشام يقال له غسان تفرّقوا إليه بعد سيل العرم باليمن، وهم من آل جفنة¹.

وعندما صارت الدولة الرومانية نصرانية امتدت النصرانية في دمشق حتى أن "ثيودوثيوس" الملك أمر بنزع عبادة الأصنام منها ومن غيرها من ممالكه، وفي أيام ابنه "أرخاديوس" تهدّم جزء من هيكل دمشق فرمّمه وحول الهيكل كلّه إلى كنيسة على اسم "يوحنا المعمدان" ولم تمض مدّة حتى صار كلّ أهلها مسيحيين على أنّ أكثر اليهود لبثوا على دينهم. ولما قويت الديانة المسيحية فصارت دمشق مركزاً عظيماً وكان راعيها يلقّب برئيس أساقفة فينيقية الثانية وتحت يده اثنا عشر أسقفاً².

ومن الشعوب التي سكنت بلاد الشام "الأموريون" من الشعوب السامية قديموا إلى بلاد الشام، وأهم ممالكهم "يمحاض" عاصمتها حلب، والفينيقيون الذين انتشرت مدنهم على طول الساحل من جبل "كانسيوس" إلى "الكرمل"، والكتابة الفينيقية هي من أوائل الكتابات في تاريخ البشرية التي أخذوا حروفها عن الهيروغليفية، وتجدر الإشارة أنّ العبرانيين كانوا تلامذة الفينيقيين فقد اقتبسوا الأدب وأدخلوه في كتاباتهم المقدّسة؛ فالزمير، ونشيد الإنشاد، بالإضافة إلى الأخبار الخرافية التي دخلت سفر التكوين وقصص الأنبياء عليهم السلام حيث بقي هذا الأمر غامضاً وغير معروف إلى أن تمّ اكتشاف مدينة "أوغاريت" من قبل بعثة فرنسية³.

ومن الهجرات الكبرى من جزيرة العرب إلى بلاد الشام هي هجرة الآراميين، واتّخذوا من دمشق مركزاً لهم ممتدةً مملكتهم من الفرات إلى اليرموك. وكذلك الصفويون القادمون إلى بلاد الشام في الهجرات العربية من جزيرة العرب، ولا يفهم أنّ كلمة عرب هم سكان الجزيرة

¹ _ نعمان قساطلي، الروضة الغناء في تاريخ دمشق الفيحاء، ج2، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، 1406هـ/1982م، ص ، ص 3 ، 13.

² _ نعمان قساطلي، الروضة الغناء، ص16.

³ _ أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ص - ص 37 - 43.

فحسب، وإنّما شملت سكان الوطن العربي بحدوده الجغرافية قبل الإسلام، واللّغة الصفويّة لهجة عربية، أو هي عربية الكتابة، كما يدلّ على ذلك أقدم نصّ يرجع إلى القرن 4 ق.م، وينتمي الحثيون إلى حام بن نوح عليه السلام من ولده كنعان الذي ولد له أحد عشر ولداً أحدهم "حث". وإحدى فُرْعَي هذا الشعب سَكَنَ شمال سوريا، ومن الآثار المتحدّثة عنهم الكتاب المقدّس، وآثارهم به قليلة مع ما يحويه من تاريخ مزوّر للصهيونية. وكذلك الآثار المصرية، والكلدانية وآثار الحثيين أنفسهم الدّالة على مستعمراتهم، وجاليّتهم وصناعاتهم، ونوع أسلحتهم، وملابسهم، ومعتقداتهم وحالة اقتصادهم، وأخذوا ديانتهم عن بابل ونشروها في بلاد الشام¹.

وكان لبلاد الرافدين تأثير حضاري على سورية بشكل عام والمدن الفينيقية خصوصاً واهتمت بذلك نقوش ونصوص ملوك العراق بوصولهم إلى ساحل البحر المتوسط، مع وجود المبالغة في هذه النصوص. ومَرَّ بهذه البلاد الآشوريون بعد انهيار الدولة الحثيّة، ثمّ بابل الكلدانية، ثمّ خضعوا للفرس، وتناوب عليهم السيادة بعد ذلك "الإسكندر المقدوني"² (356 -

¹ - أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ص - ص 46 - 62.

² - **الإسكندر المقدوني**: ولد الإسكندر المقدوني الكبير عام (356 ق.م) في مدينة (بيلا) عاصمة مقدونيا وتولّى زمام الأمور في مقدونيا عقب مقتل والده (فيليب الثاني) وتتلّمذ الإسكندر على يد الفيلسوف اليوناني أرسطو وتعلّم الفلسفة ودرس الشعر الإغريقي وحفظ الكثير من قصائد الشاعر الغنائي هوميروس وقرب بين الشرق والغرب أي بين الثقافة الغربية اليونانية والثقافة الشرقية الفارسية وعرف هذا العصر باسم العصر الهلنستي أو المتأغرق . تمكن الإسكندر المقدوني خلال مدة زمنية وجيزة من حكمه الذي أستمّر زهاء إحدى عشر عاماً من إقامة إمبراطورية عالمية مترامية الأطراف شملت قارات العالم الثلاث أفريقيا وآسيا وأوروبا وبهذا أصبح الإسكندر المقدوني والملقب (ذو القرنين) من أعظم قادة العالم القديم وأمثلة القادة العسكريين قديماً وحديثاً. ينظر: أحمد الريفى الشريف، الإسكندر المقدوني (356 - 323 ق.م)، جامعة سبها، قسم التاريخ، كلية الآداب، مجلة جامعة سبها، المجلد السادس، العدد الثالث، 2007م، ص، ص 57 - 65.

323 ق.م) بعد انتصاره على الفرس، ثم الدولة السلوقية والرومان، حتى جاء الفتح الإسلامي فبدأت معه سورية وتلك المدن عهداً جديداً تحت راية الإسلام¹.

ومن الشعوب السامية التي سكنت بلاد الشام "العبرانيون"، الذين سكنوا وهاجروا إلى جنوب بلاد الشام بفلسطين، كما يروي الكتاب المقدس في ثلاث هجرات رئيسية الأولى: من بلاد الرافدين، والثانية: تتعلّق بالآراميين، أما الثالثة: فكان على رأسها سيّدنا موسى عليه الصلاة والسلام من مصر أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتعلّم الكنعانيون عن أصحاب هذه الهجرات أصول القراءة والكتابة، وقد امتاز العبرانيون بالتمرد والغدر والتزمت في الديانة والزيف في المعتقد الخارج عن دين سيّدنا موسى عليه السلام وكتاب التوراة².

والعراق: المشهورة فهي بلادٌ. والعراقان الكوفة والبصرة، سُميت بذلك أي أنّها أسفل أرض العرب، وقيل سُمي عراقاً لأنّه سفل عن "نجد" ودنا من البحر. وقيل العراق في كلامهم الطير. وقال الخليل: "العراق شاطئ البحر". وسمي العراق عراقاً لأنّه على شاطئ دجلة والفرات. والعراق مأخوذ من عروق الشجر، فكأنّه جمع عِرْق. **والعراق:** الطور والجزيرة والعبر وقال المدائني: "عملُ العراق من هيت³ إلى الصين والسند والهند والريّ وخراسان وسجستان وطبرستان إلى الديلم والجلال وأصبهان سُنّة العراق، والعراق هي بابل"⁴.

¹ _ محمد علي سعد - تاريخ الشرق الأدنى القديم، د.ط، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2001م، ص 244 - 245.

² _ أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ص - ص 62 - 64.

³ _ **هيت:** سميت بذلك لأنّها في هوة من الأرض، والأصل فيها هَوَتْ وقال أهل الأثر أنّها سميت باسم بانيها وهو هيت بن السبئي من نسل سيّدنا إبراهيم عليه السلام، وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص - ص 240 - 241.

⁴ _ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص - ص 93 - 95.

والعراق: هي أعدل أرض الله هواء وأصحبها مزاجاً وماء فلذلك كان أهل العراق هم أهل العقول الصحيحة والآراء الراجحة والشهوات المحمودة والشمائل الظريفة والبراعة في كل صناعة مع اعتدال الأعضاء واستواء الأخلاط وسُمنة الألوان¹.

وبدأ التاريخ الفعلي للمجتمعات الإنسانية بالتسجيل والكتابة والتوثيق، وهي مرحلة بدأت في المشرق العربي في وادي الرافدين ووادي النيل، ويمكن أن تعود إلى أواخر القرن الرابع وأوائل الألف الثالث قبل الميلاد. لذلك فإن تاريخ بلاد الرافدين القديم هو جزء من تاريخ الوطن العربي ويشكل مرحلة هامة من تاريخ الإنسانية كلها، وهذا النوع من الدراسة ضروري لتكوين نظرة كلية عن حياة البشر ولتفهم حركة التاريخ والتطور الحضاري في الشرق العربي².

إن حضارة بلاد الرافدين هي أكثر الحضارات تأثيراً في تاريخ الشرق العربي وفي تاريخ كل الحوض الشرقي للبحر المتوسط قديماً، وقد امتد تأثيرها إلى ما بعد ذلك وإلى أيامنا هذه، في بعض المعتقدات والتقاليد وفي التراث الأدبي وفي الحساب والتنجيم³.

ومن الآلهة التي عبدها أهل العراق القدامى في عهد سيدنا نوح عليه السلام ودّ وسواع، ويغووث ويعوف ونسر، وهؤلاء كانوا رجالاً مسلمين صالحين، فلمّا ماتوا صوّروا لهم صوراً أغراهم الشيطان بعد ذلك بعبادتها⁴.

¹ _ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص95.

² _ محمد حرب فرزات وعيد مرعي، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2، دار طلاس، دمشق، 1994م، ص11.

³ _ محمد حرب، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ص12.

⁴ _ جمال عبد الهادي محمد مسعود ووفاء محمد رفعت جمعة، تاريخ الأمة المسلمة الواحدة، ط1، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1991م، ص - ص 83 - 84.

وفي عهد سيّدنا إبراهيم عليه السلام ازداد الشرك بالله وعبادة الأرباب والرّبات شأنهم في ذلك شأن غيرهم من أصحاب الديانات الوضعية القديمة، واقترن إحياء الدولة السومرية بحدث ضخم في حياة أهل الرافدين وهو ميلاد سيّدنا إبراهيم عليه السلام ودعوته¹.

ولقد كان الله سبحانه وتعالى يَنْعَهُدُ البشرية دائماً بسادتنا الرسل عليهم الصلاة والسلام يعرفونها برّبّها الحقّ ودينها الحقّ، ويظهر هذا ضمن الوثائق الهامة المتعلقة بتاريخ هذه الأمم، وظهر الفساد في هذه الأمم بادعاء الحكّام للألوهية والربوبية وزعمهم الحقّ في وضع النظام والمنهج، وفست الفطرة فلم تعدّ تُنكر مُنكراً أو تأمر بمعروف، وباع رجال الدّين أنفسهم فروّجوا الحكايات والأساطير ليُبَرِّروا سرقة الزعماء والحكّام للسلطة في كلّ زمان، وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك فساداً لمعظم المصادر والمراجع التي أُعتمد عليها في كتابة ذلك التاريخ².

ومن خلال الآثار التي خلّفتها آثار العراق القديمة تأكّد بأنّ أهلها قد عبدوا الخُصوبة، وكلّ شيء يساعد على الإنتاج، وقد رمزوا لهذه العبادة بالدُمى المصوّرة للآلهة الأم³.

وعبد السومريون "أنو" إله السماء و"أنليل" إله الهواء، و"أنكي" إله الأرض، و"أوتو" إله الشمس، وذكرت هذه الآلهة في الملاحم والأساطير السومرية والبابلية. واعتبر السكان ببلاد وادي الرافدين أنّ الآلهة الرئيسة أزيّة وليس لها قوة خالقة، وأنّ هذه الآلهة هي التي قامت بخلق الكون والإنسان، وسبب هذا الاعتقاد واضح لأنّهم كانوا يتحسّسون تأثير هذه العوامل على حياتهم ومحاصيلهم فحوّلوها إلى آلهة⁴.

¹ _ جمال عبد الهادي محمّد، المرجع السابق، ص - ص 169 - 175.

² _ جمال عبد الهادي ووفاء محمّد رفعت جمعة، تاريخ الأمّة، ص - ص 151 - 153.

³ _ فوزي رشيد، الديانة، موسوعة حضارة العراق، د.ط، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985م، 1406هـ، ج1، ص - ص 145 - 146.

⁴ _ فوزي رشيد، المرجع نفسه، ج1، ص - ص 148 - 149.

والقوانين في العراق هي أقدم شرائع مدونة في تاريخ الحضارات البشرية، وكان لها تأثير واضح في الكثير من شرائع البلدان المجاورة وباعتبار أنها وضعت لتنظيم المجتمع في أحد المصادر الأساسية لتاريخ العراق القديم¹.

وتدلّ الاكتشافات الأثرية الحديثة على وجود مجموعات قانونية متعدّدة وضعت في مختلف عهود العصر التاريخي للعراق القديم فهناك القوانين السومرية وقانون حمورابي² والقوانين الآشورية بالإضافة إلى مئات الألوف من العقود والمستندات القانونية والتجارية والإدارية مما يشكّل مع القوانين المدونة أحد المصادر الهامة في دراسة الدين والسلطة والقضاء والعسكر وغير ذلك في كل من سومر وآكاد وبابل وآشور³.

وأهم الشرائع والقوانين في العراق القديم نجد كل من: "قانون أورنمو" شريعة تعود إلى الملك أورنمو عام حوالي 2050 قبل الميلاد. حيث أزال المظالم ونشر العدل. و"قانون آشونا" ويرجع لـ "بالالاما" أحد ملوك آشونا. وقانون "ليبيت عشتار" من ملوك العهد البابلي القديم. وشريعة "حمورابي" المدونة باللغة البابلية والخط المسماري جمع فيها "حمورابي" القوانين والأعراف السومرية- الأكادية وطوّرها. والقوانين الآشورية تميّزت بالقوة والشدة في فرض الأحكام⁴.

¹ _ برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق، ط1، دار الفارابي، بيروت _ لبنان، تموز 1989م - ص396.

² _ حمورابي: حمورابي: هو الملك السادس من ملوك سلالة بابل الأولى، وابن الملك "سينمبلط". دام حكمه من (1792 - 1752 ق.م) وهو صاحب القانون المعروف باسمه: "قانون حمورابي". ينظر: رامي= عبد الحكيم قاسم البغدادي، أفراد القوات المسلحة في عهد الملك حمورابي، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، كلية الآداب - جامعة الموصل، 1427هـ/2006م، ص 4.

³ _ برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص396.

⁴ _ نفسه، ص - ص 395 - 403.

وعلى الرغم من منافسة اللغة الآرامية للآشورية والبابلية في بابل، فإنّ الأكديّة بفرعها البابلي المتأخّر بقيت مستعملة كلغة طقوس دينية واحتفالية حتى القرن الأول قبل الميلاد، وشهدت هذه الحقبة تأسيس نواة سلالة حاكمة إيرانية جديدة جنوبي بحر قزوين وأخذت تسعى للتقدّم نحو بابل في التاريخ نفسه¹.

وعلى الرغم من وقوع بلاد بابل وآشور لفترة طويلة من الزمن تحت الحكم الأجنبي الفارسي ثمّ المقدوني والسلوقي فالفرثي فالساساني، وانتشار اللّغة الفارسية في حقبة الاحتلال الفارسي، واللّغة اليونانية في حقبة الاحتلال السلوقي لاسيما في أوساط الطبقة الحاكمة والمُنتَفَذَة، إلّا أنّ اللّغة الأكديّة ظلّت تُستخدم ولكن في نطاق محدود حيث استخدمت في تدوين بعض النصوص الدّينية والعلمية والفلكية والرياضية، وظلت كذلك حتى أواخر القرن الأول الميلادي حيث بطلَ استخدامها نهائياً والكتابة المسمارية².

حيث تعدّ الكتابة المسمارية أهمّ محصّلة حضارية كبرى حقّقها الإنسان العراقي القديم، وأستعملت هذه الكتابة في تدوين التاريخ وتسجيل العلوم والمعارف والتراث البشري ونقله إلى الأجيال³.

وإنسان العصور القديمة كان حاضره آنذاك يرتبط بسلسلة أحداث صنعتها قوى خارقة في البدء، أي أنّ الأبطال صانعي التاريخ هم الآلهة، وهذا ما دفع الإنسان القديم إلى تقديس هذا التاريخ بل وإعادته من وقت لآخر عن طريق تداول الأساطير أي تاريخه القديم التي

¹ _ محمد حرب، دول وحضارات بالشرق العربي القديم، ص 44.

² _ عامر سليمان، التراث اللّغويّ، موسوعة حضارة العراق، ج 1، ص - ص 291 - 292.

³ _ بهجة خليل اسماعيل - الكتابة، موسوعة حضارة العراق، ج 1، ص 221.

تُعطيه في نظره تفسيراً لأسرار الكون، وكيفية وجوده، وأن يعيد ما حدث من خلال إعادة ما صنعه الآلهة والأبطال والأجداد بإعادة الطقوس¹.

وفي أواسط الألف الرابعة قبل الميلاد عَرَفَ الإنسان العراقي الكتابة التي سمّاها الباحثون المُحدَثون بالكتابة المسمارية، وكانت آلاف الألواح الطينية المنكشفة والمدوّنة بالكتابة المسمارية سِجلاً حافلاً نقل لنا لغة العراقيين القدامى وكثيراً من أفكارهم ومعتقداتهم وعلومهم ومعارفهم².

واللغة الآكدية مشتقة من اسم الأقوام الآكدية، وهي أقوام عربية قديمة، وهي التسمية التي استخدمت هنا بديلاً من التسمية القديمة "الأقوام السامية" المعروفة التي أواسط وجنوبي العراق منذ مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد. وفي مطلع القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد في حدود 2370 ق.م أسست دولتها التي عُرفت بالإمبراطورية الآكدية والتي وُحِّدت ولأول مرة جميع مدن وأقاليم وادي الرافدين وضمتها في دولة واحدة³.

ولم يقتصر استخدام اللغة الآكدية على حدود بلاد بابل وآشور بل تعداهما إلى عدد من البلدان والأقاليم المجاورة والبعيدة في كلٍّ من بلاد عيلام وآسيا الصغرى وسوريا ومصر، فكانت اللغة الآكدية بخطّها المسماري معروفة في هذه البلدان في فترات معينة من تاريخها القديم⁴.

ويتميّز أدب العراق القديم بميزات عامة وهي:

¹ _ بهجة خليل اسماعيل - الكتابة، موسوعة حضارة العراق، ج1، ص - ص 209 - 210.

² _ عامر سليمان، التراث اللغوي، موسوعة حضارة العراق، ج1، ص 273.

³ _ عامر سليمان، المرجع نفسه، ج1، ص - ص 284 - 285.

⁴ _ نفسه، ج1، ص 292.

- 1- هو من أقدم الآداب التي عرفها العالم القديم. 2- تأثره بالدين سواء بإشراك الآلهة في حوادث الملاحم والأساطير والقصص، أو في الصلوات والتراتيل والأدعية وغيرها.
- 3- كثرة التكرار والإعادة. 4- وصوله إلينا على هيئته الأصلية غير محرّ، أي كتب ودون بأيدي السومريين والبابليين. 5- كثرة النسخ وانتشارها في معظم أرجاء العراق القديم وبين غالبية الأقوام القديمة¹.

ويمكن تصنيف القطع الأدبية حسب الموضوعات كمايلي:

- 1- مجموعة كثيرة من الأساطير السومرية والبابلية تدور حول الخليفة وأصل الوجود والكون والآلهة والعمران البشري مثل أسطورة الخليفة البابلية. 2- الملاحم كملحمة "جلغامش".
- 3- وأساطير العالم السفلي. 4- قطع نثرية تضمّنت الرسائل وأعمال الملوك والأخبار التاريخية والحكم والأمثال والمواعظ. 5- التراتيل والأغاني الدينية والأدعية المخصّصة للآلهة².

وامتاز أدب بلاد وادي الرافدين بنتاجات ذات مواضيع مختلفة مثل الأساطير المتعلّقة بخلق الكون والإنسان والظواهر الطبيعية وأساطير الموت والعالم السفلي وملاحم البطولة والبحث عن الخلود، وهناك التأليف التي لها طابع الحكمة كالأمثال والنصائح والمناظرات الفلسفية التي تدور حول العدالة الإلهية والمفاهيم والقيم الاجتماعية. ونصوص عديدة في التراتيل والصلوات والأدعية، ومجموعة من المراثيات التي تسجل أحداث تاريخية تتعلّق بالكوارث التي حلّت ببعض المدن مثل أكد وأور³.

¹ _ برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق، ص - ص 301 - 302.

² _ برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق، ص 303.

³ _ فاضل عبد الواحد علي، الأدب، موسوعة حضارة العراق، ج 1، ص - ص 319 - 320.

وانطلق كُتّاب الأدبيات في العراق القديم في تصوّرهم الكون والتاريخ من منطلقات غَيْبِيَّةٍ أو مِثَالِيَّةٍ. فقد اعتقدوا أنّ أسباب التحوّلات التاريخية والجغرافية إنّما تعود إلى إرادة الآلهة أو إلى نشاطات الملوك والحكّام والقادة. بدأ الكُتّاب يجمعون الأحداث ويضعونها في سلسلة متّصلة ويؤرّخون بها للملوك منذ تقلّدهم السلطة، ولم تكن تشمل أخبار الحرب ونشاط الملوك فحسب؛ بل تضمّنت تعليقات وحوادث مهمّة ومفيدة.¹

والمدوّنات التاريخية مهمّة حيث وجدت أثباتٌ بقوائم الملوك والسلالات، والنقوش والكتابات التاريخية التي خلفها كلّ من الأكاديون والبابليون. وتميّزت نصوص الآشوريين التاريخية بالحشويّات والافتخارات والادعاءات والتخيّلات الخرافية والتفسيرات الدينية المزيفة والتهويلات والمبالغات الكثيرة المختلفة مع الحقائق. ويمكن تحديد أربع أنواع من المدوّنات التاريخية: 1- الحوليات ذات القيمة التاريخية والجغرافية. 2- مدونات تاريخية حربية. 3- التقاويم: وتُجمع الأحداث فيها طبقاً للأقاليم التي تنتهي فيها. 4- التقارير: وهي الكتب والوثائق والألواح الموجهة إلى الإله آشور بعد العودة من الحملات كتقرير عنها.²

وتعدّ المدوّنات التاريخية البابلية أقرب إلى التدوين التاريخي الحاضر، لأنّ كُتّبَها لم يقتصر على تدوين ما عاصروه بل بحثوا في الماضي أيضاً، وألّفوا في التاريخ البابلي تأليفاً بالغ الأهمية.³

¹ _ برهان الدّين دلّو، حضارة مصر والعراق، ص 337.

² _ برهان الدّين دلّو، حضارة مصر والعراق، ص - ص 337 - 339.

³ _ المرجع نفسه، ص 339.

وقد ساعد التوسّع في التجارة والغزو على تنمية المعارف الجغرافية لدى قدماء العراقيين، فقد أَلَفَ كُتَّابُ الجغرافية جداول مطوّلة بأسماء البلدان والمدن والأنهار في العراق والبلدان المجاورة، ورسوموا خرائط للمدن والقنوات وللعالَم المعروف لديهم¹.

إنَّ ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ البيئة العراقية هيأت لظهور الحضارة السومرية، منذ آلاف السنين، ولم يقتصر تاريخ الأقوام في العراق على عرق واحد، وإنَّما قَطَنَهُ عدة أقوام، أهمُّهم الساميون الَّذِينَ طَعَّوْا على مُعْظَم أجزاء الشرق الأدنى، وأنَّهم عاشوا مع السومريين منذ القدم، وقد ساهم المهاجرون العرب على إنشاء الحضارة السومرية. القادمين من الشرق والشمال، الَّذِينَ حَلُّوا بوادي الرافدين الأسفل².

وكان لدى المناذرة في شمال الجزيرة كتب تحوي أخبار عرب الحيرة وأنسابهم وسير أمرائهم محفوظة في كنائس الحيرة، كما أنَّهم كانوا يعرفون الكثير من الأخبار الفارسية. وكانت لدى عرب الشمال روايات شفويّة من قصص عن آلهتهم وروايات عن حياتهم ومآثرهم وغزواتهم، وحول أنسابهم، متّصلة بالفضائل، ونُبل الأعمال والمآثر³.

¹ _ برهان الدّين دَلّو - حضارة مصر والعراق، ص - ص 339 - 340.

² _ كامل سَعْفَان، موسوعة الأديان القديمة _ معتقدات آسيوية، ط1، دار الندى، مصر، 1419هـ/1999م، ص - ص 23 - 24.

³ _ عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص - ص 15 - 16.

ثالثاً: الكتابة في علم التاريخ عند العرب المسلمين الأوائل

1_ علم التاريخ وشروط المؤرخ

التاريخ لغة: أَرَخَ الكتاب، وأَرَحَهُ وآرَحَهُ: وَقَّعَهُ. وورَّخَ الكتاب: أَرَحَهُ. قال الجوهري: "التاريخ تعريف الوقت، والتورخ مثله: يقال أرخت وورخت، وقيل اشتقاقه من الإرخ يعني بفتح الهمزة وكسرهما وهو صغار الأنثى من بقر الوحش، لأنه شيء حدث كما يحدث الولد". وقد فرق الأصمعي بين اللغتين فقال: "بنو تميم¹ يقولون وَرَّخْتُ الكتاب تورخا، وقيس² تقول أَرَّخْتُه تأريخا"³.

أولاً: "تأريخ": بمعنى التاريخ العام، أي تسجيل أهم حوادث الأمم، وبمعنى الحوليات أي تدوين الحوادث عاما عاما، وبمعنى الأخبار مرتبة بحسب العصور. وقد وردت كلمة التأريخ بهذه المعاني عنوانا لمصنفات تاريخية مثل "تكملة تاريخ الطبري" و "تاريخ بغداد" و "مكة" وغيرها و "تأريخ الأندلس". وأطلقت كلمة تأريخ على طائفة أخرى من مصنفات تباين في موضوعها المصنّفات الآتية مثل "تاريخ الهند" الذي ألفه أبو الريحان البيروني لقربه إلى البحوث العقلية منه إلى التاريخ، و"إخبار العلماء بأخبار الحكماء" لابن القفطي فإنه أشبه بالمعجم منه بمصنّف في التاريخ⁴.

¹ - قبيلة بنو تميم: نسبة إلى تميم بن غالب بن فهر بن مالك، وغالب هذا فيه البيت، أي الشرف، والعدد، أي الكثرة، وتمام بن الأغلب هو الأثرم. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص12.

² - قبيلة قيس: نسبة إلى قيس عيلان من ولد مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ويعرف بقبيلة عيلان بن مضر، أمه أسمى بنت سود بن أسلم بن الحارث بن قضاة. ينظر: ابن حزم، الجمهرة، ص10.

³ - محمد الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص248.

⁴ - هـ. أر. جب، علم التاريخ، ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد وآخرون، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971م، ص15.

ثانياً: بمعنى تحديد بداية الأخبار بعصر من العصور، وبمعنى حساب الأزمان وحصرها، وبمعنى تحديد زمن وقوع الحوادث تحديداً دقيقاً. وقد وقف المسلمون فضلاً عن تأريخ الهجرة الذي هو خاص بهم على طائفة من تواريخ عصور أخرى كتأريخ العالم الذي إنّما هو حصر مشكوك في صحته لسعة الفوارق فيما يتعلق بتواريخ اليهود والنصارى والمجوس¹.

لقد عمد المسلمون إلى اعتبار هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بداية لتاريخ دولتهم بالمدينة المنورة، ولم يأت هذا جزافاً بل كان المقصد من وراءه أن يأخذ هذا التاريخ وهذا التقويم قيمته من قيمة النبي صلى الله عليه وسلم والرسالة الخالدة التي أتى بها، وكذلك حتى يحافظ المنتمون إلى هذه الأمة على تاريخهم بين الأمم.

التاريخ اصطلاحاً: وفي الاصطلاح التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه، هذا ممّا مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليّة، من ظهور ملّة، وتجديد فرض²، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد، وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة ومقدماتها، أو دونها كبناء جامع، أو مدرسة، أو قنطرة، أو رصيف، أو نحوها، ممّا يعم الانتفاع به مما هو شائع

¹ - جب، علم التاريخ، ص - ص15، 16.

² - الفرض: الفرض: السنّة، فرض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي سنّ، وقيل: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي أوجب وجوباً لازماً. والفرض: ما أوجب الله عز وجلّ، سُمّي بذلك لأنّ له معالم وحدوداً. قال ابن عرفة: الفرض التوقيت: وكل واجب مؤقّت. ابن منظور، لسان العرب، مج5 ج38 ص3387.

مُشَاهِد، أو خَفِيّ سماوي، كجراد وكسوف وخسوف، أو أرضي كزلزلة وحريق وسيل طوفان وقحط وطاعون ومَوْتَان، وغيرها من الآيات العِظام والعجائب الجِسام¹.

علم التاريخ: علم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي الشريف يعرف به المتّهم من الوضّاع والثّقّة وتحفظ به الأنساب المترتّب عليها صلة الأرحام والمتسبّب عنها الميراث والكفاءة حيثما قرّر في محلّه، وكذا تُعَلَّم منه آجال الجنود واختلاف النقود والأوقاف التي ينشأ عنها الاستحقاق ما هو معهود، ويُنتفع به في الاطّلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والأمراء والنبلاء وسيرهم ومأثرهم في حربهم وسلمهم وما أبقى الدّهر من فضائلهم أو رذائلهم مُدّ أن أبادهم الحَدَثَان²، ويعتبر بما فيه من المواعظ واللّطائف المفيدة لترويح النفوس الطامعة، مع ما يلتحق به من المسائل العلمية والمباحث النظرية والأشعار التي هي جُلّ مواد العلوم الأدبية كاللغة والمعاني العربية، ولهذا صرّح غَيْرُ واحدٍ من أهل الأمانات بأنّه من فروض الكفايات، ومن أحسن ما قيل في مدح التاريخ قول الأرجاني:

إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ أَخْبَارَ مَنْ مَضَى *** تَوَهَّمَتْهُ قَدْ عَاشَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ
وَتَحَسَّبُهُ قَدْ عَاشَ آخِرَ عُمْرِهِ *** إِذَا كَانَ قَدْ أَبْقَى الْجَمِيلَ عَنِ الذِّكْرِ
وَقَدْ عَاشَ كُلُّ الدَّهْرِ مَنْ كَانَ عَالِمًا *** حَلِيمًا كَرِيمًا فَاعْتَنِمِ أَطْوَلَ الْعُمُرِ³.

¹ - السخاوي، الإعلان، ص - ص 18 ، 19.

² - الحَدَثَان: حدثان الدهر وحوادثه: نُوبُهُ، وما يحدث منه، واجدُهُمَا حادث، وكذلك أحداثه واحدهما حدث. قال الأزهري: الحدّث من أحداث الدهر: شِبْهُ النازلة. ابن منظور، لسان العرب، مج 2 ج 10 ص - ص 796 ، 797.

³ - محمّد البشير ظافر الأزهري، اليواقيت الثمينة في أعيان عالم المدنية، بط، مطبعة الملاجئ العباسية، مصر، 1324هـ، ص 11.

وما ينقصنا هو تاريخ عام للأمم الإسلامية يكون متكاملًا وموضوعيًا وفي متناول الجميع، ولا يتحقق ذلك إلا بالمسلمين أنفسهم، فالمُهَمَّةُ جسمية تتطلب الوقت والإرادة والجهود المتواصلة من العلماء المُجِدِّين المُصَمِّمين، والمُفَعِّمين بالإيمان¹.

وأما شرط المُعْتَنِي بالتاريخ: فالعدالة مع الضبط التام الناشئ عنه مزيد الاتقان، والتحري سيما في كلام الجاهلين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأن لا يتعرض لجمع أقاصيص الأنبياء وسيرهم، وأخبار الأمم المتقدمين إلا بعد الفراغ من أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأن يكون المؤرخ عالما بطريق النقل، له مُسَنَدٌ مُعْتَمَدٌ في الرواية حتى لا يقع في المجازفة والبهتان والإفتات لقوله صلى الله عليه وسلم: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»². الحديث، والعدوان، حتى لا يُفَرَّ عن تاريخه العقلاء والعلماء والنبلاء والحكماء، ولا يكتفي بالنقل الشائع خصوصًا إن ترتب عنه الطعن في أحد من أهل العلم والصالح. وكذا تجنب التعرض للوقائع المُنْقِصَةِ الصادرة في شباب مَنْ صَيَّرَهُ الله تعالى بعد ذلك مُفْتَدًى به. ويشترط أن يكون عارفا بمقادير الناس وبأحوالهم ومنازلهم، فلا يرفع الوضع، ولا يضع الرفيع مُتَمَثِّلًا لقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»³ الحديث. ويُحتاج للمؤرخ مصاحبة الورع والتقوى، بحيث لا يأخذ بالتوهم والقرائن

¹– Amar Dhina, grand tournants de l'histoire de l'islam, 2^{eme} édition SNED, Alger, 1982, p5.

²– باب في الكذب: عن حفص بن عمر: حدثنا شعبة، وحدثنا محمد بن الحسين، حدثنا علي بن حفص، حدثنا شعبة، عن حبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، قال ابن حسين في حديثه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» الحديث. رواه أبو داود في سننه، حديث رقم: (4992)، ج 7 ص 344.

³– باب في تنزيل الناس منازلهم: عن يحيى بن إسماعيل وابن أبي خلف: أن يحيى بن يمان أخبرهم، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب أن عائشة رضي الله عنها مر بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهية، فأفَعَدَتْهُ، فأكل، فقيل لها في ذلك، فقالت: قال رسول الله = صلى الله عليه وسلم: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ». رواه أبو داود في سننه، حديث رقم: (4842)، ج 7 ص 210.

التي تختلف خوفاً من الدخول تحت قوله صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»¹ الحديث. وأن لا يكون مَدَّاحاً مُدَاهِناً مع التحري فيمن يَبْغِضُهُ لِعَدَاوَةٍ سببها المنافسة في المراتب، وعدم المحاباة الْمُفْضِيَةِ للعصبية الْمُعْبَرِ عنها بتجنب الغرض والهوى، بحيث لا يكون جاهلاً بمراتب العلوم، سيما الفروع والأصول، ويفهم الألفاظ ومواقعها خوفاً من التتقيص والتعزير الذي يُشِين².

تدلّ الشروط التي وضعها العلماء الواجب توافرها في المؤرخ على عظم خطر هذا الفن من العلوم، وشدّد المحققون ممن لديهم دراية بأغوار هذا العلم على ضرورة الوقوف على شروطه والاشتغال بتحقيقها دفعا للغلط والانحراف عن طريقة أهل الحق، وتجنب المُنْتَلَقِي الزائف من الأخبار جُلْباً للمنفعة وتحقيقاً للمصلحة.

ويقول الشيخ الفقيه المؤرخ تاج الدين السبكي: والمؤرخون على شفا جُرفٍ هارٍ؛ لأنهم يتسلطون على أعراض الناس، وربما نقلوا مجرد ما يبلغهم من صادق أو كاذب، فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يُرْجِمُهُ، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغضب منه. وربما كان الباعث له على الضيعة من أقوام مخالفة العقيدة، واعتقاد أنهم على ضلال فيقع فيهم، أو يقصر في الثناء عليهم لذلك، وأن لا يقبل كلام العلماء بعضهم في بعض من الأقران المتعاصرين³.

¹ - باب الصدقة عند الموت: قول سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». رواه الإمام البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الجامع المُسنَد الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، حديث رقم: (2748)، ج4 ص - ص173-174.

² - السخاوي، الإعلان - ص - ص 107-128.

³ - تاج الدين عبد الوهاب السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1413هـ/1993م، ص84.

وبصفة بيانية بحتة يمكن القول أن المؤرخ عليه أن يتّسم بالتحليل الحقيقي لحالة الشعوب الماضية، وعليه أن يدرس تغيّرات هذه الحالة، وأن يقف من خلال الدراسة على الغرض والكيف¹.

إنّ أكثر ما أضعفَ المسلمين عبر تاريخهم هو تفرّقهم الذي كان مبعثه الجهل بفهم نُصوص الكتاب والسنة والتأوّل فيها، وحظّ النفس وإتباع الهوى بالتكبر على أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، وسادات العلماء من بعدهم الذين بيّنوا أوجه الموافقة والاختلاف في المسائل على ما يرتضيه الشرع الحنيف، وعلى ما تركهم عليه معلّمهم ومربيهم ومشرّع الأمة سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المحجّة البيضاء.

2- شرف علم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى إخوانه وآله وصحبه وسلّم تسليمًا، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾² الآية.

يقول الإمام ابن عطية في تفسير هذه الآية: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ وهذا بناء مبالغة، أي ليتكرّر منكم القيام ﴿بِالْقِسْطِ﴾ وهو العدل. وقوله: ﴿شُهَدَاءَ﴾ أي تخصيص القيام بالقسط إلى معنى الشهادة فقط، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ أي لذات الله، ولوجهه ومرضاته، ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ وشهادة المرء على نفسه إقراره بالحقائق وقوله الحقّ في كلّ أمر، ثم ذكر الوالدين لوجوب

¹ – Aicha Kassoule, devoir d'histoire et pouvoir d'écriture, préface S. REZZOUG, O.P.U, Alger, 1986, p 9.

² – سورة النساء الآية 134.

بِرَّهما وعِظَم قدرهما، ثم ثَنَّى بالأقربين إذ هم مَظَنَّة المودَّة والتعصَّب، فجاء الأجنبي من الناس أحرى أن يُقام بالقسط ويُشهد عليه¹.

وقال سيِّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: «إِنَّهُ سَتَكُونُ فِتْنٌ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ» قيل: فما النِّجاة منها يا رسول الله؟ قال: «كِتَابُ اللهِ تَعَالَى، فِيهِ نَبَأٌ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ فَصْلٌ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ تَجَبُّراً قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينِ، وَنُورُهُ الْمُبِينِ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمِ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَنْتَشَعِبُ مَعَهُ الْأَرَاءُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَمْلَأُ الْأَتْقِيَاءُ، مَنْ عَلِمَ عِلْمَهُ سَبَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ إِعْتَصَمَ بِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»².

¹ - أبو مُحمَّد عبد الحقِّ بن عطية الأندلسي، المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط2، دار ابن حزم، تق: مجد مكِّي، 1428هـ/2007م، ص479.

² - الحديث: باب ما جاء في فضل القرآن الكريم: حدَّثنا عبد بن حميد حدَّثنا حسين بن علي الجعفي قال سمعت حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن أبي أخي الحرث الأعور عن الحرث قال مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على عليٍّ فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث قال: وقد فعلوها قلت: نعم قال: أما إني قد سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ» فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله قال: «كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأٌ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَارٍ قَصَمَهُ اللهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينِ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمِ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمِ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَقْضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجَنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» الجن الآية1، 2. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». رواه مُحمَّد = بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاکر وآخرون، ج5، بط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم: (2906)، ص172.

ومرّ أعرابي على عبد الله بن مسعود "رضي الله عنه"، وعنده قوم يقرؤون القرآن، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقال له ابن مسعود: "يقتسمون ميراث سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم"¹. وقد ترك لنا سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تراثه وميراثه فإنّه لم يورث ديناراً ولا درهماً، لكنه ورّث العلم الشريف، وورّث التربية، وورّث القيم والأخلاق، وورّث العقيدة الواضحة، وورّث عمران الدنيا، وورّث حبّ الناس، وورّثنا كيف نحمل همّ الخلق أجمعين².

وهذه الأصول هي التي بنا عليها المسلمون الأوائل ليس معتقداتهم فحسب، بل كلّ ما يتعلّق بحياتهم في جوانبها المختلفة، والتي يعتبر الجانب العلمي منها من أهمّها، لتعلّقها بخبر السماء المنزّل من الله عزّ وجلّ على عبده ورسوله سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنّ دوافع اعتباره أصدق الأخبار على الإطلاق ليس مرّده الانتماء لأمة الإسلام فحسب، بل لمُوافقة هذا الخبر الواقع والحقّ، واتّصافه أيضاً بالإعجاز الذي أقرّ به المسلمون وغيرهم؛ فقارنوا نصوص آخر الديانات بما سبق من النصوص، وأعملوا عقولهم فيها وأيقنوا بصحّتها.

ويمثّل القرآن الكريم المصدر الأساس والأوّل للقصاص الشفوي الديني، إلى حدّ أن جُلّ القصاص الديني بأنماطه يستمد مادته من القرآن وتفسيره، وتأثّر النصوص القصصية بالقرآن ليس على مستوى البنية العميقة فحسب، وإنما حتى على مستوى المبنى والصياغة، كالاستهلال، والاختتام والشخوص والأمكنة والأزمنة والخصائص الأسلوبية والخصائص الفنية³.

¹ - ابن عطية ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص - ص15، 17.

² - نور الدّين علي جمعة، النبيّ صلى الله عليه وسلم، ط2، الوابل الطيب، القاهرة، 1430هـ/2009م، ص168.

³ - خالد عيقون، تواصل الخطاب الشفوي بالمدونة العربية القديمة، المجلس الأعلى للغة العربية الفصحى وعامّياتها، الندوة الدولية ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 04 ، 05 جوان 2007م، ص336.

وللقصص القرآني أهمية عظيمة للفرد المسلم، فهو يعرفنا بقصص الأمم الغابرة؛
لنتخذ منها العظة والعبرة، ولنعرف ما لاقاه أنبياء الله - عليهم الصلاة والسلام - في سبيل
نشر منهج الله الذي ارتضاه¹.

وتناول القرآن في حديثه أمورا كثيرة عن العرب قبل الإسلام، وذلك في جميع مجالات
حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. كما حدثنا القرآن الكريم عن
الحضارات القديمة التي كانت في الجزيرة العربية وما جاورها، مما يلقي الضوء على أحوال
المجتمعات الإنسانية قبل وحين ظهور الإسلام².

ويعتبر القرآن الكريم المصدر الرئيس لسيرة سيّدنا الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنّه
نصّ قطعي الثبوت، بل هو أصحّ نصّ عرفته البشرية في تاريخها، وليس من الإيمان أو من
أبجديات المنهج العلمي التغاضي عن هذه الحقيقة. وحتى تكتمل الاستفادة من القرآن الكريم
لمعرفة تفسير الآيات المختلفة، ومعرفة سيرة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا بدّ من
الرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور التي ساقّت الأحاديث المُسنّدة في هذا النوع من المعرفة؛
فبيّنت الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول مع مراعاة درجة الحديث إن كان: صحيحا أو حسنا
أو ضعيفا أو واهيا أو موضوعا. فإنّ لا بدّ أن تُقوّم مَرْوِيّات الأحاديث ويُختار منها ما
تَنْبُتُ صحّته، أو يكون صالحا للاحتجاج به، وفقا لمعايير أئمة أهل الجرح والتعديل³ ورجال
الحديث¹.

¹ - محمّد متولّي الشعراوي، قصص الأنبياء وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، نشر حسن محمود،
عناية إبراهيم عبد الستار عليّ وآخرون، ط1، دار القدس، القاهرة، 1426هـ/2006م، ص5.

² - مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبويّة في ضوء المصادر الأصلية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث
والدراسات الإسلامية، الرياض، 1412هـ/1992م، ص16.

³ - الجرح والتعديل: التجريح: يقال: جرح الحاكم الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب
وغيره، وقد قيل ذلك في غير الحاكم، فقيل: جرح الرجل غضّ شهادته، وقد استجرح الشاهد.

يُعرف هذا العلم بعلم "السند" أو "العُنَّة" أي رواية رجال العلم عن فلان عن فلان اتصالاً ببيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن سيدنا جبريل عليه السلام عن رب العزة تبارك وتعالى، وبهذه الطريقة التي يستحيل تواطؤ أهلها على الكذب حُفظت رواية العلم والأخبار في طبقة تلو الأخرى. ونحن بأمر الحاجة إلى دراسة أصول التاريخ وبحثها لدى العرب، وبدونها تتعذر الكتابة التاريخية النقدية، إننا لا نستطيع فحص مصادرنا التاريخية، ونقد روايتها، وتمييز القوي من الضعيف، والأول من التالي، والأصيل من الموضوع، ولن نميز الروايات التاريخية دون دراسة نقدية للمؤرخين، ولتطور علم التاريخ عند العرب. ليرى دوافع كتابة التاريخ، واتجاهات المؤرخين، وآرائهم التاريخية، وأسلوبهم في تمحيص الروايات وفي الكتابة، ونظرتهم إلى أهمية التاريخ في الحياة الثقافية والحياة العامة. وما يهم هنا أن نرى عوامل الوضع والارتباك في الكتابة التاريخية، من المؤثرات الدينية وأثر التيارات السياسية إلى أثر الشعوبية² وبدون دراسة هذه النواحي يتعذر علينا أن نفهم قيمة المواد=

=والاستجراح: النقصان والعيب والفساد. ويروى عن بعض التابعين أنه قال: كثرت هذه الأحاديث واستجرحت، أي فسدت وقل صحتها، وهو استفعل من جرح الشاهد إذ طعن فيه ورد قوله، أراد أن الأحاديث كثرت حتى أحوجت أهل العلم بها إلى جرح بعض روايتها، ورد روايته.

التعديل: العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضدّ الجور. وفي أسماء الله سبحانه: العدل، هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم. ورجل عدل بين العدل والعدالة قال سبحانه تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ الآية 2 سورة الطلاق. ورجل ورجلان وعدل وامرأة عدل ونسوة عدل. وتعديل الشهود: أن تقول إنهم عدول. وعدل الحكم: أقامه، وعدل الرجل: زكاه. ابن منظور، لسان العرب، مج 5 ج 38 ص 3387. /مج 4 ج 32 ص - ص 2838 ، 2839.

¹ - مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية، ص 16.

² - **الشعوبية:** حركة مناهضة للأمة العربية بعد ظهور الإسلام وقيام دولته، المحررة للعرب من النفوذ البيزنطي والفارسي، هذا التحرير والانتشار للإسلام الذي اصطدم بشعوب كثيرة مقاومة له، فكانت على أشدها في البلد الإيرانية التي ورثت حضارة متقدمة وحكما منظما وديانات تنوية معقدة، كما كانت=

التاريخية المتيسرة لدينا، أو أن ننفذها، أو نُخَلِّصَ تاريخنا من الشوائب التي لحقت به في الماضي والحاضر¹.

يقول ابن خلدون في شرف علم التاريخ: "أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، وسادتنا الأنبياء عليهم السلام في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم. حتى تتم فائدة الاقتداء لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. فهو محتاج إلى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يُفْضِيَانِ بصاحبهما إلى الحق، وينكبان به عن المزلّات والمغالط².

3_ محلّ وموضوع الكتابة التاريخية

في تعريف الكتابة التاريخية: أولاً: الكتابة: يقال: كَتَبَ، الكتاب معروف، والجمع كُتُب. كَتَبَ الشيء يكتبه كُتُباً وكتاباً وكتابةً، وَكَتَبَهُ خَطَهُ. والكتاب أيضاً: الاسم. قال اللحياني الأزهري: الكتاب اسم لما كُتِبَ مجموعاً، والكتاب مصدر، والكتابة لمن تكون له صناعة، مثل الصياغة والخياطة. والكِتَبَةُ: اكتتابك كتاباً تنسخه، واكْتَتَبَهُ: استَمَلَاهُ. وفي التنزيل: ﴿اَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الآية³. والكتاب ما كتب فيه وفي الحديث: «مَنْ نَظَرَ إِلَى كِتَابٍ أَخِيهِ بَغَيْرِ إِذْنِهِ، فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ»⁴ الحديث¹.

=شعوب هذه البلاد مصالح واسعة في العراق واليمن انتهت إثر عمليات التحرير العربية. عبد الله سلوم السامرائي، الشعبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، بط، المكتبة الوطنية، بغداد، 1984م، ص5.

¹ - عبد العزيز الدوري، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، بط، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 1420هـ/2000م، ص 10.

² - ابن خلدون، المقدمة، طبعة بيت الأفكار الدولية، ص11.

³ - سورة الفرقان الآية 5.

⁴ - الحديث: عن عبد الله بن مسلمة حدثنا عبد الملك بن محمد بن أيمن، عن عبد الله بن يعقوب بن إسحاق، عن حدثه، عن محمد بن كعب القرظي حدثني عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله=

والكتاب ما يكتب فيه. والكاتب: العالم. والإكتاب: تعليم الكتابة، كالتكّيب، والإملاء. والكتاب: الكاتبون. والمكتب كمفَعَد: موضع التعليم².

والكتابة: مظهر من مظاهر الحضارة، وأثر من آثار الاجتماع والتجارة، وهي تستعمل لنقل اللغة وحفظها وتدوين الحقائق والأحداث زماناً ومكاناً. وكان من أسبق الأمم القديمة إليها المصريون والفينيقيون، وأجهل الناس بها أهل البدو، فلم تنتشر الكتابة بين العرب إلا في المناطق التي عرفت الحضارة وارتقت فيها العمارة، كالعربية الجنوبية باليمن. والخط "توقيف" أي أنه ليس من صنع البشر، بل أن الله تعالى قد علم سيدنا آدم عليه السلام الكتابة فكتب الكتب كلها، وكان من نصيب سيدنا إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي، وهو أول من وضعه على لفظه ومنطقه، وبذلك يكون أول من تكلم العربية، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾ الآية³. وقوله جل ثناؤه: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الآية⁴.

=عليه وسلم قال: «لا تَسْتُرُوا الجُدْر، مَنْ نَظَرَ فِي كِتَاب أَخِيهِ بَغْيٌ إِذْنُهُ فَإِنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ، سَلُوا اللَّهَ بِبِطُونِ أَكْفُكُمْ، وَلَا تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا، فَإِذَا فَرَعْتُمْ فَامْسَحُوا بِهَا وَجُوهَكُمْ». أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، سوريا، طبعة خاصة، 1430هـ/2009م، حديث رقم: (1485)، ج2 ص607.

¹ - محمد عبد الله بن مكرم الأنصاري الخزرجي ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، تحقيق محمد أحمد حسب الله وآخرون، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1429هـ/1988م، مج5، ج42 ص3817.

² - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ/2005م، ص - ص128، 129.

³ - سورة العلق الآية 1 - 5.

⁴ - سورة القلم الآية 1.

⁵ - ربيع عولمي، مكة ودورها الثقافي والديني في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير في تاريخ الحضارات القديمة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 1428 - 1429هـ/2007 - 2008م، ص - ص48، 49.

وقد جَبَلَ الله كلَّ أُمَّةٍ من الأمم على لغةٍ أنطقهم بها، ويسرهم لها، وجعل اللسان العربي أعذب الألسنة مخرجاً، وأعدلها منهجاً، وأوضحها بياناً، وأوسعها اقتتانا، وجعل الإعراب حَلِيًّا¹ للسان، وزمّاماً وفصلاً لما اختلف فيه من معانيه. ولم تنزل العرب تتطّق على سَجِيَّتِها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها؛ حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة ففشا الفساد في اللغة والعربية، فتقطن لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المُتعارف من كلام العرب، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سبّوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه².

¹ - الحَلِيّ: بالفتح ما يُزَيَّنُ به من مَصْنُوعِ المَعْدَنِيَّات. وَحَلَيْتِ المرأة: استقادت حَلِيًّا أو لبسته. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1276.

² - أبو بكر محمد الزبيدي، طبقات النحويين واللّغويين، تحقيق محمد أبو الفضل، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص11.

وتتدرج كتابة التاريخ ضمن الكتابة العلمية الخاصة بمؤلفات الفقه والحديث الشريف والأصول والتاريخ والمنطق وغير ذلك، والكتابة العلمية تهتم بذكر الحقائق والمعلومات العلمية وصواب عرضها على القارئ لتستقر في ذهنه على نسق خاص، ولهذا لا تَرُوجُ لديها بضائع البديع ولا سلع التشبيه والمجاز ولا طرائف المبالغات والتهاويل، بل إن هذه تفسد ما تعرضه من حقائق ومعلومات، وتشغل بال القارئ عن أهدافها الأصيلة¹.

ويستمد علم التاريخ شرفه من شرف اتّصاله بالعلوم الأخرى، بل إنّ طالب هذا العلم وجب عليه الأخذ بناصية فنون العلم والمعرفة الضرورية لاستكمال آلة النقل والعقل عند المؤرّخ، ومنها الدقّة في النّقل واتّساع دائرة الفهم، والاعتبار من أحداث الماضي وأخبار السابقين استشرافاً للمستقبل.

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتاب "الخراج": "تاريخ كل شيء آخره، فيؤرّخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة". ونحوه قول الصولي: "تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه، ومنه قيل لفلان تاريخ قومه، أما لكون إليه المنتهى في شرف قومه". كما قال المطرزي: "وذلك بالنظر لإضافة الأمور الجليلة من كرم أو فخر أو نحوهما إليه، وأما لكونه ذاكرة للأخبار وما شاكلها"².

وبداية التأريخ الإسلامي الهجري بعد نبوءة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم، وبعد أن هاجر وأتباعه رضي الله عنهم من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنورة في 622م/1هـ الموافق لأوّل سنة هجرية، والتأريخ لأهمّ وأعظم حدث، بظهور وتوسّع الإسلام آخر وأكبر

¹ - محمود رزق سالم، الأدب العربي وتاريخه، دار الكتاب العربي، مصر - 1377هـ/1957م، ص58.

² - محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ، فرانز روزنثال - تر: صالح أحمد العليّ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ/1986م، ص - ص16،

الدّيانات في مسار تاريخ العالم في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وبهذا التوقيت انفصل المشرق عن العالم القديم¹.

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أنس رضي الله عنه قال: "كان التأريخ من مَقْدَمِ سيّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم المدينة"، وكذا قال الأصمعي²: "إنّما أرخوا من ربيع الأول"، وقال الزُّهري: "أنّ سيّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لما قَدِمَ المدينة المنورة أمر بالتاريخ فكَتَبَ في ربيع الأول"³.

ولم يكن التأريخ في صدر الإسلام إلى أن وَلِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فافتتح بلاد العجم، ودَوّن الدواوين، وجَبَى الخراج، وأعطى الأعطية. ف قيل له: "ألا تُؤرِّخ؟ فقال: وما التاريخ؟ ف قيل له: شيء كانت تعمله الأعاجم، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا؛ فقال عمر: هذا حسن؛ فأرخوا. فقال قوم نبداً بالتاريخ من مَبْعَثِ سيّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، وقال قوم: بل من وفاته. وقال قوم بل من الهجرة. ثم أجمعوا على الابتداء بالتاريخ من الهجرة. وكان مَقْدَمُ سيّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالمدينة المنورة يوم

¹ – MOHAMED Adnan et des autres, introduction-histoire de l'humanité, volume IV, édition UNESCO, paris, 2008, p-p 1 , 2.

² – الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن علي بن الأصمعي سمع من سفيان الثوري ثلاثين ألف حديث، وأشهر من روى عنه الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه. وكان الأصمعي أروى الناس للرجز، فزعموا أنه حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة، وكان من أوثق الناس في اللّغة، وأسرع الناس جواباً، وأحضر الناس ذهنًا. قال الخشني: كان الأصمعي أحضر الناس جواباً، وأرضى عند الناس، ولم يُتَّهم في دينه، وكان الشعر للأصمعي. أبو بكر محمّد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، ص - ص 167-174.

³ – السّخاوي، الإعلان، ص - ص 129-130.

الاثنين لاثنتي عشر ليلة خَلَّتِ من ربيع الأول. فَقَدَّم التاريخ على الهجرة بشهرين وأَثْنَتْنِي عشر ليلة، وَجُعِلَ من المحَرَّم¹.

¹ - أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن السيِّد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، بط، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م، ص 198.

لم يرتبط العرب في جزيرتهم بالتدوين التاريخي ارتباطاً سطحياً بل كان له امتداد ضارب في الزمن، وقام بهذا التاريخ وتدوينه عوامل عدّة منها صفاء ذهن العرب وقوّة حافظتهم، ورغبتهم الجامحة في حفظ أمجاد آبائهم وأجدادهم؛ فَعَمَدُوا بذلك إلى رَجَزِ الكلام ونَظْمِهِ حتى يسهل عليهم حفظه، وحتى تسير به رَكايبُهُم في أطراف جزيرتهم وخارجها، ونتج بذلك أهمّ أصل من أصول العرب التاريخية ألا وهو ما يُعرف بـ "أيام العرب" وهي ركيبتهم في معرفة مِلَلِهِم ونِحْلِهِم ومذاهبهم، وشعوبهم وقبائلهم وأنسابهم، وماضي وقائعهم، وحيثيات مجتمعهم، واستمرت الحاجة لهذا الأصل إلى ظهور المسلمين فاستعانوا بهذه الأيام على تفسير وفهم آيات الكتاب الحكيم وسنّة سيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم الذين نزلوا بلسان عربيّ مبين. يضاف إلى هذا الأصل ما كتبه أهل الحضارات المجاورة والمخالطة للعرب بسبب الإخضاع كالفرس والروم، أو بسبب المجاورة والتبادل كمصر والحبشة، أو عن طريق الفتح على عهد الإسكندر المقدوني، هذه الأمصار كان لها بالغ التأثير في ديانات العرب وتفكيرهم وفي أنماط عيشهم؛ وبالتالي فإنّ هذا التأثير طال تاريخهم من حيث أنّهم أصبح لهم شركاء في صناعته وكتابته؛ فتعدّدت بذلك مصادر تاريخهم، وتعدّدت معها أسباب التأثير على العرب المسلمين فيما بعد خاصّة على معتقدات ومقالات بعض الفرق الإسلامية. وللعرب القدّامى تأثير بارز على العرب المسلمين في بداية عهودهم حيث كان فيهم المخضرمين الذين عايشوا الجاهلية والإسلام فكانت هذه مزيّة تضاف إليهم ربطت تاريخهم القديم بتاريخهم الإسلامي الذي كان فاتحة خير على العرب إذ لولاه لَأُنْدَثَرَ خبرهم ولم يكن لهم نصيب من الذكر على شِفاهِ المؤرّخين ولا تحت صرير أقلامهم.

❖ الفصل الثاني: تجليات الكتابة
التاريخية عند المسلمين.

❖ أولاً: صلة علم التاريخ بشخص سيّدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم.

❖ ثانياً: سيرة ومغازي سيّدنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم.

❖ ثالثاً: مؤلفات تاريخ مكّة والمدينة المشرفتين وكتب

السيرة العامة.



ارتبط تاريخ كل من الكتابة التاريخية وتدوين العلوم عند المسلمين في صدر الإسلام الأول وحضارته ارتباطاً وثيقاً بالوحي المنزل من السماء على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشكل هذا نقطة القوة في صحة وصدق الروايات التاريخية المقدمة للعالم أجمع وليس إلى المنتمين لملة الإسلام فحسب، من حيث ما وُجد مدوّناً في أسفار الحضارات الماضية ومقارنتها بنصوص الإسلام، والتطابق العجيب بين هذه النصوص والوقائع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن انقطاع الوحي الإلهي بانتقال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى دفع المسلمين الأوائل من رعيّل الصحابة وتابعيهم رضوان الله عليهم لحفظ ميراث النبوة من العلم فانتفضوا لتقييد العلوم وتدوينها خوفاً من ضياعها خاصة بعد انفتاح العالم الإسلامي على العوالم الأخرى أهمها حضارتي فارس والروم إثر الفتوحات الإسلامية، فكان شرف بداية الكتابة في التاريخ عند المسلمين مأخوذاً من شرف الاعتناء بتاريخ مغازي وسيرة وشمائل سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تفرّعوا من ذلك إلى الكتابة في علم الأنساب، وعلم الرجال أو كتب الطبقات، وكتب التاريخ العام، وتاريخ العلوم، وضبطوا ذلك بضوابط مؤسّسة ومقعدّة ألزمت المؤرخين بالتزام الحقيقة العلمية، فاتفق خواص الأمة وعامتها على ذلك ردحا من الزمان، إلى حين ظهور الفرق في المسلمين منبئاً بمرحلة جديدة.

أولاً: صلة علم التاريخ بشخص سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

1_ صفات سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وعلى إخوانه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الآية¹. ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان "رضي الله عنه" تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام، قال: "كيف نَسَبُهُ فيكم ؟ قال: هو فينا ذو نسب. قال: كذلك الرُّسل تُبعث في أنساب قومها" - يعني في أكرمها أحساباً وأكثرها قبيلة - صلوات الله عليهم أجمعين. فهو سيّد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة؛ أبو القاسم، وأبو إبراهيم، محمّد، وأحمد، والمحي الذي يُمحي به الكفر، والعاقب الذي ليس بعده نبيّ، والهاشر الذي يُحشر النّاس على قدميه، والمققي، ونبيّ الرحمة، ونبيّ التوبة، ونبيّ الملحمة²، وخاتم النبيّين، والفتاح، وطه، ويس، وعبد الله. قال البيهقي رحمه الله (ت 458هـ/1065م): وزاد بعض العلماء، فقال سمّاه الله في القرآن رسولاً، نبياً، أمياً، شاهداً، مبشراً، نذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، ورؤوفاً رحيماً، ومذكراً، وجعله رحمة، ونعمة، وهادياً³.

وقال الفقيه القاضي الامام أبو الفضل عياض (ت 544هـ/1149م) رضي الله عنه: "لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خُصَّ بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر

1_ سورة الأنعام - الآية رقم 124.

2_ مَلْحَمَةٌ: والجمع ملاحم وهي من الالتحام والاشتباك لأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم بعث من الله بالسيف في حقّ المشركين المناصبين العداء للإسلام. ينظر: محمّد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، منية السائل خلاصة الشمائل، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، 1426هـ/2005م، ص162.

3_ أبو الفداء عماد الدّين اسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج3، ط1، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، مصر، 1417هـ/1997م، ص335-354.

نبينا عليه الصلاة والسلام، وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تتضبط لزام، وتتويجه من عظيم قدره بما تكلم عنه الألسنة والأقلام... من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة، والمذاهب الكريمة، والفضائل العديدة؛ وتأيينه بالمعجزات الباهرة، والبراهين الواضحة، والكرامات البيّنة التي شاهدها من عاصره، ورآها من أدركه، وعلمها علم اليقين من جاء بعده، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا، صلى الله عليه وسلم كثيراً¹. فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعدد المحاسن؛ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الآية¹. قال القاضي الإمام أبو الفضل: "أعلم الله تعالى المؤمنين، أو العرب، أو أهل مكة، أو جميع الناس، على اختلاف المفسرين من الموجبة بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه، ويتحققون مكانه، وكونه من أشرفهم، وأفضلهم، على قراءة الفتح ﴿من أَنْفُسِكُمْ﴾ وهذه نهاية المدح"².

وقد أبرز الله عز وجلّ للعيان من خلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة، والأخلاق الحميدة، والمذاهب الكريمة، والفضائل العديدة؛ والبراهين الواضحة، والكرامات البيّنة التي شاهدها من عاصره، ورآها من أدركه، وعلمها علم يقين من جاء بعده، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا وفاضت أنواره علينا، صلى الله عليه وسلم كثيراً³.

1_ سورة التوبة، الآية رقم 128.

2_ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، تحقيق علي محمد البجاوي، ج1، بط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ/1984م، ص- ص 12، 16.

3_ القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص14.

وفي الكتب السماوية المتقدمة بشارة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أخبر الله تعالى أنّ ذلك في التوراة والإنجيل مكتوب، وكما أخبر عن نبيّه سيّدنا عيسى عليه السلام أنّه قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ الآية¹. وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو أنّه وجد صفته في التوراة صلى الله عليه وسلم وذكرها. وكذا زبور سيّدنا داود عليه السلام والنبوءات الموجودة الآن بأيدي أهل الكتاب، فيها البشارات به صلى الله عليه وسلم كما يخبر بذلك من أسلم منهم قديماً وحديثاً².

2_ شمائله ومعجزاته صلى الله عليه وسلم

الشمائل: الأخلاق³ ، والشمال: الطّبع⁴.

إنّ معرفة شمائله صلى الله عليه وسلم وحُسنه الظاهر والباطن ممّا يتأكّد، بل يتعيّن على كلّ مؤمن، ومعرفة صفاته السنيّة ونُعوته السميّة البهيّة وسيلة إلى امتلاك القلب بتعظيمه، وتعظيمه وسيلة إلى تعظيم شريعته، لأنّ حرمة الكلام على قدر حرمة المُتكلّم به. وقد نوّه الله تعالى بقدره صلى الله عليه وسلم، وعظّم من شأنه وأمره في غير ما آية من كتابه العزيز، كآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ الآية⁵. وآية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ الآية⁶.

إذا رُمّت الوصول إلى المعالي *** وبدى فيها عُلّاك غيرُ أقلّ

1_ الآية 06، سورة الصف.

2_ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق وتعليق محمّد العيد الخطراوي ومحبي الدين مستو، ط3، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، مكتبة، دار التراث، المدينة المنورة، 1402هـ/1941م، ص- ص241، 238.

3_ ابن منظور، المصدر نفسه، مج4، ج26، ص- ص 3253 ، 3254.

4_ الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 1020.

5_ سورة آل عمران، الآية رقم 81.

6_ سورة الفتح، الآية رقم 1.

وَأَنْ تَحْضِيَ وَتُبْصِرَ نَوْرَ طَه *** وَحَلِيَّتُهُ كَمَا حَظِيَ الْأَوَائِلُ
فَبَادِرَ وَاجْمَعَ الْأَفْكَارَ وَانْظُر *** بَعِينَ الْحَبِّ فِي هَذِي الشَّمَائِلُ
هَنَّاكَ تَهَيَّمُ بِالْمَخْتَارِ وَجَدًا *** كَغَصَنِ حَرَكْتِهِ يَدُ الشَّمَائِلُ
وَتَأْتِي مُخْبِرًا بِكَمَالٍ وَصَفٍ *** وَآدَابٍ وَلَلْآثَارِ نَاقِلُ
فَلَا زِلْنَا جَمِيعًا فِي حِمَاهُ *** فَإِنَّ حِمَاهُ مِنْ أَبْهَى الْوَسَائِلُ¹

وجاء في خبر بعثته ونزول الوحي عليه، الذي هو أصل كل علم أن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني جاورت بحراء شهرًا فلما قضيت جوارِي نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي فلم أر شيئاً، ثم نظرتُ إلى السماء فإذا هو على العرش² في الهواء، فأخذتني رَجْفَةٌ، فأُتيت خديجة، فأمرتهم فدَثروني، ثم صبوا عليّ الماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5)﴾ الآية³». الحديث⁴. وعن الربيع بن خثيم⁵ في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ الآية⁶،

¹ - محمد بن عيسى الترمذي، شرح مختصر الشمائل المحمدية، شرح عبد المجيد الشرنوبى، تعليق محمود بيروتي، ط2، دار البيروتي، دمشق، 1430هـ/2009م، ص- ص19، 13.

² - المقصود بعلی العرش هو سيدنا جبريل عليه السلام أمين الوحي. ينظر: تفسير الطبري، ج23، ص- ص 400 - 403.

³ - سورة المدثر، الآية رقم 1_5.

⁴ - رواه الإمام الطبري بسنده في تفسيره، ج23، ص 402. /ورواه عبد البر في الدرر، باب خبر مبعثه صلى الله عليه وسلم من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ص30.

⁵ - الربيع بن خثيم: وهو أبو زيد الربيع بن خثيم، المخبّط الورع، المتنبّث الفتن، أحد الثمانية من الزهاد، من سادات التابعين والراوين عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ينظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/1988م، ص- ص118، 105.

⁶ - سورة النساء، الآية رقم 163.

قال أوحى إليه كما أوحى إلى جميع النبيين¹.

ولما انتهى صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة جاءه جبريل عليه السلام، وهو بغار حراء، إذ كان يخلو به، فيتعبّد فيه، فأقرأه أول سورة العلق، وقد جمع الله لنبيه صلى الله عليه وسلم كمال الأخلاق، ومحاسن الشيم والسياسة التامة، المنتشر في الخافقين بها العلم، وآتاه علم الأولين والآخرين ووفاه بما فيه النجاة في الآخرة لإتباعه، ولوا كانوا مثلى مقصرين. وكان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه إذا رآه يقول:

أَمِينٌ مُصْطَفَى بِالْخَيْرِ يَدْعُو *** كَضَوْءِ الْبَدْرِ زَايِلُهُ الظَّلَامُ.

وعمر رضي الله عنه ينشد لغيره:

لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ *** كُنْتُ الْمُضِيءَ لِلَّيْلَةِ الْبَدْرِ.

وعمه أبو طالب:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ *** ربيع اليتامى، عصمة للأرامل
تطيف به الملاك من آل هاشم *** فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان حق لا يخيس شعيره *** وَوَازِنُ عَدْلٍ وَزِنُهُ غَيْرُ عَائِلٍ².

قال الله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية³. اتفق جلّ العلماء على أنّ الإسراء كان بشخصه صلى الله عليه وسلم، وأنّه ركب البراق من مكّة، ووصل إلى بيت المقدس، وصلى فيه، وفي تلك الليلة رَفَعَهُ اللهُ إلى حضرته السنيّة وأرقاه فوق الكواكب

¹ _ يوسف بن عبد البر النّمرى، الدرر في اختصار المغازي والسير، إشراف توفيق محمّد عويضة، تحقيق شوقي ضيف، بط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، دار التحرير، القاهرة، 1386هـ/1966م، ص-ص 30، 32.

² _ شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تقديم طه حسين، ج1، ط1، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1399هـ/1979م، ص-ص 26، 27.

³ _ سورة الإسراء، الآية رقم 1.

العلوية، وألزمه اسم العبودية، تواضعاً وإجلالاً للألوهية. وبركة بيت المقدس لما فيه من النبوة والشرائع والرسل ﴿لَنُرِيَهُ﴾ يُريد لنُريَ محمداً بعينه آياتنا في السموات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك من العجائب، مما رآه في تلك الليلة¹.

قال الإمام البوصيري² رحمه الله في مدح سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فضائله: فاق النبيين في خلق وفي خلق *** ولم يُدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله مُلتَمَسٌ *** غُرُفاً من البحر أو رشفاً من الدَّيَمِ
وواقفون لديه من حدّهم *** من نقطة العلم أو من شكّلة الحكم

¹ _ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن أبي زيد الثعالبي المالكي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق علي محمد عوض وآخرون، ج3، ط1، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1418هـ/1997م، ص، ص449، 450.

² _ الإمام البوصيري: الإمام العارف الكامل الهمام المتقن المحقق، والبلغ الأديب المدقق، إمام الشعراء وأشعر العلماء، وبلغ الفصحاء، وأفصح البلغاء الحكماء، الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال المصري الصنهاجي الدلاصيري - قيل هي "دلس" ببومرداس الجزائرية - ثم اشتهر بالبوصيري، قيل: ولعله بلد أبيه فغلب عليه ولد ولد ببهتيم سنة 608هـ/1211م وتوفي بالاسكندرية سنة 694هـ/1294م، له ديوان شعر مطبوع، وله قصيدة البردة، وله قصيدة الهمزية. أخذ عنه الإمام أبو حيان النحوي، والإمام اليعمري أبو الفتح ابن سيد الناس، ومحقق عصره العز بن جماعة، وغيرهم. ذكره المقريزي وابن حجر العسقلاني وقال: توفي. ينظر: داود بن سليمان النقشبندی البغدادي، الذب عن صاحب البردة، تحقيق عبد الرزاق النقشبندی البغدادي، د.ط، دار جوامع الكلم، القاهرة، 1425هـ، ص- ص 17، 18. الإمام البوصيري، البردة، شرح الشيخ إبراهيم الباجوري، تعليق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، ط2، مكتبة الآداب القاهرة، 1413هـ/1993م، ص7.

أي فاق النبيين في الصورة والشكل وفي الخصال الحميدة كالعلم، والحياء، والجود والشفقة، والحلم والعدل، والعفة، وكلهم من سيّدنا رسول الله ملتَمَس أي أخذ غرّاً من البحر الذي هو ضدّ البرّ، سمي بذلك لعمقه واتساعه، أو رشفاً من الدّيم إشارة إلى اختلاف أحوال الملتَمسين، وللتنوّيع والتقسيم بين العَرَف من البحر والرشف من الدّيم - جمع ديمة وهي المطر الدائم يوماً وليلاً من غير رعد-، والمراد من البحر والدّيم علمه وحلمه صلّى الله عليه وسلم. ومعنى واقفون لديه عند حدّهم أي أنهم ثابتون عنده صلّى الله عليه وسلم في العلم والحِكم عند الحدّ الذي حدّ لهم من ذلك فلا يتجاوزونه، وهو كالنقطة من علم الرسول أو كالشكّلة من حكمه صلّى الله عليه وسلم، وعلمهم بالنسبة لعلمه صلى الله عليه وسلم كنقطة من علم الله، وحكمهم بالنسبة لحكمه صلى الله عليه وسلم كشكّلة من حكمه تعالى¹.

والشمائل في الاصطلاح: يُراد بها الصفة الخُلقية والخُلقية لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالأولى نعني بها أخلاقه الكريمة كما وصفه ربّ العزّة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ الآية². والثانية يُراد بها خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر بعده خلق آدمي مثله - والله درّ الإمام البوصيري³ حيث قال في البردة:

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ *** ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئَ النَّسَمِ
مُتَزَّهٍ عَنْ شَرِيكِ فِي مَحَاسِنِهِ *** فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

ثم قال في همزيته:

¹ - محمّد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، البردة، شرح الشيخ إبراهيم الباجوري، ضبط وتعليق الشيخ عبد الرحمن حسن حمود، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 1413هـ/1993م، ص- ص 45 ، 47.

² - سورة القلم، الآية رقم 4.

³ - الإمام البوصيري: هو محمّد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري ولد ببهيتيم وتوفي بالاسكندرية، له ديوان شعر مطبوع، وله قصيدة البردة، وله قصيدة الهمزية. ولد سنة 607هـ/م وتوفي 696هـ/م رحمه الله. ينظر: الامام البوصيري، البردة، شرح الشيخ إبراهيم الباجوري، تعليق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، ط2، مكتبة الآداب القاهرة، 1413هـ/1993م، ص7.

سَيِّدَ ضَحِكُهُ التَّبَسُّمُ وَالْمَشْيُ مَا *** الهُويَّيَا وَنَوْمُهُ الْإِغْفَاءُ
سَوَى خَلْقِهِ النَّسِيمَ وَلَا غَيْرَ *** مُحَيَّاهُ الرُّوضَةَ الْغَنَاءُ
رَحْمَةً كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ *** وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ
لَا تَحُلُ مِنْهُ الْبَاسَاءُ عُرَى الصَّبْرِ *** وَلَا تَسْتَخِفُّهُ السَّرَاءُ
كَرَمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّوءُ *** عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الْفَحْشَاءُ¹

أما أوصافه الباطنة فهي كثيرة منها: التواضع، والعفو، وحسن المعاشرة، والصفح، والسخاء، والشجاعة، والأمانة، والشفقة، والعدل إلى غيرها من الأوصاف الحميدة التي لم يشاركه فيها أحد من الخلق².

قال الإمام البوصيري في بُردته:

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ *** وَلَمْ يُدَاوَهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ³

فقد سُئِلَت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت: "كان خلقه القرآن" تعني التأدب بآدابه، والتخلق بمحاسنه، والالتزام لأوامره وزواجه. كقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الآية⁴. وفي الحديث قال سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ»⁵. الحديث⁶.

¹ _ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، منية السائل خلاصة الشمائل، ص - ص 38 ، 39.

² _ الكتاني، نفسه، ص 40.

³ _ الإمام البوصيري، البردة، ص 45.

⁴ _ سورة الأعراف، الآية رقم 199.

⁵ _ روى الترمذي نحوه في سننه عن سيِّدنا أبي هريرة قال: سئل سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». ينظر: سنن الترمذي، باب حسن الخلق،

حديث رقم: 2122، ج 4، ص 103.

⁶ _ الكتاني، المرجع السابق، ص 40.

ومن الواجب على كل مؤمن، ذي عقل وفهم معرفة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله وخصائصه وذلك لقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ الآية¹. وأن يعرف فضل هذا الرسول الكريم، ورفعة قدره، وعُلُوّ منزلته وخصائصه التي اختصه الله بها من جميع الكمالات، لا سيّما وأننا مأمورون بالإيمان بهذا النبي الكريم عليه السلام، والاهتداء بهديه، وبمحبتته أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين. بل أكثر من أنفسنا، ومأمورون بإتباعه حقّ الإِتباع الموصول إلى محبة الله للعبد، وكفى بها من رتبة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ الآية².

سمع الصحابة رضوان الله عليهم قدر النبي صلى الله عليه وسلم فعظّموه، وعلموا مكانته عند ربّه فسارعوا إلى محبته، حتى قال سيّدنا عمر رضي الله عنه: "لأنت أحبّ إليّ من نفسي" فشهد له سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة عظيمة وهي كمال الإيمان. وصارت محبة النبي صلى الله عليه وسلم فائقة على محبتهم لأهلهم وأنفسهم وكلّ غالٍ وثمين مما دعى أبا سفيان رضي الله عنه قبل إسلامه يقول: "ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمّداً" صلى الله عليه وسلّم، أحبّوه وأحبّهم سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح بهم ومدحهم، واشتاق إلى أناس يأتون بعده آمنوا برسالته واتبعوا السنّة، ولكنهم لم يظفروا برؤيته، اشتاق إليهم ومدحهم فقال: «مَنْ أَشَدُّ أُمْتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَنِي، بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ» الحديث³.

¹ _ سورة المومنون، الآية رقم 69.

² _ سورة آل عمران، الآية رقم 31.

³ _ الترمذي، الشمائل المحمّدية، ص 6.

⁴ _ رواه الإمام مسلم في صحيحه، باب من يودّ رؤية سيّدنا النبي بأهله وبماله، حديث رقم: 2832، ص 1300.

⁵ _ الترمذي، خلاصة الشمائل، ص - ص 6 ، 7.

وفي كتاب "الأفئوم في مبادئ العلوم" للشيخ عبد الرحمن الفاسي أنه قال في تعريف علم الشمائل:

عِلْمُ بِحَالِ الْمُصْطَفَى وَمَا يَشْمَلُ *** مِنْ خَلْقٍ وَخُلُقٍ بِهِ فُضِّلَ
كَانَ النَّبِيُّ رُبْعَةً فِي الْقَدِّ *** وَشَمْلٌ خَدٍ وَطَوِيلَ الرِّفْدِ

وفي شرح الشمائل المحمدية المسمى "بالفوائد الجامعة البهية" لمحمد بن قاسم جسوس عرّف الشمائل في قوله: "ذكر ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم من شمائله صلى الله عليه وسلم وحُسنه الظاهر الباطن، ومعرفة ذلك ممّا يتأكّد بل يتعيّن على كل مؤمن لوجوه. ويمكن تقسيم أوصافه صلى الله عليه وسلم إلى قسمين: أوصاف ظاهرة وأخرى باطنة. فالظاهرة تعني كمال خلقه وحُسن صورته التي هي آية على محاسنه الباطنة".

لو لم تكن فيه آيات مُبَيَّنَةٌ *** لكان منظره يُنبئكَ بالخبر

وأخرج الترمذي في الشمائل من رواية قتادة قال: "ما بعث الله نبياً إلا حَسَنَ الوجه، حسن الصوت، وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه، حسن الصوت، وكان لا يرجع".

ومن قول السيِّدة عائشة بمدحه:

وَأَجْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي *** وَأَكْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِفْتَ مُبَرَّراً مِنْ كُلِّ عَائِبٍ *** كَأَنَّكَ قَدْ خُلِفْتَ كَمَا تَشَاءُ¹.

إن معرفة شمائله صلى الله عليه وسلم وحُسنه الظاهر والباطن مما يتأكّد بل يتعيّن على كل مؤمن لوجوه: وردت فيها آيات وأحاديث كثيرة. أولاً: إنّ معرفة صفاته السّنية ونعوته البهية السّميّة صلى الله عليه وسلم وسيلة إلى امتلاك القلب بتعظيمه، وتعظيمه وسيلة إلى تعظيم

¹ _ الكتاني، منية السائل خلاصة الشمائل، ص - ص 39 ، 40. /محمد بن قاسم جسوس، الفوائد الجلية البهية على الشمائل المحمدية، ط1، مطبعة الجمالية، مصر، 1330هـ، ص - ص 2-39. /عبد الرحمن الفاسي، الأفئوم في مبادئ العلوم، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، تحت رقم: 6585، ص - ص 59 ، 61.

شريعته. ثانياً: إنّ معرفتها تتضمن معرفة حسنه وإحسانه صلى الله عليه وسلم، وذلك وسيلة إلى محبته. ثالثاً: إنّ السعي في معرفة شمائله خدمة لجانبه صلى الله عليه وسلم، وثناء عليه، وتعلق به، وتعظيم لقدره، وتقرب وتودّد من قبله، وفي ذلك أيضاً تعرّض لنفحات الرحمة الإلهية. رابعاً: إنّ معرفة صفاته مُعينة على شهود ذاكراً لذاته، وفي رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظةً أو نوماً فوائد عظيمة، ومزايا كبيرة فخيمة. خامساً: إنّ في ذكرها وسماعها تنعماً وتلذّذاً بحبيب القلوب وقرّة العيون صلى الله عليه وسلم، وهو ضربٌ من الوصال به، ووجهٌ من وجوه القرب منه والاجتماع به. كما قال بعضهم:

يا عينُ إنّ بُعدَ الحبيب وداره *** ونأتِ مرابِيعُهُ وشطّ مزارُهُ
فلقد ظفرتُ من الحبيب بطائلٍ *** إنّ لم تَرَهُ فهذه آثاره
وقال سيّدي أبي مدين¹ رحمه الله:

وتحيا بِذِكْرِكُمْ إذا لم تراكُم *** ألا إنّ تذكّار الأحبة ينعشنا
فلولا معانيكم تراها قلوبنا *** إذا نَحَتِ أيقاظٌ وفي النوم إن غبنا
لَمَسْنَا أَسَى من بعدكم وصَبَابَةً *** ولكن في المعنى معانيكم مَعَنَا
يحرّكنا ذكر الأحاديث عنكم *** ولولا هواكم في الحشا ما تحرّكنا
وقال ابن الجزيري² في مدح الشمائل:

¹ _ الشيخ أبو مدين شعيب: أصله من إشبيلية ثم نزل بجاية. كان زاهداً فاضلاً، عارفاً بالله عزّ وجلّ، من أهل الأحوال والمعارف والعلم والمراقبة لله تعالى، توفي سنة 594هـ/1198م ودفن بالعباد خارج تلمسان. ينظر: أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوّف إلى رجال التصوّف، تحقيق أحمد توفيق، ط2، كلية الآداب، الرباط، 1997، ص319.

² _ الشيخ الجزيري: ممّن كان أيام المنصور من الوزراء المشهورين، الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الخولاني، علّم من أعلام الزمان، وعين من أعيان البيان، باهر الفصاحة، طاهر الجنب والساحة، تولّى التحرير أيام المنصور والإنشاء، وكان أبو مروان أحد شعراء الأندلس المجيدين وقته، وممّن اجتمع له بهذا الإقليم نوعاً البلاغة في المنثور والمنظوم. توفي سنة 391هـ/1000/1001م. ينظر: أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1، ص- ص 529 ، 531.

أي خَلَايَ إن شَطَّ الحبيب ورَبُّهُ *** وعَزَّ تلاقِيه ونَائَتْ منازلُه
وفاتَكُم أن تَنظُرُوهُ بعَيْنِكُم *** فما فاتَكُم بالسَّمْعِ هذه شَمَائِلُهُ.

سادساً: إن ذكر محاسنه صلى الله عليه وسلم يحرك ما في القلوب من الحب الساكن والشوق الكامن، ولا سيما إذا كان القارئ للشمائل حسن الصوت، كما هو مطلوب عند قراءة القرآن لإثارة الخشوع وترقيق القلب¹.

وعن عبد الله بن مسعود قال: أُتِيَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرَقِ - وهي الدابة التي كانت تُحْمَلُ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ، تَضَعُ حَافِرُهَا فِي مَنْتَهَى طَرَفِهَا - فَحَمَلَ عَلَيْهَا، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ صَاحِبُهُ، يَرَى الْآيَاتِ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَوَجَدَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ وَمُوسَى وَعِيسَى فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ جُمِعُوا لَهُ، فَصَلَّى بِهِمْ، ثُمَّ أَتَى بِثَلَاثَةِ آنِيَةٍ، إِنَاءٍ فِيهِ لَبَنٌ، وَإِنَاءٍ فِيهِ خَمْرٌ، وَإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ فَقَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ حِينَ عَرَضْتُ عَلَيَّ: إِنَّ أَخْذَ الْمَاءِ غَرَقٌ وَغَرَقْتُ أُمَّتَهُ، وَإِنْ أَخْذَ الْخَمْرِ غَوَى وَغَوَتْ أُمَّتُهُ، وَإِنْ أَخْذَ اللَّبَنِ هُدًى وَهَدَيْتِ أُمَّتَهُ. قَالَ: فَأَخَذْتُ إِنَاءَ اللَّبَنِ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ، فَقَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "هُدَيْتِ وَهَدَيْتِ أُمَّتَكَ يَا مُحَمَّدٌ"². وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَمَّا فَرَّغْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَتَى بِالْمِعْرَاجِ، وَلَمْ أَرِ شَيْءَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ... فَأَصْعَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ بَابُ الْحَفْظَةِ، عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنْ

=ج1، ص- ص 586 - 588./ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ج4، د.ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، مج4، ج1، 1399هـ/1989م، ص46.

¹ _ الترمذي، الشمائل المحمدية، ص - ص 13 ، 18.

² _ أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري البصري المعروف بابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ج1، ط1، دار الصحابة للتراث، مصر، 1416هـ/1995م، ص 397.

الملائكة... فلما دخل بي، قال: من هذا يا جبريل؟ قال هذا محمد قال: أوقد بُعث؟ قال: نعم. قال: فدعا لي بخير: وقاله¹.

ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم، وخصّه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدّين، ومعرفته بأمر شرائعه، وقوانين دينه، وسياسة عبادته، ومصالح أمته، وما كان في الأمم قبله، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمانه، وحفظ شرائعهم وكتبهم، ووعي سيرهم، وسرد أنبائهم، وأيام الله فيهم، وصفات أعيانهم، واختلاف آرائهم، والمعرفة بمديهم وأعمارهم، وحكم حكمائهم، ومحاكاة كلّ أمة من الكفرة، ومعارضة كلّ فرقة من الكتابيين بما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبّات علومها، وإخبارهم بما كتموا من ذلك وغيره. وعُرف صلى الله عليه وسلم بالاحتواء على لغات العرب، وغريب ألفاظ فرقها، والإحاطة بضروب فصاحتها، والحفظ لأيامها² وأمثالها، وحكمها ومعاني أشعارها، والتخصيص بجوامع كلمها³ وورث سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم هذا العلم لأمته من بعده⁴.

والهجرة إلى المدينة المنورة تمثل انطلاقا بالدعوة، ولذلك نجد الأحداث الضخمة كانت بعد الهجرة، مع وجوب الاعتبار من حياة سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، من حيث

¹ _ ابن هشام، السيرة النبوية، ص403.

² _ أيام العرب: تُعنى بتاريخ العرب في الجاهلية وصيلاتهم بالأمم الأخرى كالفرس والروم، وهي مصدر خصيب من مصادر التاريخ، وينبوع صافي من ينابيع الأدب، ونوع طريف من أنواع القصص؛ بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث، وما روي في أثنائها من نثر وشعر، وما تدسّى خلالها من مآثور الحكم وبارع الحيل، ومصطفى القول ورائع الكلام بما تحدّث به الرواة من أخبار. وهذه الأيام سبيل لمعرفة أحوال العرب بعد الإسلام. ينظر: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، ط1، دار إحياء الكتب العلمية، مصر، 1361هـ/1942م، ص أ.

³ _ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج1، ص501.

⁴ _ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، منية السائل خلاصة السائل، ص169.

عدم اعتبارها تَرْفَ عقلي، ولكن خصوصها بالبلاغ النَّظري، والتوضيح التطبيقي، والحدوث السلوكي¹.

3_ نبوءات سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم

والقول في تأويل قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ الآية². يقول جلّ ثناؤه لنبيّه سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، بوحينا إليك هذا القرآن فنخبرك فيه من الأخبار الماضية، وأنباء الأمم السالفة، والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية، ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن كنت يا محمّد، من قبل أن نوحيه إليك ﴿لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذلك لا تعلمه ولا شيئاً منه، وعن قتادة ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، من الكتب الماضية، وأمور الله السالفة في الأمم ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ وذكر أنّ هذه الآية نزلت على سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسألة أصحابه رضي الله عنهم إياه أن يقصّ عليهم³. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قالوا يا سيّدنا رسول الله، لو قصصت علينا؟ قال: فنزلت ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾". وفي الرواية أنّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ملّوا ملّة، فقالوا: يا سيّدنا رسول الله حدّثنا فوق الحديث، ودون ا

لقرآن، يَعْنُونَ الْقَصَصَ، فأنزل الله ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ

¹ _ محمّد متولّي الشعراوي، سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل، د.ط، دار الندوة، الإسكندرية، د.ت، ص94.

² _ سورة يوسف، الآية رقم 3.

³ _ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تفسير آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن الزكي وعبد السند حسن يمامة، ج13، ط1، دار الهجرة القاهرة، 1422هـ/2001م، ص7.

لِمَنْ الْغَافِلِينَ (3) ﴿ الآية¹. فأرادوا الحديث فدلّهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدلّهم على أحسن القصص².

وقوله تعالى: ﴿ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ الآية³. قوله سبحانه وتعالى ﴿ في الآفاق وفي أنفسهم ﴾: هو وعد بما يفتحه الله على رسوله من الأقطار حول مكة المكرمة، وفي غير ذلك من الأرض، كخبير ونحوها ﴿ وفي أنفسهم ﴾: أراد به فتح مكة؛ وهذا تأويل حسن يتضمن الإعلام بغيب ظهر، وقال قتادة والضحاك⁴ ﴿ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾ هو ما أصاب الأمم المكذبة في أقطار الأرض قديماً ﴿ وفي أنفسهم ﴾: يوم بدر، والضمير في قوله تعالى: ﴿ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ عائداً على الشرع والقرآن فبإظهار الله نبيّه وفَتْحِ البلاد عليه يتبين أنّه الحق⁵.

وقد أخبر سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم بالغيوب المُسْتَقْبَلَةِ المطابقة لخبره، كما أخبر الله عزّ وجلّ في كتابه من إظهار دينه، وإعلاء كلمته، واستخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمته في الأرض، وكذلك كان. وأخبر بغلبة الروم فارس في بضع سنين،

¹ _ سورة يوسف، الآية رقم 1-3.

² _ تفسير الطبري، ج13، ص- ص 7،8.

³ _ سورة فصلت، الآية رقم 53.

⁴ _ الضحاك: الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير. كان من أوعية العلم، وليس بالمُجَوِّدٍ لحديثه، وهو صدوق في نفسه، حدّث عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعن الأسود، وسعيد بن جبّير، وعطاء، وطاووس رضي الله عنهم، وطائفة. وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما. قال سفيان الثوري: كان الضحاك يُعَلِّمُ ولا يأخذ أجراً. لقي سعيد بن جبّير بالريّ وأخذ عنه التفسير. قال الضحاك: كنت ابن ثمانين سنة جَلْدًا، غَزَاءً. توفي سنة 106هـ/724م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص 589.

⁵ _ أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف المالكي الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق علي محمد معوّض وآخرون، ج5، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ/1997م، ص- ص 146، 147.

وتسليط الأَرْضِ على الصحيفة فأكلتها إلا ما كان من ذكر الله، وأخبر يوم بدرٍ بِمَصَارِعِ القتلى واحداً واحداً، وأنَّ كنوز كسرى وقيصر ستنتفك في سبيل الله، وبشّر أُمَّته أن ملكهم سيمتد في طول الأرض، وأخبر أنَّ أُمَّته تقاتل التتار، وأخبر بقتال الخوارج، وأخبر أنَّ سيّدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما سيُصلحُ الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وأنَّ عمّاراً ستقتله الفئة الباغية، وأخبر بخروج نار من أرض الحجاز تُضيءُ لها أعناق الإبل بِبُصْرَى¹، وكان ظهورها في سنة بضع وخمسين وستمائة. وأخبر بجزئيات كانت وتكون بين يدي الساعة يطول بسطُها².

ولذا فإن علم التاريخ العربي الإسلامي عند نشأته يقوم على دراسة سيرة سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم والاهتمام بها وأخبار الغزوات ومن أسهم فيها من ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بمكة المكرمة والمدينة المنورة السبّاقَتين إلى هذا، وكان المؤرّخون من المسلمين يعتمدون الروايات الشفوية؛ شأنهم في ذلك شأن رُواة الحديث يأخذون أخبارهم جيلاً عن جيل وطبقة عن طبقة، وكان الخبر التاريخي يستمد من السّماع عن الحفاظ الموثوق بهم وهو ما يُعرف بالأسانيد، وهي وسيلة للإجماع على صحة الخبر، وهي نفس الوسيلة التي اتّبعتها المحدثون في روايتهم للحديث، وأقدم الكتب التاريخية الجامعة بين الحديث والتاريخ هي كتب المغازي والسير؛ فقد دفع اهتمام المسلمين بسنة سيّدهم ونبيّهم صلوات ربّي وسلامه عليه إلى الاهتمام بها والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي، وفي

¹ - بُصْرَى: من أرض الشام من أعمال دمشق وهي مدينة حوران، وفي الخبر أنَّ أمانة لمّا حملت بسيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم رأّت كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصْرَى من أرض الشام. ينظر: محمّد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عبّاس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص109.

² - ابن كثير، الفصول في سيرة سيّدنا الرسول صلى الله عليه وسلم، ص - ص 236، 238.

النظم الإدارية، والكتابة في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ومغازيه مغازي الصحابة رضي الله عنهم¹.

لقد شهد صدر الإسلام نشوء العلوم الإسلامية وفي مقدمتها علوم الدين من قرآن وحديث وفقه، وكان سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على إرسال المعلمين إلى القبائل التي تدخل في الإسلام وتلك التي يؤمل دخولها فيه، وقد سار الخلفاء الراشدين على طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في إرسال المعلمين إلى الأمصار والبلاد المفتوحة. أما بالنسبة للعلوم التي عرفها المسلمون في صدر الإسلام فخير مثال على ذلك ما كان يُبحث في مجلس سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما مثل الفقه والعربية والأنساب والشعر وأيام العرب ووقائعها وتفسير القرآن الكريم وأحكام الكتاب والحديث. ولقد كانت هذه العلوم متميزة عن بعضها البعض ومعروفة بأسمائها وقد تخصص بعض العلماء في بعضها، وهناك من جمع بينهما كعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وازدهار الحركة العلمية انعكس على الحرمين الشريفين ووفود العلماء إلى الحجاز من أقصى الغرب والشرق، وساعد في ذلك أيضاً انتقال النشاط السياسي خارج الجزيرة الأمر الذي أتاح لأهلها التركيز على العلوم وطلبها².

وبعد أن كان الصحابة رضوان الله عليهم في عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتمدون في تلقي أحاديث سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، ورواية العلم ونقله على الحفظ، ويعولون على السماع وعلى الحافظة القوية في أغلب الأحيان، تطورت حياة المسلمين في الأمصار، وتوفرت الدواعي للانكباب على تدوين العلم وتقييد مسائله، وكتابة

¹ محمد بن الحسن بن زبالة، أخبار المدينة، تحقيق صلاح عبد العزيز بن سلامة، ط1، مركز البحوث والدراسات، المدينة المنورة، 1424هـ/2003م، ص- ص 15، 16.

² - طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1416هـ/1996م، ص- ص 47، 48.

الأحاديث النبوية الشريفة، وضبط الأحكام الفقهية في كتب تُداول بين الطلبة، وتُعتمد في الرجوع إليها والاستفادة منها¹.

ثانياً: سيرة ومغازي سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

1_ السيرة العطرة لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

التعريف اللّغوي: السيرة: سير: السَّيْرُ: الذهاب، سار يسير سيراً ومسيراً وتسياراً ومسيرَةً وسيرورة. ويُقال بارك الله في مسيرك أي سيرك. والاسم من كلّ ذلك السَّيرَةُ. حكى اللّحاني: إنّه لَحَسَنُ السَّيرَةِ²، والسيرة بالكسر، السَّنة، والطريقة، والهيئة، والميرة، وسيرة: جاء بأحاديث الأوائل، وبسيرته: استنّ بسنته³.

ولفضة "السَّير" إذا أطلقت يُرادُ بها عند مؤرخي الإسلام الحديث عن رسالة الإسلام وما يرتبط بها من نشأة النبيّ صلى الله عليه وسلم، وذكر آبائه وأجداده وأصحابه الذين أبلوا معه في إقامة الدِّين، وما رافق هذه الدَّعوة من أحداثٍ ومغازي وحروب واتفاقات ومعاهدات⁴.

شُغل المسلمون منذ الأيام الأولى للإسلام بسيرة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنوا بتسجيل وقائعها، وحرصوا على نقلها دقيقة موثقة سواء في كتب الحديث النبوي الشريف أو في كتب السيرة أو في كتب التاريخ، وقد اختلفت مناهج العلماء باختلاف

¹ _ أبو محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق محمّد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، ط2، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 79.

² ابن منظور، لسان العرب، مج2، ج24، ص 2169.

³ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 412.

⁴ _ أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جوامع السيرة النبوية، تصحيح عبد الكريم ساسي الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2002م، ص3.

عصورهم وتخصّصهم، فللمحدّثين¹ منهج يسمّى بالضبط الشديد والتحريّ الدقيق لكلّ ما نُسب إلى سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو عمل. وللمؤرخين وكتاب السيرة النبويّة مناهج مستقاة من مناهج المحدثين؛ ولا غرابة في هذا فإنّ دراسة التاريخ قد نشأت في بيئة أهل العلم التي كان قوام اهتمامها الحرص على جمع الحديث النبوي الشريف والسيرة العطرة. ولذا احتكم الأخباريون² والمؤرخون إلى مناهج المحدثين وأساليبهم في نقل الوقائع والأحداث التاريخية معتمدين على الأسانيد والروايات³.

ولا شك أنّ السيرة النبوية الشريفة من أهم مجالات الدراسة الّتي عنى بها المسلمون قديماً وحديثاً، وستظلّ كذلك لأنّ سيرته عليه الصلاة والسلام تنفيذ عملي للتشريع الرّباني وبيان لأحكامه، ومن هنا تعدّدت المصادر الّتي نقلت السيرة النبوية وتوّعت مناهجها من حيث انتصار السيرة، أو العناية بدروسها الدينية والتربوية، أو التحقق من بعض الوقائع والأقوال...إلى غير ذلك. وهذا ما أنتج من سيرة خير البشر عليه الصلاة والسلام أثر واضح

¹ _ **المُحدّثون**: المحدث: حدّث: تكلم وأخبر وروى حديث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم. وبالنعمة: أشاعها وشكر عليها. **والحديث**: ما يُحدّث به المحدث حديثاً، وقد حدّثه الحديث وحدّثه به. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج2، ج10، ص797./المعجم الوسيط، مجّع اللّغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ/2004م، ص159.

² _ **الأخباريون**: **الخبر**: النّبأ جمّعها أخبار وجمع جمعها: أخبار، ورجل خابرٌ وخبيرٌ. **والمُخبرَةُ** والمُخْبِرَةُ العلم بالشيء. **والخبير**: الأكّار، والعالم بالله تعالى. **واستُخْبِرَهُ**: سأله الخبر، **كَتَخْبِرُهُ**. **وخبّره** تخبيراً. **والخبر**: سأل عنه، والشيء: عرفه على حقيقته. وفي حديث الحديبية: "أنّه بعث عيّناً من خزاعة يتخبّر له خبر قريش": يتعرّف. **والأخباري**: المؤرّخ نُسب إلى الأخبار. **والخبير**: اسم من أسماء الله الحسنى عزّ وجلّ. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص382./المعجم الوسيط، مجّع اللّغة العربية، ص215.

³ _ مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1412هـ/1992م، ص9.

في تنوّع النظرات و المناهج والاستنباطات؛ وتعدّد جوانب الإعجاز النبوي فيها. ولذا سوف تظلّ مَعِينَا لا ينضب مهما كثر الواردون عليه¹.

التعريف الاصطلاحي: لفظنا "المغازي والسير" إذا أطلقنا فالمراد بها عند مؤرّخي المسلمين تلك الصفحة الأولى من تاريخ الأمّة العربية: صفحة الجهاد في إقامة صرح الإسلام وجمع العرب تحت لواء سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وما يضاف إلى ذلك من الحديث عن نشأة سيّدنا النبي صلّى الله عليه وسلم، وذكر آبائه، وما سبق من أحداث لها صلة بشأنه وحياة أصحابه الذين أبْلَوْا معه في إقامة الدّين، وحملوا رسالاته في الخافقين. وظهور الرسالة المحمّدية أعظم الحوادث في تاريخ العرب خاصّة، والبشر عامّة لأنّ حياة العرب أيام سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانت له ولدينه، فما اجتمع مَلَأُ منهم أو تفرّق إلّا فيه، ولا تحدّثوا في نديهم إلّا عنه، ولا تحرّكت كتائبهم وجيوشهم إلّا له حتى كان فُصارى بلائه فيهم اجتماعهم على الإسلام، ونَبَذَهُم ما كانوا فيه من الجاهلية الجَهلاء، والضلالة العمياء ثمّ برزت أمّة الإسلام إلى أداء الرسالة في هداية البشر، وإقامة القسطاس² بين النّاس، صاحبة المثل الأعلى في علوّ الهمة، والبطولة، والإيثار، والتعاون على البرّ والتقوى، والاستمساك بمكارم الأخلاق³.

ونقطة البداية في تاريخ الإسلام مرتبطة عظيم الارتباط ووثيقة بحياة سيّدنا النبي صلّى الله عليه وسلم وسيرته، التي تعدّ المدخل الطبيعي لدراسة تاريخ الإسلام، ويقدّر ما

¹ - مهدي رزق الله، السيرة النبويّة، ص9.

² - القسطاس: قال تعالى ﴿وَرَبُّنَا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الشعراء 182؛ يقال: هو أَقْوَمُ الموازين وقال بعضهم: هو الشّاهين، ويقال: قُسْطَاسٌ وقِسْطَاسٌ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج5، ج40، ص 3626.

³ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص4.

نُحيط علماً بهذه السيرة ونتفهم أسرارها وأخبارها بقدر ما نستطيع فهم أحداث تاريخ الإسلام في جميع مراحلها أو بالحري في كلّ مكان وزمان¹.

وبدأ تاريخ الإسلام بنزول الوحي على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تقاس أهمية هذا النبي عليه الصلاة والسلام وعظمته بالإنجازات التي تمت في عصره فقط، ولكن بما نتج عن هذه الإنجازات، وما تحقّق بعده؛ بقيام الفتوحات الكبرى، وتأسيس دولة الإسلام العظمى الممتدة من داخل الصين وحتى خليج عُمان ومن شواطئ المتوسط في الشام حتى جنوب فرنسا ومشارك روما. وتكمن أهميته أيضاً عليه الصلاة والسلام في أنّه أول مشروع في التاريخ قديمه ووسيطه وحديثه، مُستَمِداً من الله النظرية، وقام بعد ذلك بالتطبيق².

ولقد كان أثر هذا، وما زال كبيراً للغاية على البشر وحضارتهم، وثقافتهم وأوضاعهم العقائدية والاجتماعية والعرقية والسياسية وثقافتهم وأوضاعهم العقائدية والاجتماعية والعرقية والسياسية وحتى العسكرية؛ فأحلّ العدل بمضامين الأخلاق محلّ الظلم، وحرّر المرأة وصان كرامتها، وقضى على الفوضى وأوجد النظام، ورفع مكانة الأرقاء، وحارب الشقاء والفقر، وحضّ على العمل بإخلاص، ونشر الثقافة والقراءة والكتابة، وهياً بذلك طبقة أدارت الدولة بعده، وبثّ النظم في كل مجالات الحياة، وشرّع للحرب التي هدفها تحرير الإنسان وصيانتها، وشرّع للحرب التي هدفها تحرير الإنسان وصيانتها، وهذا ما أتاح للعرب المسلمين فتح العالم من بعده صلى الله عليه وسلم³.

¹ _ محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن شهاب الزهري، المغازي النبوية، تحقيق وتقديم سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، دمشق، 1401هـ/1981م، ص 10.

² _ ابن شهاب الزهري، المغازي النبوية، ص - ص 17 - 18.

³ _ نفسه، ص 10.

والآن حين أخذ الناس يتعرفون بشكل علمي إلى تاريخ الإسلام وحضارة المسلمين، لاحظوا بإكبار ودهشة، أنّ كلّ خَلْجة وحركة تَمّت في ماضي المسلمين جليّ فيها أثر سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم، وفي هذا ريادة ما بعدها ريادة، وخلود ما بعده خلود وكلّ ما حدث في الإسلام يمكن أن نجد قاعدته في سيرة سيّدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر لا نكتشفه الآن بل عرفه الأوائل، ويكفي هنا أن يُذكر الخُزاعي (ت 789هـ/1388م) في كتابه: "تخريج الدلالات السمعية"¹ وبعده الكتاني في شرحه لهذا الكتاب بالترتيب الإدارية²، أثبت أنّه ما من إدارة أو وظيفة أُحدثت في تاريخ الإسلام، إلّا وأصلها موجود في سيرة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم وأعماله³.

2_ مغازي سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

المغازي: وغزا الشيء غَزَوْا: أَرادَه وطلبه. والغَزْوَةُ: ما غُزِيَ وطلب. ومَغْزَى الكلام: مقصده. والغزو: القصد، وكذلك الغوز. والمغازي: مناقب الغُزاة، والمغزى والمغزاة والمغازي: مواضع الغزو؛ ومنه الحديث: "كان إذا استقبل مَغْزًى". وتكون المغازي مناقبهم وغزواتهم. وغزوت العدو غَزَوْا⁴.

¹ _ علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين، الخُزاعي (ت 789هـ/1388م)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد سيّدنا رسول الله من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1419هـ، ص - ص 331، 52.

² _ محمّد عبد الحيّ الكتاني الإدريسي الحسنيّ الفاسي، نظام الحكومة النبويّة المسمّى التراتيب الإدارية، تحقيق عبد الله الخالدي، ط2، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان، 1346هـ، ص - ص 49، 65.

³ _ الزهري، المغازي النبوية، ص19.

⁴ _ ابن منظور، المصدر السابق، مج5، ج36، ص2169.

قضى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حياته المباركة في مكة المكرمة من بعثته رحمة للعالمين إلى هجرته إلى المدينة المنورة في الجهاد الأكبر لوضع الأسس السليمة لدولة الإسلام. وفي هذه الحقبة لاقى المسلمون أذىً كثيراً: طُورِدوا وعُذِبوا، وأُخْرِجوا من ديارهم وأموالهم بغير حقٍّ إلّا أن يقولوا ربّنا الله، وهاجر الساعون إلى المدينة المنورة بأنفسهم تاركين ذويهم الأقربين تحت رحمة أعداء الله في خطر داهم مُقيم، فابتدأت في المدينة مرحلة الجهاد الأصغر من حياة سيّد القادات وقائد السادات عليه أفضل الصلاة والسلام. وأذن بذلك للمؤمنين بالقتال من الله عزّ وجلّ الذي وعدهم بالنّصر¹.

وعندما استقرّ المقام بالمسلمين في المدينة المنورة، حمّلهم الله من ذلك مسؤولية نعمتين عظيمتين، وأمرهم ببذل كلّ جهد لحراستهما والدّؤدّ عنهما: أولاً- موئل الإسلام وداره، ويمكن التعبير عنها بأول وطن إسلامي أكرم الله به المسلمين. ثانياً- المجتمع الإسلامي، أو الدولة الإسلامية، التي تكوّنت من النظام السلطوي، والجماعة الخاضعة لهذا النظام من مسلمين وغيرهم. ولا شكّ أنّ بين هاتين المَكْرُمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ مَتَّعَ اللهُ بِهِمَا المسلمين تلازماً كبيراً، فلا وجود لدار الإسلام إلّا حيث يستقرّ فوقه المجتمع الإسلامي، ولا يترسّخ هذا الأخير بأهله ونظامه إلّا على دار آمنة تَغْدُو لهم وطناً ومُسْتَقْراً². ومن المعلوم بداهة أن مسؤولية حراسة هذين الحَقَّين والدفاع عنهما لا تتمّ بجهاد الدعوة والتبليغ، وإنّما يتم بدفع المعتدين وردّ غائلَتِهِم والقضاء على الأخطار الوافدة من قبَلِهِم، وهذا

¹ - محمّد أحمد باشميل، غزوة بدر الكبرى، ط6، دار الفكر، سوريا، 1394هـ/1974م، ص- ص أ، ب.

² - محمّد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1414هـ/1993م، ص93.

هو مصدر مشروعية الجهاد القتالي في الشريعة الإسلامية، وهو السبب في ارتباط مشروعيته بهجرة المسلمين واستقرارهم في المدينة المنورة¹.

وكانت غزواته بنفسه صلى الله عليه وسلم ستاً وعشرين غزوة، ويقول بعضهم: هُنَّ سَبْعٌ وعشرون غزوة، قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمُصْطَلِق، وخَيْبَر والفتح، وحُنين، والطائف. قال محمد بن عمر: "مغازي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفة ليس فيها اختلاف بين أحد في عددها، وهي سبع وعشرون غزوة؛ وإنما اختلفوا بينهم في تقديم مَغْزاة قبل مغْزاة". قال الواقدي: قاتل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة، ذكر من ذلك التسع التي ذكرها ابن إسحاق، وعدّ معها غزوة وادي القرى، وقاتل يوم الغابة. واختلف في عدد سراياه صلى الله عليه وسلم فعن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: "كانت سرايا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبُعوثه فيما بين أن قدم المدينة وبين قبضة الله خمساً وثلاثين بَعْثاً² وسَرِيَّةً³".

ومغازي سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أول من جمعها محمد بن إسحاق، ويقال أول من صنّف فيها عروة ابن الزبير (ت 94هـ/713م) وجمعها أيضاً وهب بن منبه (ت 114هـ/732م)، وأبو عبد الله محمد ابن عائذ القرشي الدمشقي الكاتب (ت 233هـ/847م)، وأبو يحيى سعيد بن أبان الأموي الكوفي الحنفي (ت 191هـ/806/807م)، ومنها مغازي محمد بن مسلم الزهري (ت 123 أو 124هـ/740 أو 741م)، وابن عبد البر القرطبي (ت

¹ _ محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام، ص 93.

² _ بَعْثاً وسَرِيَّةً: البعث: بعثه أرسله، كابتنه فانبعث، والبعث: الجيش، جمعها: بُعُوث. السَرِيَّة: من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربع مائة.. والسُرِّي: كالهدى: يسير عامّة الليل. ﴿بَ بَ بَ﴾. ينظر: ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ، ص 165 ، 1294.

³ _ عبد الحميد شاكر، غزوات سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم، ط1، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1416هـ/1996م، ص- ص 7 ، 9.

463هـ/1070م) وعبد الرحمن بن محمد الأنصاري، وأبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت 468هـ/1075م/1076م)، وموسى بن عقبة بن أبي عيَّاش (ت 141هـ/758/759م)، ومغازيه أصحّ المغازي كذا في المُنتقى¹.

إنّ من أوجب الواجبات على المسلمين الاهتمام بسيرة نبيّهم عليه الصلاة والسلام اهتماماً بالغاً، والعمل بها في كلّ عصر. روي عن إسماعيل بن محمّد بن سعد بن أبي وقاص أنّه قال: "كان أبي يعلمنا مغازي سيّدنا رسول الله وسراياه، ويعيدها علينا ويقول هذه مآثر آبائكم فلا تضيّعوها". وروي عن علي الحسني أنّه كان يقول: "كنّا نعلّم مغازي الرسول عليه الصلاة والسلام كما نعلّم السورة من القرآن". كما نقل عن الزهري - رحمه الله - أنّه قال: "في علم المغازي علم الآخرة والدّنيا" وكان ابن عبّاس رضي الله عنهما يخصّص إحدى عشّيّاته للتدريس في المغازي والسّير، وليس هذا فحسب بل إنّ هذا العلم لم ينته بموت ابن عبّاس رضي الله عنهما، فقد ضمّنه الكتب وأودعه الرّجال، حتى إذا مات خَلَفُهُ عنه مولاه "كريب"، ويوصف قدر ما خَلَفَ من كتب قدر حِمْلٍ بغير، ومن كريب انتقلت إلى موسى بن عقبة صاحب المغازي المشهور. وموسى بن عقبة هو الذي قال فيه الإمام مالك "رضي الله عنه: "عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنّها أصحّ المغازي"².

3_ أصول التدوين في المغازي والسيرة والشمائل الشريفة

عَنِيَتْ كتب الحديث الشريف بجمع أقوال سيّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وأفعاله وتقاريراته وصفاته الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة، وتناول بعضها طَرَفاً من سيرته ومغازيه وسراياه وبعوثة كالإمام البخاري في جامعهِ الصحيح والإمام مسلم في صحيحه، وتناول مُكاتباته

¹ - مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمّد شرف الدّين يالتقيا ورفعت بيلكة الكليسي، ج2، د.ط، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ص1774.

² - زهير محمّد عفانة، دروس وعبر في سيرة خير البشر محمّد صلى الله عليه وسلم، ط1، دار النفائس، الأردن، عمّان، 1425هـ/2005م، ص- ص 18 ، 19.

صلى الله عليه وسلم، وفضائل أصحابه وزوجاته رضي الله عنهم، وأحداث سيرته الموجودة ضمن المرويات. أمّا كتب السنن الأربعة فأكثرها ذكراً للسيرة جامع الإمام الترمذي، خاصة في أبواب المناقب، يليه كتب سنن أبي داود، ثم سنن ابن ماجة، خاصة كتاب الجهاد، ثم سنن النسائي. وقد حَقَلَ كتاب السنن الكبرى للبيهقي بمادة معتبرة في السيرة¹.

ومع التسليم بأنّ المصدر الأساس للسيرة، والوثيقة التي لا يرقى إليها الشك في صحتها هي القرآن الكريم الذي معه لا بدّ من الرجوع إلى ما جمعه المسلمون من أخبار الشرح المجمل وتبيان المفصل، لهذا ترى أنّ المسلمين اهتموا بجمع أخبار سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم، ونشطوا في هذا بفعل عوامل كثيرة وذلك في كتب المغازي والسير، والحديث التي أفردت أبواباً خاصة للحديث عن سيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومغازيه، ودوّنت هذه المواد تحت ضوء قواعد نقدية علمية². وبعد الإمام مالك أثبت الرواة للعلم والأثر تتلمذ على يد الإمام الزهري، وكان شيخه فيما بعد، وروى سفيان بن عُيينة عن أبي هريرة أنّ سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة» الحديث³. قال ابن عُيينة في «عالم المدينة» أنّه مالك بن أنس⁴.

بدأت دراسة مغازي سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ضمن دراسة الحديث الشريف، ومع أنّ المحدثين استمروا على اهتمامهم بالمغازي، إلّا أنّ بعضهم

¹ _ زهير محمّد عفانة، دروس وعبر في سيرة خير البشر محمّد صلى الله عليه وسلم، ص- ص 17، 18.

² _ ابن شهاب الزهري، المغازي النبوية، ص- ص 21 ، 22.

³ _ الحديث: أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن. ينظر: يوسف المزي، تهذيب الكمال، ج27، ص117.

⁴ _ المصدر نفسه، ج27، ص117.

أخذ يُعنى بدراسة حياة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم بشكل يتعدّى الاختصار على نواحي التشريع¹.

وسمّيت الحياة الأولى لحياته عليه الصلاة والسلام "المغازي" لكنّها تناولت في الحقيقة عصر الرسالة بكامله. وقد قام بها بعض أبناء الصحابة البارزين، ونبدأ بأبان² بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما فهو محدّث له ميل إلى دراسة "المغازي" لكنّها تناولت في الحقيقة عصر الرسالة بكامله. ومع أنّ أحد تلامذته كتب مغازيه. إلّا أنّها توصف بأنّها من الحديث الشريف، وهو يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث وبين دراسة المغازي³. ويبدو أنّ عروة⁴ بن الزبير رضي الله عنهما وهو فقيه ومحدّث مشهور كان مؤسّس دراسة المغازي، إذ كان أول من ألّف كتاباً في المغازي، وكذلك فعل آبان بن عثمان⁵. وقد اقتبس من مغازي عروة

¹ _ عبد العزيز الدوري، نشأة التاريخ عند العرب، ص23.

² _ أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما: الإمام الفقيه الأمير، أبو سعد بن أمير المؤمنين أبي عمرو الأموي المدني. سمع أباه وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، حدّث عنه عمرو بن دينار، والزّهري، وأبو الزناد، وجماعة. قال ابن سعد: ثقة، له أحاديث عن أبيه. توفي سنة 105هـ/723م. رحمه الله. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص- ص 351 ، 353.

³ _ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص - ص23-24.

⁴ _ عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما: المجتهد، المتعبّد الصوّام، وكان يتمنّى أن يؤخذ عنه العلم، وكان يتألّف الناس على حديثه، وكان يقول: "انتوني فتلقّوا عني". كان كَتَبَ كتباً ومحاها إجلالاً لكتاب الله. لم يترك ورّده من الذكر إلّا في الليلة التي قطعت فيها رجله مرضاً. وكان يقرأ ربع القرآن الكريم كل يوم في المصحف، ويقوم به كلّ ليلة، حدّث عن صحابة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدّث عنه آخرون. يُنظر: أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ص- ص176-183.

⁵ _ عبد العزيز الدوري، نشأة التاريخ عند العرب، ص24.

بعض المؤرخين كالطبري، وابن إسحاق، والواقدي، وابن سيّد الناس¹، وابن كثير، وهذا أقدم ما وصل إلينا من تاريخ المغازي كمُقْتَبَسَات².

وكان يروي عروة عن صحابة سيّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو وغيرهم رضي الله عنهم، وروى عن عروة ابنه هشام، والزهري³ وأبو الأسود⁴ وغيرهم رحمهم الله⁵. وكذلك أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما روى عن

¹ _ ابن سيّد الناس: الحافظ الإمام العلامة الخطيب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن سيّد الناس اليعمرى الأندلسي الأشبيلي. خطيب تونس وعالم المغرب ولد سنة 597هـ/1200م. سمع البخاري من أبي محمد الزهري شريح وأجاز له أهل الشام والعراق، أكثر من أجاز له القاضي جمال الدين أبو القاسم بن الحرستاني، وثابت بن مشرف، وجمع، وكان أحد الحفاظ المشهورين، وفضلائهم المذكورين. ألّف مجلداً في "بيع أمّهات الأولاد" ومات في رجب سنة 659هـ/1260م. ينظر: جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، طبقات الحفاظ، مراجعة لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1403هـ/1983م، ص508.

² _ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص24.

³ _ الزهري: أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري القُرشيّ أحد أعلام الفقهاء المحدثين التابعين، رأى عشرة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم أنس رضي الله عنه وروى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وعنه جماعة من الأئمة منهم مالك والشافعيان، له في الموطأ مرفوعاً مائة وثلاثة وثلاثين حديثاً. مات سنة 125هـ/742م. ينظر: محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، د.ط، المطبعة السلفية ومطبعتها، القاهرة، 1439هـ، ص46.

⁴ _ أبو الأسود: الدؤلي، ويقال: الديلي. العلامة الفاضل، قاضي البصرة واسمه ظالم بن عمرو على الأشهر ولد في أيام النبوة. وحّدث عن عمر، وعليّ، وأبيّ بن كعب، وأبي ذرّ، وعبد الله بن مسعود، والزيبر بن العوّام، وطائفة رضي الله عنهم، قال أحمد العجليّ: ثقة، كان أول من تكلم في النحو بأمر من سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. قال أبو عبيدة: أخذ أبو الأسود عن عليّ العربية. ويقال: هو عثمان بن عمرو، ويقال: عمرو بن ظالم وأتته وليّ قضاء البصرة زمن سيّدنا عليّ رضي الله عنه. مات أبو الأسود رحمه الله في طاعون الجارف بالبصرة سنة 69هـ/688م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص- ص81 - 86.

⁵ _ أبو نعيم أحمد عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1409هـ/1988م، ج2، ص- ص176 - 183.

أبيه وزيد بن ثابت رضي الله عنهما صاحبنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنه حدّث عمرو بن دينار¹، والزهرري، وأبو الزناد² وجماعة³.

روى أبو نعيم عن المثنى ابن سعيد قال: سمعت مالكا يقول: "ما بت ليلة إلا رأيت فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وأمره سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أن يبث العلم في الناس في رؤية رؤيت له ، وهذا ما أخرجه ابن عبد البر. ورؤيا عبد الله مولى الليث على نحو ذلك⁴.

¹ _ عمرو بن دينار البصري: فهو أبو يحيى الأعور قهرمان آل الزبير - أي وكيل-. ابن شعيب البصري. حدّث عن سالم بن عبد الله، وصيفي بن صهيب، روى عنه الحمّادان، وخارجة بن مصعب، وصالح المري، وعبد الوارث بن سعيد، ومعتمر بن سليمان، وجعفر بن سليمان الضُّبَعي وآخرون. روى له الترمذي. توفي سنة 130هـ/747م. ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص- ص307، 308.

² _ أبو الزناد: عبد الله بن ذكوان الإمام الفقيه الحافظ المفتي، أبو عبد الرحمن القرشي، ويُلقب بأبي زناد، أبوه مولى آل عثمان. حدّث عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وأبي أمامة بن سهل، وأبان بن عثمان، وعروة، وابن المُسيّب، وخارجة بن زيد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعليّ بن الحسين، والقاسم بن محمّد، وعبد الرحمن الأعرج وهو مكثّر عنه، ثبّت فيه، وعائشة بنت سعد ومُرَقَّع بن صيفي، وعبيد بن حنين، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، ومجالد بن عوف، ومحمّد بن حمزة بن عمرو الأسلمي، والشعبيّ، وسايحان بن عبد الرحمن، وعدّة. حدّث عنه ابنه عبد الرحمن، وموسى بن عقبة، وابن أبي مليكة مع تقدّمه، وصالح بن كيسان، وهشام بن عروة، وعبد الوهاب بن بُخت، ومحمّد بن عبد الله بن حسن، وعبيد الله بن عمر، وابن عجلان، وابن إسحاق، ومالك والليث، وورقاء بن عمر، وسفيان الثوري، وزائدة، وشُعيب بن أبي حمزة، والمُغيرة بن أبي حمزة الحزامي، وسعيد بن أبي هلال، وسفيان بن عُيينة، وخلق سواهم، وثقه أحمد وابن معين. قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: أبو الزناد أمير المؤمنين في الحديث. قال خليفة بن خياط: أبو الزناد لقي ابن عمر، وأنس بن مالك رضي الله عنهم. وقال العجلي: تابعي ثقة، سمع من أنس توفي سنة 131هـ/748م رحمه الله. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج5، ص- ص445، 451.

³ _ الذهبي، المصدر نفسه، ج4، ص- ص351، 353.

⁴ _ أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الخزرجي، الموطأ رواية يحيى الليثي وآخرون، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، د.ط، مجموعة الفرقان التجارية، دبي، 1424هـ/2003م، مج1، ص- ص74، 76.

وَأَلَّفَ الإمام مالك في فنون العلم كتباً بأسانيد صحيحة منها: "الموطأ"¹ و"ديوان العلم" ويسمى أيضاً رسالة في الردّ على القدرية، وكتاب "المجالسات عن مالك" جمع فيه ابن وهب - تلميذه - (ت 197هـ/812م) ما يذكر الإمام مالك في مجالسه من الفوائد والعلوم والآثار والأخلاق. وإذ كان ألف كثير من العلماء في عصر مالك وقبله، واقتصر بعضهم على الحفظ كالشعبي، والنخعي، وقتادة، وجوز آخرون كتابة العلوم وكتبوه في صحائف متفرقة، خشية ضياع العلم؛ فإن الإمام مالك صنّف موطأه ليسهل الرجوع إليه والعمل به على نسق ونظام خاصين، والمشهور عند المحدثين أن الموطأ أقدم مصنف ثابت النسبة إلى مؤلفه.²

على الرغم من أن معظم الأحاديث المتعلقة بشمائل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مبثوثة في كتب الحديث فقد أفرد لها بعض أهل الحديث كتباً وأبواباً في مصنفاتهم، كصحيح البخاري نجد فيه ما يسمى: "كتاب الأدب" وكتاب "الاستئذان" و"اللبس والزينة"، وكتاب "الزهد والرقائق"، ونجد في سنن الترمذي أبواب السير والصلة وأبواب الاستئذان، ونجد في سنن ابن ماجه كتاب "الأدب" وكتاب "الزهد" ومن أهل الحديث من أفرد شمائل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالتصنيف مثل ما فعل الإمام الترمذي حيث ألف كتاب

¹ _ الموطأ: جمع الإمام مالك رضي الله عنه كتابه الموطأ في نحو من أربعين سنة واشتمل على نحو عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا. وهو من كتب الصحاح في السنة. قال الشافعي: ما على ظهر الأرض كتاب أصح من كتاب مالك. قيل: إنه صنّفه بطلب من أبي جعفر المنصور، وروي أنه قال له: "... اقصد أوسط الأمور وما أجمع عليه الصحابة والأئمة، واجعل هذا العلم علماً واحداً". سمى الإمام مالك كتابه بالموطأ، ومعناه الممهّد، المنقّح. قال ابن فهر: "لم يسبق مالكا أحد إلى هذه التسمية. فإن من ألف في زمانه سمى بعضهم بالجامع، وبعضهم بالمصنّف، وبعضهم بالمؤلف. ينظر: أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1998م، صص 12 - 13.

² _ مالك بن أنس، الموطأ، مج1، ص - ص 112 - 113. ص 122.

"الشَّمائل"، ومثل كتاب "أخلاق النبي صَلَّى الله عليه وسلم وآدابه" لأبي الشيخ، و"الأنوار في شمائل النبي المختار" للبغوي¹.

أما كتب المسانيد فيترجع على قمتها مسند الإمام أحمد²، ويبدو لك جلياً غزارة مادة السيرة فيه، فقد حوى كتاب السيرة النبوية الشريفة، وكتاب المناقب، أغزر كتاب حوى مادة في السيرة النبوية الشريفة وُجدت في كتاب حديث، وليس هذا بغريب في كتاب ضخم حوى بين دَفْتَيْهِ نحواً من ثلاثين أو أربعين ألف حديث³.

ولقد تناثرت أحاديث الدلائل والمعجزات في بطون وثنايا كتب الحديث الشريف، ولكن أراد العلماء أن يُفردوها بالتأليف، وضاع معظمها، ولم يسلم من ذلك سوى النذر اليسير، وأشهرها: "دلائل النبوة" لأبي نعيم الأصبهاني، و"دلائل النبوة" للحافظ: أحمد بن الحسين

¹ _ مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر، ص19.

² _ مسند الإمام أحمد بن حنبل الشَّيباني: هو كتاب غاية صاحبه فيه جمع ما اشتهر من حديث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على امتداد الرقعة الإسلامية بسندٍ متصلٍ إليه عليه الصلاة والسلام، حسب رواته من الصحابة رضوان الله عليهم، وهي طريقة غايتها الاستيعاب، وهو ما أراده الإمام أحمد لابنه عبد الله: "احتفظ بهذا المُسند فإنّه سيكون للناس إماماً". بل هذا ما دفع الإمام حقاً إلى عمل "المسند" مع ما عُرف عنه من كراهية لوضع الكتاب، لكن في عصر اختلطت فيه العقائد والأفكار والاجتهادات، أراد الإمام أحمد أن يكون "المُسند" مُفْتَرَعاً يُلجأ إليه الناس، فقد ذكر أنّه قال فيه: "عَمِلْتُ هذا الكتاب إماماً إذا اختلف المسلمون في سنة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا إليه". ولهذا أصبح أصلاً من أصول الأئمة كما قال الإمام السبكي: "بل إنّه كتاب لم يُرَوَّ على وجه الأرض كتاب في الحديث أعلى منه". كما قال الإمام ابن الجزري: "شرع الإمام أحمد بتصنيف "المُسند" مُنْصَرَفَهُ من عند عبد الرزاق أي نحو سنة 200هـ/815/816م، وهو في السادسة والثلاثين من عمره، انتقاه من أكثر من سبع مئة ألف حديث، سمعها في رحلاته، فضمّ نحو ثلاثين ألف حديث يرويه عن مائتين وثلاثة وثمانين شيخاً من شيوخه، ورواه لولده عبد الله، وظلّ ينظر فيه إلى آخر حياته رحمه الله. ينظر: أحمد بن حنبل الشَّيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مُرشد، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001/1421م، ج1، ص- ص 56 ، 58.

³ _ مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص18.

البیهقي، وهذا الكتاب فيه كل شيء استطاع أن يجمعه مؤلفه من مؤلفات سابقة في الحديث الشريف، فجاء مصدراً ومرجعاً، لا يستغني عنه أي باحث في السيرة¹.

ومما لا شك فيه أن معظم أصل مادة كتب المغازي والسير، هي مرويات مبنوثة في كتب السنّة، حتّى إنّ المحدثين عندما عرفوا السنّة جعلوا السيرة جزءاً منها فقالوا: "إنّها كلّ ما أثر عن سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير² أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة. وقد أخذ بعض العلماء - وهم أصلاً محدّثون - في إفراء السيرة الشريفة باهتمام خاص وكتب خاصّة³.

ولعلّ أوائل أبرز من اهتموا بالكتابة في السيرة عموماً في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي: سيّدنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما (ت 78هـ/697/698م)، وسعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي، المولود في حياة سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وهو والد شرحبيل بن سعيد (ت 125هـ/742م)، وسهل بن أبي حثمة المدني الأنصاري المولود سنة 3هـ/624/625م، والمتوفى في عهد سيّدنا معاوية رضي الله عنه، وعروة بن الزبير بن العوام، وسعيد بن المسيّب (ت 94هـ/712/713م) / وأبان بن عثمان بن عفان (ت 105هـ/723م) وأبو فضالة بن كعب بن مالك الأنصاري (ت 97هـ/715/716م)⁴.

وفي أيام سيّدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كانت أولى المحاولات لتدوين التاريخ، فاستقدم عبيد بن شريّة الجُرهمي رحمه الله (ت 67هـ/686م) من صنعاء وأمره بكتابة

¹ - مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر، ص - ص 19 ، 20.

² - التقرير: قراراً وقُروراً ونقّة: ثبت، وسكن، كاستقرّ وتقارّ، وأقرّه فيه وعليه وقَرّره. والإقرار: الإذعان للحقّ. وصار الأمر إلى قراره ومُسْتقرّه: نتاهى وثبت. وأقرّه الله: من القُرّ. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 461. ابن منظور، لسان العرب، مج 5، ج 40، ص - ص 3578 ، 3584.

³ - مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ص 20.

⁴ - نفسه، ص - ص 20 ، 21.

تاريخ الملوك وأخبار الماضيين، ثم اتجه المؤلفون بعده إلى كتابة التاريخ المتعلق بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن دون في السيرة كتباً نجد: عروة بن الزبير بن العوام وأمه أسماء رضي الله عنهما (ت 92هـ/710/711م). الذي ساعده نسبه في أبيه الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن يروي الكثير من الأخبار المتعلقة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدر الإسلام الأول. ثم جاء بعده أبان بن عثمان رضي الله عنهما (ت 105هـ/723/724م) فألف في السيرة صُحفاً جمع فيها أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ولخص حياته الشريفة. ثم وضع وهب بن منبه التيمي (ت 110هـ/728/729م)¹. وممن عني بأخبار المغازي في هذا العصر المتقدم: شرحبيل بن سعد (ت 123هـ/767/768م) ثم شيخ المؤلفين في السيرة بن إسحاق (توفي نحو 152هـ/769م) ومن أشهر المؤلفين في السيرة بعد ابن اسحاق: الواقدي (ت 207هـ/822-823م)، ومحمد بن سعد (ت 230هـ/844-845م)، ثم تتابع بعد هؤلاء التأليف في السيرة نثراً ونظماً وشرحاً ومختصرات وموسعات حتى عصور متأخرة².

لقد أفردت كتب الحديث الشريف أبواباً خاصة للحديث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه، وأنه مفيد جداً العودة إلى هذه المواد، لأنها أقرب إلى الصحة من سواها، دُوِّنت تحت ضوء قواعد نقدية علمية³.

وكان الإمام أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام، حافظ زمانه، وإماماً علماً روى عن ابن عمر وجابر بن عبد الله، وأن يكون رأى أبا هريرة رضي الله عنهم. وحدث عنه عطاء بن رباح، وعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، وسفيان بن عيينة وأمم سواهم، وكان

¹ _ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي، جوامع السيرة النبوية، تصحيح عبد الكريم سامي الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1420هـ/2003.6م، ص4.

² _ ابن حزم، جوامع السيرة النبوية، ص4.

³ _ ابن شهاب الزهري، المغازي النبوية، ص- ص 21 ، 22.

الزهري أعلم أهل المدينة، وعن الإمام الداروردي¹ أنه قال: "أول من دَوَّن العلم وكتبه ابن شهاب" وقال فيه أبو حاتم: "أثبت أصحاب أنس رضي الله عنه الزهري". وروى إبراهيم بن سعيد عن أبيه قال: "ما رُئي أحدٌ جَمَعَ بعد سيّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ما جمع ابن شهاب". وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: "عليكم بابن شهاب هذا فإنكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه"².

4_ مؤلفات المسلمين في السيرة النبوية الشريفة

وتعتبر كتابة الإمام الزهري في مغازي سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته، مع أخبار بعض الحوادث التي وقعت في تاريخ الإسلام حتى بداية العصر الأموي أصحّ رواية وأقدم أثر معروف حتى الآن. وأخذ هذا الرجل عن عروة بن الزبير الذي حصل خاصّة ما رواه عن السيّد عائشة رضي الله عنها لَوْشَائِحِ القُربى بينهما، ولذلك فإنّ الإمام الزهري كان قريب العهد من سيّدنا النبي صَلَّى الله عليه وسلم روايةً للعلم، اعتمدها العلماء والرواة ورجال الصحيح من بعد³.

¹ _ الإمام الداروردي: ابن عبيد، الإمام العالم المحدث، أبو محمّد الجهني، مولا هم المدني الداروردي. قيل أصله من دارورد: قرية بخراسان. حدّث عن صفوان بن سليم، وأبي طُوالَة، ويزيد بن عبد الهاد، وعمر بن أبي عمرو، وثور بن زيد، والعلاء بن عبد الرّحمن، وسهيل بن أبي صالح، وشريك بن أبي نمر، وجعفر الصادق، وجماعة، روى عنه شعبة، والثوري، وإسحاق بن راهويه، ويعقوب الدورقي، وعليّ بن خشرم، وأبي حذافة الشّهمي، وأحمد بن عيدة، وخلقٌ كثيرٌ. قال معن بن عيسى: يصلح أن يكون الدارودي أمير المؤمنين - يعني في رواية الحديث الشريف -. وحديثه في دواوين الإسلام الستّة. توفي رحمه الله سنة 187هـ/803م بالمدينة المنورة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النّبلاء، ج8، ص- ص 366 ، 369.

² _ الذهبي، المصدر السابق، ج5، ص-ص 326، 350.

³ _ ابن شهاب الزهري، المغازي النبوية، ص- ص 22 ، 24.

إنَّ اهتمامه بالتدوين يشير إلى مرحلة جديدة من مراحل جمع التراث¹ العربي والإسلامي والانتقال من الرواية الشفوية نحو الرواية المدوّنة، وصُنّف في العصر الأموي بعض الكتب، وتُرجمَ منها البعض الآخر، ووصلنا منها في مغازي وسير سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم ما اقتصر على ما صنّفه وهب بن منبّه اليماني، والإمام الزهري رحمهما الله²، وكتاب "المغازي" لسهل بن أبي حنثة: وبقي منه نصوص عديدة لدى البلاذري في "أنساب الأشراف"، وابن سعد في "الطبقات" والطبري في "تاريخه"، والواقدي. وكتاب "المغازي" لسعيد بن سعد بن عباد الخزرجي: بقيت من كتابه نصوص محدودة في مسند الإمام أحمد ابن حنبل وتاريخ الطبري ومسند أبي عوانة. وهو صحابي صغير رضي الله عنهما مروياته مبنوثة في كتب الحديث والتفسير والسير. وعروة بن الزبير رَوَت عنه الكتب الستة وغيرها، مثل كتب ابن إسحاق وابن سيّد الناس، وابن كثير، وابن حجر، وابن عبد البر... وسواها. وسعيد بن المسيّب المخزومي (ت 94هـ/713/712م) من شيوخ الإمام الزهري، كتب شيئاً عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والفتوح، رواه عنه الطبري في تاريخه. وأبو فضالة عبد الله بن كعب بن مالك (ت 97هـ/715/716م) روى عنه ابن إسحاق (ت 107هـ/725/726م) في كتبه والطبري في تاريخه³.

ومرويات القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصديق حَفِظَ لنا الطبري في تاريخه العديد من مروياته، ونجد بعضها عند البلاذري في أنسابه، والواقدي في مغازيه، وكتاب "المغازي" لأبي روح يزيد بن رومان الأسدي المدني (ت 130هـ/747/748م) اقتبس من كتابه في "المغازي" الواقدي وابن سعد والطبري في كتبهم المعروفة. و"المنتقى من مغازي موسى بن عقبة" ومروياته في الكتب الستة وغيرها، ونقل عنه، ابن سعد والطبري، وابن حجر، وابن

¹ _ التراث: الإرث، بالكسر: الميراث، والأصل، والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول، والبقية من كل شيء. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 164.

² _ ابن شهاب الزهري، المغازي النبوية، ص 25.

³ مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ص - ص 23 ، 24.

كثير، والعصفري، والزرقاني. ز"السيرة الصحيحة" لسليمان بن طرخان التيمي (ت 143هـ/760/761م) وفقد هذا الكتاب إلا سبع وسبعين صفحة منه، ونجد مروياته في الكتب الستة وغيرها، برواية ابنه معتمر، وعند الاشبيلي، والسُهيلي في "الروض الأنف"، وابن حجر في مؤلفاته المختلفة، و"مغازي" معمر بن راشد (ت 150-153هـ/767-770م) اقتبس منها أهل الحديث والمغازي والتاريخ، أمثال: الواقدي، والبلاذري، وابن سعد، والطبري¹.

ثم نهض بالسرد والتأليف في سيرة سيّدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وهو من طبقة صغار التابعين، فكانت مادته أساساً اعتمدته السير التي كتبها تلامذته، الذين اشتهر منهم: محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة المعداد في صغار التابعين، وهو من أهل مدينة سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم المنورة، وعاش فيها وقت ازدهرت فيه الرواية والعناية بالسنة، والاهتمام بالسيرة. وقد مدحه العلماء وأثنوا عليه ووثقوه، فهو يعتبر من المحدثين الثقات، والرواة الأثبات، وكتاب السير المدققين المحررين، قال فيه الإمام مالك رضي الله عنه: "عليكم بمغازي موسى، فإنه رجل ثقة، طلبها على كبر السن، ليقيد من شهد مع سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكثر كما كثر غيره". وقال فيه يحيى بن معين: "ثقة" وقال فيه أحمد بن حنبل رضي الله عنه: "موسى ثقة ثقة"². ألف موسى بن عقبة كتاباً في المغازي، أثنى عليه الأئمة الأعلام، مثل: الإمام مالك بن أنس، والإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله، ولا يُعرف شيء عن كتابه المغازي في الوقت الحالي، ويمكن تحديد وقت ضياعه؛ فهو مرويات الشيخ ابن خیر الاشبيلي³ (ت

¹ مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ص- ص 24 ، 27.

² _ يوسف بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، أحاديث شريفة منتخبة من مغازي موسى بن عقبة، تقديم مشهور حسن سلمان، ط1، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1412هـ/1991م، ص - ص 5 - 20.

³ _ ابن خير الأشبيلي: أبو بكر محمد بن خير بن عمر اللّمتوني الأشبيلي الأستاذ المقرئ الحافظ، صاحب شريح، فاق الأقران في ضبط القراءات، وسمع الكثير من أبي مروان الباجي، وابن العربي، =

575هـ/1179م) أي القرن السادس الهجري، وبالقرن السابع الهجري رواه الشيخ الصالح المُسند أبي محمّد إسماعيل بن عليّ بن إسماعيل بن ياتكين الجوهري البغدادي¹ (ت631هـ/1233/1234م). ووقع أيضاً للإمام الذهبي وهو من وفيات القرن 8هـ/14. ومع ذلك فقد حفظت بطون الكتب قسماً كبيراً منه مثل "تاريخ الطبري" و"الدرر في المغازي والسير" لابن عبد البر، واعتمد عليه كثيراً ابن سيّد الناس في كتابه "عيون الأثر"، وابن كثير في "البداية والنهاية"، والبلاذري في "أنساب الأشراف"، وابن حجر العسقلاني في "فتح الباري"، ونقل عنه الواقدي في "مغازيه"، ونقل منه الذهبي في "تاريخه" الكبير، وفي "سير أعلام النبلاء". كما نقل عنه الإمام البيهقي، واعتمد عليه ابن أبي خيثمة في "التاريخ الكبير"، كما يوجد جزء منه ضمن "الأمال" لابن صاعد. وهناك مخطوط فيه أحاديث انتخبها يوسف بن محمّد بن عمر بن قاضي شهبة (ت789هـ/1385م)².

وقد صنّف العلماء رحمهم الله تعالى في سيرته صلى الله عليه وسلم وفي عاداته واعتياداته المختصر والمطول، وألّفوا فيها المجلد والمفصل، ممّا صحّ في الأخبار، واشتهر بين علماء الحديث والآثار، كالموجود في "الصحيحين" أي صحيح الإمامين البخاري ومسلم،

وخلّق، وبرع أيضاً في الحديث الشريف، واشتهر بالإتقان وسعة المعرفة بالعربية. توفي في ربيع الأول سنة 575هـ/1179م عن ثلاث وسبعين سنة رحمه الله. تصدرّ بأشبيلية الإسماع والإقراء، وكان مقرّناً مُجوداً، ومحدثاً مُتّقناً. ينظر: الذهبي، السير، ج21، ص- ص 85، 86. أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد بن محمّد العسكري الحنبلي الدمشقي ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق بيروت، 1406هـ/1986م، مج6، ص- ص 16، 17.

¹ _ **محمّد الجوهري**: أبو محمّد إسماعيل بن عليّ بن إسماعيل البغدادي الجوهري، روى عن هبة الله الدقاق، وابن البطي، وطائفة. وتقرّد بأشياء، وكان صالحاً ثقةً، توفي في ذي القعدة سنة 631هـ/1233/1234م عن ثمانين سنة رحمه الله. ينظر: ابن العماد، المصدر السابق، مج7، ص552.

² _ قاضي شهبة، أحاديث شريفة منتخبة، ص- ص 21، 24.

والأصول المعتمدة كالسنن الأربعة¹ لأبي داود والترمذي وابن ماجة والنسائي، وكموطاً للإمام مالك، وكسيرة ابن هشام، وشفاء القاضي عياض رحمة الله عليهم أجمعين².

وأول من صنّف في علم السير محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي المتوفى سنة 151هـ/768م، وهذبه أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المتوفى سنة 218هـ/833م، فأحسن وأجاد، وله كتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب، ثم اعتنى به المتأخرون، فنشر الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة 581هـ/1185/1186م غريب السير وسمّاه "الروض الأنف" وهو كتاب مفيد ومعتبر، وصنّف فيه الحافظ الكبير عبد المؤمن بن خلف الدميّطي الحنفي المتوفى سنة 705هـ/1294/1295م والشيخ ظهير الدّين علي بن محمد الكازروني المتوفى سنة 697هـ/1305م صاحب "المنتقى". وصنّف فيه الحافظ عبد الغني المقدسي كتاباً في "السير"، وصنّف فيه أيضاً الشيخ محمد بن علي بن يوسف الشافعي الشاهي، وكتابه من أجمع كتب السير³.

ومختصر سيرة ابن هشام للبرهان إبراهيم بن محمد بن الرحل، وسمّاه "الذخيرة في مختصر السيرة" وفرغ منه في سنة 611هـ/1214/1215م. وممن صنّف في السيرة مغلطاي، والحافظ عبد المؤمن بن خلف الدميّطي، وابن أبي طيّ يحيى بن حميدة الحلبي المتوفى سنة 630هـ/1232م في ثلاث مجلّدات، وصنّف الشيخ عزّ الدّين بن عمر بن جماعة الكتاني مختصراً في السير⁴.

¹ - يُعنى بها سنن النبي صلى الله عليه وسلّم، الذهبي، المغازي، ص15.

² - وحيد الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الربيع الشيباني، حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة سيّدنا النبي المختار صلى الله عليه وسلّم، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، ط2، المكتبة المكيّة، مكّة الكرّمّة، 1413هـ/1993م، ص10.

³ - ابن حزم، جوامع السيرة النبوية، ص- ص 3 ، 4.

⁴ - ابن حزم، المصدر السابق، ص 4.

ويُعدُّ كتاب "السيرة النبوية" من أهم وأفضل وأشهر ما صُنّف في نوعه على الإطلاق، وقد ألّف المصنّف كتباً أخرى منها "السير والمغازي"، وهو أصل السيرة النبوية، لابن هشام، و"الخلفاء" و"المبدأ"، أو "المبتدأ" يتحدّث فيه عن بداية الخليقة وقصص الأنبياء. وكان الكُبراء يأخذون عن هذا العالم، وكان صدوق في الرواية، وهو إمام في المغازي والسير بلا نزاع ولا ريب¹. ومن سيرته مقتبسات منشورة في كتب الحديث الشريف، والتاريخ، والأدب². وهُدب ابن هشام السيرة النبوية لابن إسحاق، وسمعها من زياد البكائي (ت 183هـ/799م) صاحب ابن إسحاق، وحقّق من أشعارها، وروى فيها مواضع عن عبد الوارث بن سعيد، وأبي عبيدة، رواها عنه محمّد بن حسن القطّان، وعبد الرّحيم بن عبد الله بن البرقي، وأخوه أحمد رحمهم الله³.

وقد ألّف الواقدي (ت 130هـ/270م) كتاب "المغازي" رواية أبي عبد الله محمّد بن شجاع الثلجي، وجلّة من العلماء الرواة منهم: بن أبي حية، وأبي محمّد عمر بن العباس، ومحمّد الجوهري، واليزّار، وأبي الحسن بن الطراح، وعنه الخواجة المحترم ألفريد ذي كريمة النمساوي Alfred von Kremer (1828 – 1889). وقد بدأ فيه الواقديّ بهجرة سيّدنا النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وذكر أوّل لواء عقده عليه الصلاة والسلام، ثمّ باقي الألويّة، وذكر الغزوات والسرايا وحجّة الوداع، وحديث وفاة سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قال المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: "ما أعلم بعد القرآن الكريم كتاباً أصحّ ولا أحفظ من هذه السيرة"⁴.

¹ _ محمّد بن إسحاق بن يسار المُطَّلبي المدنيّ، السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1424هـ/2004م، ج1-2، ص-ص 5، 6.

² _ مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ص27.

³ _ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص429.

⁴ _ أبو عبد الله محمّد بن عمر الواقدي، كتاب المغازي، رواية أبي عبد الله محمّد بن شجاع الثلجي، د.ط، مطبع ببتست مشن، مدينة كلكتة، 1855هـ، ص، ص 2، 332-338.

وَأَلَّفَ مُحَمَّدٌ بْنُ سَعْدٍ كِتَابًا جَلِيلًا يُعْرَفُ "بِطَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ"، وَخَصَّ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنْهُ فِي سِيرَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ابْتَدَأَ فِيهِمْ بِذِكْرِ مَنْ انْتَمَى إِلَيْهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَبَاءِ الشُّرَفَاءِ وَالْقَبَائِلِ، وَالْأُمَّهَاتِ الشَّرِيفَاتِ، وَمَوْلَدِهِ، وَنَبَوَّتِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَوَفَادَاتِ الْعَرَبِ إِلَيْهِ، وَصَفَتْهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالْجُزْءَ الثَّانِي: فِي ذِكْرِ مَغَازِي سَيِّدِنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَرَايَاهُ، وَذَكَرَ عُمرَهُ وَوَفَاتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَدَفَنَهُ وَالْمَرَاتِي، وَذَكَرَ مِنْ كَانَ يُقْتَلُ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَجَمَعَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَهْدِهِ وَبَعْدَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَذَكَرَ مَنْ كَانَ يُقْتَلُ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ¹.

وَكِتَابُ "مَغَازِي سَيِّدِنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَرَايَاهُ وَأَزْوَاجِ الطَّاهِرَاتِ" لِأَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ الْخَرَّازِ (ت258هـ/871/872م)². وَأَوَّلُ مُؤَلَّفٍ فِي تَارِيخِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ هُوَ كِتَابُ مُحَمَّدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْلَةَ "تَارِيخِ الْمَدِينَةِ"، وَيَلِيهِ كِتَابُ "أَمْرِ الْمَدِينَةِ" لِلْمَدَائِنِيِّ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَكِتَابُ "أَخْبَارِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ" لِلزُّبَيْرِ بْنِ بَكَارٍ، ثُمَّ كِتَابُ "تَارِيخِ الْمَدِينَةِ" لِابْنِ شَبَّةٍ³ وَكِتَابُ "الْمَغَازِي" لِعَبْدِ الْمَلِكِ مُحَمَّدِ الرَّقَاشِيِّ الْبَصْرِيِّ (ت276هـ/889/890م)، وَكِتَابُ: "أَخْبَارِ سَيِّدِنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَغَازِيهِ وَسَرَايَاهُ" لِإِسْمَاعِيلِ بْنِ جَمِيعٍ (ت277هـ/890/891م)، وَكِتَابُ "التَّارِيخِ الْكَبِيرِ" لِابْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ حَرْبٍ (ت279هـ/892/893م)، وَهُوَ مِنْ مَصَادِرِ الطَّبْرِيِّ وَالذَّهَبِيِّ وَالْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ، أورد "السيرة" بإيجاز وعلى ترتيب السنين، وَكِتَابُ "التَّارِيخِ" لِأَبِي زُرْعَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ

¹ - مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ مَنِيعٍ الزَّهْرِيُّ، كِتَابُ الطَّبَقَاتِ الْكَبِيرِ، (الجزء الأول في السيرة النبوية، الجزء الثاني في مغازي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، 1421هـ/2001م، ج1، ص - ص 437 - 445. ج2، ص 335 - 342.

² - مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ص32.

³ - أبو زيد عمر بن شبّة النمري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهم محمد شلتوت، د.ط، طبعة السيّد محمود أحمد، جدّة، 1399هـ، ج1، ص - ص ل - م.

عبد الله بن صفوان النصري الدمشقي (ت 281 أو 282/894/895م) وتضمن كتابه "سيرة سيدنا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم"، وتاريخ الخلفاء الراشدين "رضوان الله عليهم"، وكتاب "المغازي" لعبد الملك بن محمد الرقاشي البصري (ت 276هـ/889/890م)¹.

و"كتاب في السيرة" لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير الحربي (ت 275هـ/888/889م)، وكان إماماً في العلم ويُقاس بابن حنبل في زهده وعلمه وورعه².

ولمحمد بن سحنون مصنف كبير في فنون من العلم، وله كتاب، "السير"، وكتاب التاريخ³.

و"تاريخ أبي معشر السندي (ت 170هـ/786/787م): اقتبس منه الواقدي وابن سعد والطبري، وابن حجر، واحتج بتاريخه الأئمة. و"سيرة أبي إسحاق الفزاري إبراهيم بن محمد بن الحارث (ت 186هـ/802م) اقتبس من سيرته الأشبيلي في الفهرست. و"مغازي الوليد بن مسلم الدمشقي" (ت 195 أو 196هـ/810 أو 811م) روى "مغازيه" ابن خير الأشبيلي في الفهرست. و"ذيل سيرة ابن إسحاق" ليونس بن بكير" (ت 199هـ/814/815م) القسم الرابع والخامس منه عن السيرة النبوية الشريفة، واقتبس منه ابن حجر في كتابه "الإصابة". ولعبد الرزاق الصنعاني (ت 211هـ/826/827م) مصنف وفيه "السيرة"، وتوجد مروياته في الكتب الستة وغيرها. و"أخبار مكة" لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرق، تناول فيه سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. و"سيرة علي بن محمد المدائني" تناول فيها جوانب اقتصادية

¹ _ مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ص - ص 32 - 33.

² _ البغدادي، تاريخ بغداد، ج 6، ص - ص 522-537.

³ _ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 13، ص 61.

واجتماعية. وكتاب في "السيرة والأخبار" لصالح بن إسحاق الجرمي النحوي (ت 225هـ/839/840)¹.

وعن محمد بن يزيد قال: "كان الجرمي جليلاً في الحديث والأخبار، وله كتاب في "السيرة" عجيب"².

وكتاب "الطبقات" لمحمد بن سعد، الجزء الأول والثاني منه في "السيرة". وكتاب "المغازي" لعبد الله بن محمد بن علي بن نفيل الحراني (ت 324هـ/935/936م)³.

ومن الكتب ذات الصلة بالسيرة "أزواج سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم" لمحمد بن الحسن بن زبالة رواية الزبير بن بكار (ت 256هـ/889/870م). وأصله مفقود لم يبق منه سوى هذا المنتخب الذي رواه الزبير بن بكار عن المؤلف. ومن الكتب ذات الصلة بالسيرة أيضاً: "تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 208هـ/823/824م)، وكتاب "الأربعين في مناقب أمهات المومنين" جمع فخر الدين أبي منصور عبد الرحمن ابن عساكر (ت 620/1223/1224م)⁴.

وكتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني قال عنه صاحبه: "قد ذكرنا في كتابنا هذا الكتاب الجامع الذي جعلناه آخر المختصر - يعني مختصر المدونة⁵ - بعض ما حفظ عن مالك وعن بعض أصحابه وغيرهم، وما روي عن

¹ - مهدي أحمد رزق الله، السيرة النبوية، ص - ص 28 ، 31.

² - البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص428.

³ - مهدي أحمد رزق الله، السابق، ص - ص 31.

⁴ - محمد بن الحسين بن زبالة، أزواج سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، رواية الزبير بن بكار، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط1، مطبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1401هـ/1981م، ص5.

⁵ - المدونة: وهي ستون ألف مسألة من فقه الإمام مالك رضي الله عنه جمعها الإمام أسد بن فرات وعرضها على الإمام ابن القاسم الذي أعطى الجواب على كل مسألة، وزاد عليها مسائل لم تكن فيها=

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمّن ذكرنا من السلف¹ وأيمّتنا في الآداب والأمر والنهي وغير ذلك من الفنون التي جرت فيه. وأكثر ذلك من مجالس مالك وموطّئه. ذكرنا شيئاً من التاريخ والمغازي وما شاكل ذلك، فمنه لمالك ومنه لغيره من أهل العلم. وذكر في باب السير من هذا الكتاب ما أجمعت عليه الأئمة².

وكتاب "الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر" وقد ذكر صاحبه في خطبة هذا الكتاب أنّه أفرد له لسائر خبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبعثه وأوقاته، معتمداً على كتابي موسى بن عقبة في المغازي، وكتاب محمد بن إسحاق في السيرة، مع الإحالة في مواضع عدة على كتابه "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" استكمالاً لقوله في كتاب الدرر، الذي يعتبر سيرة نبوة محررة، لا تعتمد على كتب السيرة المشهورة فحسب، بل تعتمد أيضاً على كتب الحديث ورواية الموثقين، مع الموازنة بين الأخبار والأحاديث واستخلاص الآراء الصحيحة، ومع الوفاء بالدقة في أسماء الأعلام، ومع التوقّف

=فدونها الإمام سحنون وعاد بها إلى المغرب، وأعاد النظر فيها حيث رتبها ونسّقها بعد أن كانت مختلطة المسائل والأبواب حتى سميت لذلك بالمختلطة أيضاً، وأضاف عليها الحديث الشريف والآثار، وما انتقاه من أقوال أصحاب مالك رضي الله عنه. قال ابن رشد رحمه الله عن المدونة: "...إنّها عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وككتاب إقليدس عند أهل الحساب، وموضعها من الفقه موضع أم القرى تُجزئ من غيرها، ولا يجزئ غيرها منها". ينظر: سعيد أبو جيب، سحنون مشكاة نور وعلم، ط1، دار الفكر، دمشق، 1401هـ/1981م، ص-ص 32 - 33.

¹ _ السلف: أفضل العصور الإسلامية وأولها بالافتداء والاتباع، وهي القرون الثلاثة الأولى من عمر هذه الأمة الإسلامية أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال فيما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْتَبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ». ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1408هـ/1988م، ص9.

² _ ابن أبي زيد القيرواني، الجامع، ص-ص 84 - 85.

في موضع التوقّف والنفوذ إلى الرأي السليم، ومع المعرفة الواسعة بالحديث ورجاله وتمييز صحيحه من زائفه¹.

وكتاب "المغازي" للمحدّث المؤرخ، الخطيب ابن حبيش (ت 485هـ/1092م)، وذكر أخبار الصديق رضي الله عنه في حروب الردّة، مع التفصيل في ذلك، وهو من أمّهات الكتب في المغازي نقل عنه تلميذه الشهيد المحدّث المؤرخ أبو الرّبيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت 634هـ/1236/1237م) في كتابه الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء" ونُشرت لأول مرّة تحت عنوان "الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حرب الردّة" نشر الدكتور أحمد نعيم².

وكتاب "الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء" المنظّم والمُبوّب تبويباً حسناً على مقدمة وخاتمة وبينهما موضوعين رئيسيّين، هما: سيرة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه والفتوحات الإسلامية في ظلّ الخلافة الراشدة. قال صاحبه في مقدّمة كتابه: «... وهذا كتاب ذهب فيه إلى إيقاع الإقناع، وإمتاع النفوس والأسماع، باتّساق الخبر عن سيرة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر نسبه ومولده وصفته ومبعثه، وكثير من خصائصه، وأعلام نبوّته ومغازيه وأيامه من لدن مولده إلى أن استأثر الله به وقبض روحه الطيّبة إليه، صلوات الله وبركاته عليه»³.

¹ _ يوسف بن عبد البر النّمري، اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، د.ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1386هـ/1966م، ص - ص 5 - 22.

² _ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمّد بن حبيش، كتاب الغزوات، تحقيق ونشر أحمد عني، ط1، مكتبة الاسكندرية، 1403هـ/1983م، ص - ص 5 - 32.

³ _ أبو الرّبيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، الاكتفاء بما تضمّنه من مغازي سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمّد كمال الدّين عزّ الدّين عليّ، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1417هـ/1997م، مج1، ج1، ص "ي".

وكتاب "الروض الأنف في شرح السيرة النبوية" لابن هشام، ألفه الإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي المتوفى رحمه الله سنة (581هـ/1185/1186م)، والذي قال في مقدّمة كتابه: "إيضاح ما وقع في سيرة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سبق إلى تأليفها أبو محمّد بن إسحاق المطّلي، ولخصّها عبد الملك بن هشام المعافري المصري النّسابة النّحوي، ممّا بلغني علّمهُ، وبسرّ لي فهمه من لفظ غريب، أو إعراب غامض، أو كلام مُستعَلّق، أو نسبٍ عويص، أو موضع فاتته التنبيه عليه، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تَمَتُّهِ" إلى أن يقول: "تحصل من فوائد العلوم والآداب، وأسماء الرجال والأنساب، ومن الفقه الباطن اللُّباب وتعليل النّحو، وصنعة الإعراب ما هو مُستخرج من نيّفٍ على مائة وعشرين ديواناً ما أنتجه صدري"¹.

5_ كتب شمائل ودلائل النبوّة والموالد الشريفة

على الرغم من أنّ معظم الأحاديث المتعلّقة بشمائل سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنوثة في ثنايا كتب الحديث الشريف فقد أُفردت لها مصنّفات خاصة، ومثال ذلك ما يوجد بصحيح البخاري ما يسمى: "كتاب الأدب" وكتاب "الاستئذان" وكتاب "اللّباس"، ونجد في صحيح مسلم كتاب: "البرّ والصلة والآداب"، وكتاب "فضائل سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم"، وكتاب "اللّباس والزينة" وكتاب "الزهد والرقائق"، ويوجد في سنن الترمذي أبواب: "البرّ والصلة" وأبواب وكتاب "الزهد"².

ويعتبر كتاب "الشمائل المحمّدية" من أمّهات الكتب في هذا الباب العظيم المتعلّق بالجناب الشريف صلوات ربّي وسلامه عليه، وهو كتاب عدا كتابه الجامع الصحيح المسمّى

¹ _ عبد الرّحمن السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرّحمن الوكيل، ط1، دار الكتب الإسلامية، مصر، 1387هـ/1967م، ج1، ص15.

² _ مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ص19.

"سنن الترمذي"، وأورد الإمام أبو عيسى في شمائله أربع مائة حديث في صفات سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم الجسمية والخلقية، وقد طُبِعَ عدّة مرات، وعليه شروح كثيرة¹.

وبعدّ كتاب "أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم" كتاب شامل في محاسن أخلاقه، وأفضال أحواله وشمائله، حيث جمع فيه صاحبه ما تعلّق بآدابه وأخلاقه من الأحاديث الشريفة، من الكرم والجود والسخاء، والعفو، وكظم الغيظ، وشجاعته وتواضعه، ورفقة بأمته، وإعراضه عما يكره، وصفة ضحكه وتبسّمه وسروره، وغضبه، ومزاحه صلوات ربّي وسلامه عليه².

ونجد كتاب "عمل اليوم والليلة" للإمام النسائي وهو كتاب أفرده صاحبه لجمع دعاء سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، وهذا يطلب من الأمير أبو النّجم بدر الحمّامي³ مولى المعتضد بالله، وهو كتاب عظيم في بابيه، لأنّ مؤلفه من الحفاظ والجهازة، وهو أول كتاب من ناحية السبق الزماني، وألّف في عصر عَرَفَ نشاطاً وهمة في جمع الأحاديث الشريفة واستقصائها، وتنقيتها، فتيسّر له ما لم يتيسّر لغيره في كثير من الأمور⁴.

¹ - أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي، الشمائل المحمدية، تعليق عزة عبيد الدعاس، ط3، دار الحديث، بيروت، 1408هـ/1988م، ص5.

² - أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان الأصبهاني أبو الشيخ، أخلاق سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه، تحقيق صالح بن محمد الونيان، ط1، دار المسلم، الرياض، 1418هـ/1998م، ج1، ص-ص 526، 527.

³ - أبو النّجم بدر الحمّامي: الأمير أبو النّجم مولى المعتضد بالله، ويُسمى بدر الكبير قائد تركي الأصل ومن أمراء الجيش العباسي، نشأ بمصر من غلمان الطولونيين، قال أبو نعيم الحافظ: كان عبداً صالحاً، مستجاب الدعوة، كما كان جواداً كريماً شجاعاً مُحِبّاً للعلماء، مُكرِّماً لهم، وقد روى الحديث الشريف، ورواه توفي سنة 310 أو 311، 922 أو 923م. وهو أمير على فارس. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص599، ص603.

⁴ - أحمد شعيب النسائي، عمل اليوم والليلة، تحقيق فاروق حمادة، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ، ص-ص 90 - 95.

وكتاب: "عمل اليوم والليلة" سلوك سيّدنا النّبي صلّى الله عليه وسلم مع ربّه عزّ وجلّ ومعاشرته مع العباد" لصاحبه أبو بكر أحمد بن محمّد الدينوري المعروف بابن السّني، راوي سنن النسائي، ومُصنّفه هذا عظيم القدر، وكثير النّفع في الأدعية والآداب، وتهذيب الأخلاق، وتربية النفوس، طُبِعَ مراراً في العرب والعجم¹.

وصنّف الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل نبوة سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سمّاه "دلائل النبوة ومعرفة أحوال أصحاب الشريعة"، وهو من أفضل ما صنّف في هذا الباب حيث قال عنه الإمام السبكي تاج الدّين: "أمّا كتاب "دلائل النبوة"، وكتاب "شعب الإيمان"، وكتاب "مناقب الشافعي" فأقسّم ما لواحدٍ منها نظير". وقال الحافظ بن كثير: "دلائل النبوة" لأبي بكر البيهقي من عُيون ما صنّف في السيرة والشّمائل².

ومن الكتب المؤلّفة في دلائل النبوة أيضاً، ومن أوّعاهها لهذا الفنّ كتاب "دلائل النبوة" لمحمّد أبو العبّاس جعفر بن محمّد الحافظ المُستغفري (ت 432هـ/1040/1041م)، بدأ فيه في ذكر نبوءاته صلى الله عليه وسلّم من فتح للأمصار، وذكر الصالحين من الأمّة، وما يكون من أحوال الخلفاء والأمراء، والفتن الحادّة، وذكر علماء الأمّة، وأنّه عليه الصلاة والسلام من علامات الساعة، والإخبار بأمر افتراق الأمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة وذكر المهدي الملك من آل بيته، وعن قيام الساعة وأشراتها، وما يحدث قبل قيامها كخراب الكعبة

¹ _ أبو بكر أحمد بن محمّد بن إسحاق الدينوري الشافعي ابن السّني، عمل اليوم والليلة سلوك سيّدنا النّبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق عبد الرّحمان كوثر، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م، ص8.

² _ أبو بكر أحمد الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال أصحاب الشريعة، تعليق عبد المعطي قلجعي، ط1، دار الرّباح للتراث، القاهرة، 1408هـ/1988م، ج1، ص7.

المشرفة، ورفع القرآن الكريم من صدور الناس، وغيرها وكل في دلائل نبوته وصديقه صلى الله على الصادق المصدق وسلم تسليماً¹.

وقصد بعض طلاب الحديث الشريف الإمام أبا نعيم الأصبهاني وطلبوا منه أن يضع لهم كتاباً في الأحاديث الشريفة والروايات التي تُعتبر الدلائل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم فقال في ذلك: "... جَمْعُ المنتشر من الروايات في النبوة والدلائل، والمعجزات، والحقائق، وخصائص المبعوث سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالسنا الساطع، والشفاء النافع الذي استضاء به السعداء، واستشفى به الشهداء، واستوصلَ دونه البُعداء، فاستعنت بالله واستوففته وبه الحول والقوة، وهو القوي العزيز"².

ومن المؤلفات في هذا الفن الجليل من علم السير والتاريخ والشمال والخصائص كتاب "الأنوار في شمائل سيّدنا النبي المختار صلى الله عليه وسلم" للإمام الحسين بن مسعود البغوي وقد ضمّنه أبواباً عدة في سابقة اختياره عليه الصلاة والسلام، وخصائصه ومعجزاته، وعلامات نبوته، ودعوته المشركين وصبره على أذاهم، وصفته صلى الله عليه وسلم، وحسن خلقه، وزهده وإعراضه عن الدنيا، وذكر رايته ولوائه، وخيله وبغلته وحمارة وناقته، واستحبابه الفأل، وباب في رؤيته في المنام صلى الله عليه وسلم³.

ومن المتأخرين الأجلاء الذين ألفوا في شمائل سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم، الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي في كتابه "الخصائص الكبرى" أو "كفاية الطالب

¹ أبو العباس جعفر بن محمد المُسنَغَرِيّ، دلائل النبوة، تحقيق أحمد بن فارس السّلوّم، ط1، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، 1431هـ/2010م، ص-ص 877 - 898.

² أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق محمد رواس قلعدجي وعبد البرّ عبّاس، ط2، دار النفائس، بيروت، 1406هـ/1986م، ج1، ص17.

³ الحسين بن مسعود البغوي، الأنوار في شمائل سيّدنا النبي المختار صلى الله عليه وسلم، تحقيق إبراهيم اليعقوبي، تقديم محمد اليعقوبي، ط1، دار المكتبي، دمشق، 1416هـ/1995م، ج1، ص-ص 894 - 898.

اللبيب في خصائص الحبيب" صلى الله عليه وسلم، وهو كتاب نفيس في آياته وخصائصه ومعجزاته عليه الصلاة والسلام التي نطقت بها آيات الكتاب الكريم، والسُنن الصحيحة والآثار¹.

واهتمّ علماء المسلمين بالسيرة النبوية الشريفة العطرة اهتمامهم بالحديث الشريف - ثاني أصول الإسلام-، بل إنّ التدوين في السيرة النبوية الشريفة سبق التدوين في الحديث الشريف، وقد تعدّدت أصناف المصنّفات في السيرة، مابين سيرة مُستفصاةٍ جامعَةٍ؛ كسيرة محمّد بن إسحاق (ت 151هـ/768/769م)، وأخرى مهذّبة كسيرة ابن هشام (ت 218هـ/833م)، وثالثة شارحة لغريب ما في ألفاظ روايتها، كشرح "غريب السيرة النبوية الشريفة لأبي ذرّ الخشنّي" (ت 604هـ/1207/1208م)، وأخرى موجزة "كأوجز السير" لابن فارس (ت 395هـ/1004/1005م)، وخامسة نُظِمَت فيها أحداث السيرة نَظْماً حتّى يسهل حفظها، وبتيسّر وعيها، "كالدرة السنية للحافظ العراقي" (ت 806هـ/1403/1404م)².

ولعلماء المغرب والأندلس إسهام وافر في السيرة النبوية الشريفة، فمنها المطوّلة: "كعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" لابن سيّد الناس اليعمري (ت 734هـ/1333/1334م)، وكذلك ما جاء في تفسير غريب ألفاظها وشرح معاني رواياتها، والتعريف بأعلامها: "كروض الأنف" لأبي القاسم السهيلي (ت 581هـ/1185/1186م)، ومن المختصرات كتاب "الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر" (ت 463هـ/1070/1071م)، ونزّر العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون" صلى الله عليه

¹ - جلال الدّين عبد الرّحمن أبو بكر السيوطي، الخصائص الكبرى، تحقيق محمّد خليل هراس، ، د.ط، دار الكتب الحديثة، مصر، غرة ربيع الأول 1387هـ/يونية 1967م، ج1، ص4.

² - أبو جعفر الرعيني وابن جابر الأندلسي، رسالتان في السيرة النبوية والمولد الشريف، تحقيق مصطفى بن مبارك عكلي التمكروتي، ط1، دار أبي الرقراق، ربيع الأول 1432هـ/فبراير 2011م، ص05.

وسلم، لابن سيّد النَّاس، ومما لهم من الأنظام فيها: "الدرة الخطيرة في مهمّ السيرة" لعبد السلام بن الطيّب القادري الفاسي (ت 1110هـ/1698/1699م)¹.

وكتاب "الشفّا بتعريف حقوق سيّدنا المصطفى صلّى الله عليه وسلّم" للقاضي عياض (ت 544هـ/1149م) من خير الكتب التي عرّفت بحقوق سيّدنا المصطفى صلوات ربّي وسلامه عليه، فقد أحاط الكتاب بصفاته، وما يجب له من حقوق، وبالنظر إلى تقديم المؤلف للكتاب، وبيان أبوابه وفصوله، وسرد الكثير من الحوادث والأخبار التي تنبئ بإحاطة المؤلف بكلّ الجوانب التي تتصل بصفات سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وتُجلّي لنا سيرة نبينا الأعظم عليه الصلاة والسلام؛ وقد اعتمد المؤلف في ذلك كلّ على الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، يؤيّد بها رأيه، واستدلّ أيضاً بأراء المفسرين والمُحدثين والفقهاء فيما جاء به، وقد اعتنى بشرح هذا المؤلف كثير من العلماء الأفاضل².

وقد انفصل عن السيرة فرع هام، وهو ذكر المولد النبوي الشريف، والمؤلفات فيه كثيرة العدد، ولأهل المغرب والأندلس على جهة الخصوص ولوعٌ تامّ بكتب المولد، توارد علمائهم على التأليف فيه جيلاً بعد جيل، ومن أشهر من ألف منهم فيه: أبو الخطّاب ابن دحية الكلبيّ (ت 633هـ/1167/1168م) وابنه أبو القاسم (ت 677هـ/1181/1182م) فألف كتاب "الدّر المنتظم في مولد سيّدنا النبيّ المعظم" صلّى الله عليه وسلّم، وهما اللذان أقاما المولد الشريف بسبّة وبهما وقع الاقتداء في باقي المدن المغربية، ويقتنفي اللّاحق منهم أثر السابق، سنّة توارثوها ونعم السنّة هي، وأمّا "الرسالتان في السيرة النبوية والمولد الشريف" لابن جابر

1_ الرعيني، رسالتان في السيرة النبوية، ص - ص 65 - 78.

2_ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، ص - ص 03 - 14.

(ت 780هـ/1378/1379م)، وأبي جعفر الرعيني (ت 779هـ/1377/1378م)، فإنهما تعدّان حلقة من سلسلة ذهبية طويلة للعلماء في التأليف في السيرة والمولد الشريفين¹.

ومن المتأخرين الذين ألفوا في هذا الفن الشريف في تاريخ سيرة خير البشر صلى الله عليه وسلم، الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الربيع الشيباني الشافعي في كتاب: "حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة سيّدنا النبي المختار صلى الله عليه وسلم"، وقسمه إلى قسمين الأول في المبادئ والسوابق، والآخر في المقاصد واللواحق، أمّا القسم الأول: فقد افتتحه بخطبة في التعريف بمولده الشريف، وقدره العليّ المنيف، ثمّ أتبعها بثمانية أبواب منها: باب في سرد مضمون الكتاب ليتذكّر به أولوا الألباب من لدن مولده صلى الله عليه وسلم إلى وفاته. **والقسم الثاني:** ذكر به سيرة سيّدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم من هجرته إلى وفاته، ثمّ ذلّله بفصول في وجوب نصب الإمام، وذكر شيء من فضائل الصحابة رضوان الله عليهم².

وقد ألف الشيخ الأكبر محمد بن علي محيي الدين بن عربي³ مؤلفاً في المولد النبوي الشريف يُعرف "بمولد ابن عربي"، وقد افتتح مؤلفه هذا بمدح خير البرية صلى الله عليه وسلم:

1_ الرعيني وابن جابر، رسالتان في السيرة النبوية والمولد الشريف، ص - ص 6 ، 7.

2_ ابن الربيع الشيباني، حقائق الأنوار، ص 6، ص 16.

3_ **الشيخ محيي الدين ابن عربي:** الشيخ الأكبر، أو سلطان العارفين شخصية بارزة في تاريخ التصوّف، بحر زاخر بشتّى العلوم والمعارف ولد بمُرسية بالأندلس سنة 560هـ/1164م، وكان يعرف بها باسم "ابن سُرّاقة" وفي المشرق "بابن عربي"، رحل إلى اشبيلية وأخذ الفقه والحديث بها، ولد في ظلّ سلطة دينية تقية مثّلها صاحب شرق الأندلس محمد بن مردنيش، وفي ظلّ أسرة تقية ورعة مال أفرادها إلى طريق الزهد والتصوّف، ترك الشيخ محيي الدين بن عربي ما يربو عن مائتين وتسعة وثمانين كتاباً ورسالة، أو خمسمائة كتاب حسب قول عبد الرحمن الجامي صاحب "نفحات الأنس"، ومن تأليفه: "الفتوحات =

يا عظيم الثنا بخلقٍ عظيمٍ *** من عظيم الثنا أذاك الثناء

طبت حيا وميتا يا مفدى *** فلذا منك طابت الأرجاء¹

ومن العلماء والحُفَاط الذين صَنَّفوا في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الحافظ ابن كثير، وقد أفرد جزءا لمولده صلى الله عليه وسلم في كتابه البداية والنهاية².

والإمام الحافظ محمد بن أبي بكر عبد الله القيسي الدمشقي المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي صاحب "جامع الآثار في مولد النبي المختار"³، و"مورد الصادي في مولد الهادي" صلى الله عليه وسلم⁴.

=المكيّة"، و"الفتوحات المدنية"، وهو "تفسير الشيخ الأكبر" وهو تفسير للقرآن، و"تحفة السفرة إلى حضرة البرّة"، و"سرّ أسماء الله الحسنى"، توفي سنة 638هـ/1249م. ينظر: فيصل بدير عون، التصوّف الإسلامي الطريق والرجال، د.ط، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس، مصر، 1983م، ص- ص 265 ، 272.

¹ _ محمد بن علي محي الدين بن عربي، المولد النبوي الشريف (مولد ابن عربي)، مخطوطة بجامعة الرياض تحت رقم: 219/م.ع-القرن 13هـ، ص - ص 1 - 18.

² _ ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص 373.

³ _ ابن ناصر الدين الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله بن أبي البقاء الشافعي (ت 842هـ/1438م)، جامع الآثار في السير ومولد النبي المختار صلى الله عليه وسلم، تحقيق أبي يعقوب نشأت كمال، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1431هـ/2010م، مج1، ص - ص 61 - 63.

⁴ _ ابن ناصر الدين الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله بن أبي البقاء الشافعي (ت 842هـ/1438م)، مورد الصادي في مولد الهادي صلى الله عليه وسلم، ط1، دار الغناء، القاهرة، 1419هـ/2008م، ص 23.

والإمام المُحدِّث الحافظ الفقيه مُلا علي قاري صاحب "المورد الرَوِيّ في المولد النبوي"¹.

والإمام العالم ابن دحية صاحب "التتوير في مولد البشير النذير" صلى الله عليه وسلم. وإمام القراءات الحافظ المُحدِّث محمد بن عبد الله الجزري وكتابه "عُرفُ التعريف بالمولد الشريف". والإمام الحافظ ابن الجوزي الذي قال عن المولد: "أمان في ذلك العام، وبشرى بنيل البُعْية والمِرام"².

والإمام عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي المعروف بأبي شامة الذي أثنى في كتابه "الباعث على إنكار البدع والحوادث" على الملك المظفر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف³.

والإمام شهاب الدين القسطلاني في كتابه "المواهب اللدنية"⁴.

¹ _ المُلا علي بن سلطان القاري، المَورِدُ الرَوِيّ في المولد النبويّ صلى الله عليه وسلّم، ترجمة وتحقيق أبو محمد إعجاز أحمد، د.ط، زاوية ببلشرز، باكستان، 1435هـ/2014م، ص 14.

² _ عبد الله بن أبي بكر بن سالم الشافعيّ، رسالة في المولد النبوي الشريف، د.ط، دار الفقيه للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 1426هـ، ص- ص 79 - 86.

³ _ شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن أبي شامة، الباعث على إنكار البدع والحوادث، نشر وتصحيح محمد فؤاد منقارة الطرابلسي، د.ط، المطبعة المنيرية بالأزهر، القاهرة، 1374هـ/1955م، ص- ص 15 - 16.

⁴ _ أحمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح أحمد الشامي، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت _ دمشق _ عمّان، 1425هـ/2004م، ج1، ص 139.

والقاضي أحمد بن محمد العزفي من تلاميذ القاضي أبي بكر بن العربي وله مولد سمّاه "الدرّ المنظم بمولد النبيّ الأعظم" صلى الله عليه وسلم أكمله ولده القاضي محمد¹.

والإمام الحافظ المناوي وله "مولد المناوي"².

والإمام ابن حجر الهيتمي مفتي الشافعية بمكة المكرمة وله "إتمام النعمة على العالم بمولد سيد ولد آدم" والإمام إبراهيم الباجوري وله شرح على مولد ابن حجر سماه "تحفة البشر على مولد ابن حجر" وكان الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي رحمه الله يعظم مولد النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوا إلى ذلك ويستدل بأقوال و أفعال الخلفاء الراشدين وعلماء التابعين وسادتهم ومن جاء بعدهم إلى عصور متلاحقة زمن الإمام الفخر الرازي والإمام الشافعي والإمام السيوطي، وله نظم في ذلك ضمّنه مولده هذا. ومنه هذه الأبيات:

صَلُّوا عَلَى الْمَخْتَارِ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ	***	مُحَمَّدٌ بِالْعَهْدِ كَانَ وَفِيًّا
أَبْدَأْ بِمَدْحِ الْهَاشِمِيِّ الْمُمَجَّدَا	***	طَهَ الَّذِي كَانَ بِالنَّصْرِ مُؤَيِّدَا
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ هَذَا مُحَمَّدٌ	***	مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْكَوْنِ كَانَ نَبِيًّا ³ .

¹ _ أبو العبّاس محمد بن أحمد اللّخمي العزفيّ، الدرّ المنظم في مولد النبيّ المعظم صلى الله عليه وسلم، دراسة وتحقيق عبد الله حمادي، د.ط، دروب ثقافية، عمّان _ الأردن، 2016م. (الكتاب لم يُنشر).

² _ عبد الله بن محمد المناوي، المولد النبوي الشريف صلى الله عليه وسلم (التعطيرة الشريفة)، د.ط، مكتبة المودة الإلكترونية، 2011م، ص2.

³ _ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي، النعمة الكبرى على العالم في مولد سيّد ولد آدم، مكتبة الحقيقة، استانبول، طبعة جديدة -1424هـ/2003م- ص ص 5-8، 17 - 18.

والسيد العلامة جعفر البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة صاحب "عقد الجواهر في مولد النبي الأزهر"¹.

والشيخ ابن عياد القدوري في "رسائله الكبرى"، والعلامة أبو الوفاء الحسيني وله رسالة سماها "مولد البشير النذير والسراج المنير". والشيخ العلامة عطية إبراهيم الشيباني الزبيدي وسمى كتابه "مولد المصطفى العدناني". والإمام عبد الغني النابلسي وسمى كتابه "العلم الأحمد في المولد المحمدي". والعلامة الفقيه السيد علي زين العابدين السمهودي الحسني (ت 911هـ/1505م) وكتابته "الموارد الهنيئة في مولد خير البرية"، والعلامة الحجة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي مفتي الشافعية بمكة المكرمة وله "إتمام النعمة على العالم بمولد سيد ولد آدم". والإمام إبراهيم الباجوري وله شرح على مولد ابن حجر سماه "تخفة البشر على مولد ابن حجر"، وممن ألف في المولد أيضا الإمام تقي الدين علي عبد الكافي السبكي، والشيخ محمد البناني، والشيخ الدرديري في الشرح الكبير، والشيخ الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير².

¹ - جعفر بن حسن البرزنجي الشافعي، المولد النبوي الشريف صلى الله عليه وسلم (مولد البرزنجي) مخطوط بخط إبراهيم محمد نوار بدار الكتب المصرية تحت رقم: 219/ ق. ب بجامعة الرياض، (5: 376)، القاهرة، 1318هـ، ص - ص 1 - 15.

² - عبد الله بن أبي بكر بن سالم الشافعي، رسالة في المولد النبوي الشريف، د.ط، دار الفقيه للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 1426هـ، ص - ص 79 - 86.

ثالثاً: مؤلفات تاريخ مكة والمدينة المشرفتين وكتب السيرة العامة

1_ كتب تاريخ المدينة المنورة

من الذين كتبوا عن تاريخ المدينة المنورة من علماء المؤرخين المتقدمين أصحاب الروايات الشفاهية ومنهم روايات عبد العزيز بن عمران الزهري (ت 197هـ/812/813م)، وعلي بن محمد المدائني (ت 225هـ/839/840م)، وأبو غسان محمد بن يحيى الكتاني، وأبو حذافة أحمد بن إسماعيل السهمي (ت 259هـ/872/873م)، وإبراهيم بن منذر الخرامي (ت 236هـ/850/851م)، وأبو مصعب الزهري (ت 242هـ/856/857م)، وجميعهم لهم عناية في أخبار المدينة المنورة، عن شيخهم عبد العزيز بن عمران، وروى عنهم بعض من صنف في تاريخ المدينة مثل: ابن شبة الذي روى عن شيخه أبي غسان محمد بن يحيى الكتاني المدني وهو من النقات، وروى الزبير بن بكار (ت 256هـ/869/870م) عن شيخه إبراهيم بن منذر الخرامي الأسدي القرشي المدني، وأبي مصعب الزهري أحمد بن أبي بكر بن الحارث، وكلاهما من العلماء البارزين والرؤات النقات¹.

ومن المؤلفات عن المدينة المنورة وأشهرها: "الحجة على أهل المدينة" لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني (ت 189هـ/804/805م)، وكتاب: "وقعة الحرة" للواقدي (ت 207هـ/822/823م) و"الأوس والخزرج" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ/825/826م)، و"نسب الأنصار" لعبد الله محمد بن عمارة، المعروف بابن القداح المدني الأنصاري كان حياً قبل (236هـ/850م)، و"أخبار المدينة" لأبي طاهر يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله الأعرج الحسين العلوي (ت 277هـ/890م) وقيل (287هـ/900م)، وكتاب "بين المسجدين"

¹ محمد ابن زباله، أخبار المدينة المنورة، ص - ص 17 - 18.

لعليّ بن أحمد بن علي بن محمّد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب العقيقيّ كان حيّاً عام (298هـ/910/911م). وكتاب "المدينة" لعلي بن أحمد العقيقي أيضاً¹.

لقد خصّ الله تعالى المدينة المنورة بفضل عظيم حيث جعلها ثانية الحرمين ودار هجرة نبيّه صلى الله عليه وسلم، وحصّن نصرته ومُنطلق نور الإيمان إلى مختلف نواحي الأرض، فيها المسجد النبوي الشريف تُشدّ إليه الرحال، وفيها الروضة المطهّرة وهي من رياض الجنّة، وفيها آثاره صلى الله عليه وسلم، واشتغال مؤرخي الإسلام بكتابة السيرة النبوية العطرة قدّمت مادة تاريخية غزيرة عن المدينة المنورة، وفيها مهاجر سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقامه، وكذلك الحال بالنسبة لمكّة المكرمة، مولده ونشأته وطفولته وشبابه وبعثته، وقد ألّف العالم المحدث المؤرخ ابن زبالة كتابه "أخبار المدينة المنورة" وهو كتاب عظيم الشأن في هذا الباب حيث تطرّق فيه بدءاً باسمها، وحرّمها، وبدء سكّنها، ومسجدها مَفصّلاً، والمساجد التي صلى فيها سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأوس والخزرج، والقبر الشريف، وقبور الصحابة رضي الله عنهم، وصدقات سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم وبقاع المدينة وأحوالها، وغير ذلك وهو أوّل كتاب معروف ألّف في تاريخ المدينة المنورة².

وكتاب "أخبار المدينة النبويّة" من أنفس الكتب التي ألّفت في تاريخ المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لصاحبه العالم المحدث عمر بن شبة رحمه الله تعالى، وهو من المؤرّخين الذين اهتموا بتاريخ البلدان كأخبار مكّة المكرمة وتاريخ بغداد، وتاريخ المدينة المنورة لأنّها منبع النور الإلهي ومقصد الطلّاب فمنها بزغ العلم، ولأنّ غالب سادتنا

¹ _ ابن زبالة، أخبار المدينة، ص - ص 18 - 21.

² _ نفسه، ص - ص 5 - 63.

الصحابة رضوان الله عليهم عاشوا فيها ومنها خرجوا، وبهذا حُفِظَ تراث سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم.¹

وصنّف الإمام الحافظ الكبير محبّ الدّين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي، صاحب تاريخ بغداد كتاباً في أخبار المدينة المنورة وسَمَهُ بالدرة الثمينة في أخبار المدينة" قسّمه ثمانية عشر باباً بدءاً في ذكر أسماء المدينة وأول ساكنيها، وباب هجرة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم، وباب فتح المدينة، وهجرة أصحابه رضي الله عنهم، وفضائلها، وحرمتها، ومسجدها، وباب وفاة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما، وفضل زيارته عليه الصلاة والسلام، والبقيع وفضله...وختم بباب من سكن المدينة من الصحابة والتابعين من بعدهم.²

ومن التصانيف الواردة في حقّ المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، نجد كتاب "المناسك" للإمام أبو إسحاق الحربي (ت 285هـ/898م)، ومن نسج على هذا المنوال كتاب "تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة" للإمام زين الدّين المراغي (ت 816هـ/1413/1414م).³

و"التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة" لشمس الدّين السخاوي (ت 902هـ/1497م) حيث قال عنه صاحبه: "توجّهت لبيان أحوال أهل طيبة، المشار إليها، والمخصوصة بالمزيد من الفضائل المنبّه عليها، لأحوز بركة المرتفع منهم، وأفوز بتتزيل

¹ _ أبو زيد عمر بن شبّة النّميري البصري، أخبار المدينة النبوية، د.ط، دار العليان، السعودية، 1410هـ، مج6، ج1، ص- ص أ ، ب.

² _ أبو عبد الله محمد بن محمود البغدادي بن النجار، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص - ص 7 - 27.

³ _ محمد بن زبالة، أخبار المدينة، ص - ص 11 - 13.

الرحمة حيث ذكرتهم، ولم أنصرف عنهم، خصوصاً ومن أحبّ شيئاً أكثر من ذكره، والمرء مع حبيبه في حشره ونعيمه ونشره، وإن لم يلحقه في عمله، ولا رافقه في سلوكه وسبيله"¹.

وألّف اللّغوي الشافعي الشهير مجد الدّين الفيروزآبادي كتاباً في تاريخ المدينة المنورة سمّاه: "المغانم المطلوبة في معالم طابة" وهو من أهم المؤلفات ذات الصلة بالفضائل². وكتاب "تاريخ المدينة لقطب الدّين الحنفي وهو من أجلّ علماء مكّة المكرّمة. وأورد فيه أوّل سكنى المدينة المنورة، وهجرة سيّدنا النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليها، وفتحها، وحُرمتها، ومساكنها، وما تعلّق، بمعالمها، وبناء المسجد النبوي الشريف، ووفاة النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وفضائل زيارة قبره المقدّس، وخبر الخلفاء من بعده، وحكم زيارة النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وسلم وفضلها³. ومن التّأليف أيضاً: الوفاء بأخبار دار المصطفى "لنور الدين السمهودي" (ت 911هـ/1505/1506م)، وكتاب "عمدة الأخبار في مدينة المختار" للشيخ أحمد العباسي المتوفى في القرن 10هـ/16م من العلماء المتأخّرين⁴.

2_ مؤلّفات تاريخ مكّة المكرّمة

ولم يفت علماء الإسلام ومؤرّخوه أن يُفردوا تصانيف خاصة متعلّقة بجناب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم الشريف، فأرخوا للمواطن التي عاش فيها، ومن هذه التصانيف "كتاب: "أخبار مكّة المكرّمة وما جاء فيها من الآثار" للإمام المؤرخ أبو الوليد

¹ _ شمس الدّين السخاوي، التحفة اللّطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تقديم طه حسين، د.ط، طبع ونشر أسعد طرابزونى الحسيني، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة، 1979م، ج1، ص18.

² _ قطب الدين الحنفي، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق محمّد زينهم محمّد عزب، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص - ص 43 - 46.

³ _ مجد الدّين أبي الطاهر محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، المغانم المطلوبة في معالم طابة، تحقيق حمد جاسر، د.ط، دار اليمامة، الرياض، د.ت، ص - ص 43 - 46.

⁴ _ محمّد ابن زباله، أخبار المدينة المنورة، ص 13.

محمد الأزرقى (ت 250هـ/864/865م) تتبّع فيه إنشاء الكعبة المعظمة، ومعاهد مكة المكرمة وما فيها من آثار وأماكن، وألّم بجمل تاريخها وجغرافيتها منذ نشأتها، وأتى على صورة موضحة مما سلف من مجد طارق وتليد، بحيث تجمّعت في الكتاب ميزات خاصة قلما تجدها في كتاب غيره، وصار ما وُضع بعد ذلك من الكتب التي تبحث تاريخ مكة وخطتها عالية على كتاب الأزرقى¹.

وألّف الإمام الفاكهي "كتاباً عظيماً الفائدة في تاريخ مكة المكرمة سمّاه "أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه"، احتوى على قرابة الثلاثة آلاف مابين حديث وأثر وخبر في الجزء المحفوظ من الكتاب فقط، قال فيه الإمام ابن حجر: "...وهو كتاب نفيس في خمسة أسفار". وقال عنه الإمام المؤرخ الفاسي في كتابه "شفاء الغرام": "وفي كتاب الفاكهي أمور كثيرة مفيدة جداً"، حيث احتفظ الفاكهي في كتابه هذا بكثير من النصوص مأخوذة من كتب مفقودة².

ومن أقدم ما وجد من تأليف في هذا الباب الجليل حول تاريخ مكة المكرمة نجد رسالة للإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى سمّاها: "فضائل مكة والسكن فيها"، وساعده في تأليف رسالته هذه ما عُرف عنه من مزايا، كما قال فيه الربيع بن أنس: "ليس من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع من قبل"، ووصفه الشريف المرتضى قائلاً: ثبارع الفصاحة، بليغ المواعظ، كثير العلم³.

¹ _ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح ملخص، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1403هـ/1983م، ج1، ص20.

² _ أبو عبد الله محمد إسحاق ابن العباس الفاكهي المكي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك عبد الله بن دهيش، ط2، دار خضر، بيروت، 1414هـ/1994م، ج1، ص33.

³ _ أبو سعيد الحسن البصري، فضائل مكة والسكن فيها، تحقيق سامي مكي العاني، د.ط، مكتبة الفلاح، الكويت، 1400هـ/1980م، ص6.

ولقد تعرّضت الكثير من المصادر المصنّفة في تاريخ مكة المكرمة بالإجمال لهذا البلد المقدّس، ألفها كبار الأئمة من ذوي المناقب الحميدة منها: "السيرة النبوية" المسمّاة "إنسان العيون" للشيخ علي برهان الدّين الحلبي، و"شفا الغرام" و"العقد الثمين" للسيد تقي الدّين الفاسي مؤرّخ مكة المكرمة، و"المواهب اللّذنية" للحافظ أحمد بن محمّد الخطيب القسطلاني، وشرحها الشيخ محمّد بن عبد الباقي الزرقاني، و"البحر العميق" لأبي الضياء محمّد بن أحمد، و"الإعلام لأهل بلد الله الحرام" للشيخ قطب الدّين محمّد بن أحمد المكي الحنفي مؤرّخ مكة المكرمة، و"درر الفرائد" للشيخ عبد القادر الأنصاري الجزيري الحنبلي مؤرّخ مكة المكرمة و"زبدة الأعمال في فضائل مكة" للشيخ سعد الدّين الأسفراييني، وكتاب "مكة" للأزرق، و"مناجح الكرم في أخبار البيت وولّاة الحرم" للسنجاري، و"توضيح المسالك وحاشيته" للشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين بن محمّد بن عامر المغربي مفتي المالكية، بمكة المكرمة، وغيرهم من فحول الرجال¹.

3_ كتب التاريخ العامة في السيرة النبويّة الشريفة

إنّ صنف المؤلفات العامة يتناول تاريخ الأمم والدّول والأفراد بشكل عام قبل الإسلام وبعده إلى زمان المؤلّف. وكثيراً ما تبدأ من بدء الخلق، وهي كثيرة أهمّها²: "تاريخ الرّسل والملوك" لأبي محمّد جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت 310هـ/922م/923م) ويعرف هذا التّأليف أيضاً "بتاريخ الطبري"، قال عنه صاحبه في مقدّمة كتابه: "وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كلّ زمان، من لدنّ ابتدأ ربّنا جلّ جلاله خَلَقَ خَلْقَهُ إلى حال فنائهم، منّ انتهى إلينا خبره ممن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه؛ من رسول مرسل، أو ملك مُسلّط، أو

¹ - محمّد بن أحمد بن سالم بن محمّد المالكي المكي الصبّاغ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولّاتها الفخام، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكتبة الأسد، مكة الكرّمة، 1424هـ/2004م، ج1، ص- ص 19 - 20.

² - مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبويّة، ص- ص 41 - 42.

خليفة مستخلف، يذكر زمانه وجُمِلَ ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه، من البيان عن الزمان ما هو؟ وكم قَدُرُ جميعه، وابتداء أوله، وانتهاء آخره؟ وما هو كائن بعد فنائه وانقضائه؟ بوجيز من الدلالة غير طويل، ذكرنا من تأريخ الملوك الماضيين وجمل من أخبارهم، وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم، وأيام الخلفاء والسالفين وبعض سيرهم؛ ثم ذكر صحابة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان، إذا كان العلم بما كان من أخبار الماضين، إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين، فما يكن في كتابي هذا من خبر يَسْتَنْكِرُهُ قارئه، أو يستشنع سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فَلْيَعْلَمْ أنه لم يُعرف ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنما أدت ذلك على نحو ما أدّى إلي¹.

ومن كتب التاريخ العامة كتاب "تاريخ خليفة بن خياط العصفري" المحدث الإخباري (ت 240هـ/854/855م)، وقد رتبّه صاحبه على الحوليات سنة فسنة، وبدأه بالكلام على كيفية بدئ التاريخ الهجري، ثم كتب على السيرة الشريفة فصلاً قصيراً في نحو الخمسين صفحة، اعتمد فيه على محمد بن إسحاق عن راوية بكر بن سليمان، ووهب بن جرير بن حازم، وروى في هذا الكتاب بأسانيد عن شيوخه الثقات المحدثين الذين كان واحداً منهم. وكتاب "البدء والتاريخ" لابن طاهر المقدسي (ت 355هـ/965/966م)².

وكتاب "فتوح البلدان" لأحمد بن يحيى البلاذري (ت 279هـ/892/893م)، وله كثير من الأسانيد الصحيحة، وتميّز بنقل عدد من نصوص العهود والمعاهدات التي كان سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم يكتبها للمُعَاهِدِينَ، ويبدأ كتابه من أبتناء مسجد "قُباء" إلى خلافة سيدنا

¹ - ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ط2، دار المعارف، مصر، القاهرة، جمادى الثانية 1387/سبتمبر 1967م، ص- ص6، 8.

² - مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية، ص- ص42، 43.

عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وقد ضمّ أخبار الفتوح من عهد غزوات سيّدنا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى فتح السّند¹ واثبات أحكام الخراج، والخاتم والنقود، وكذلك الخط².

ومن كتاب عصره أبي القاسم عليّ بن الحسن بن عساكر (ت 571هـ/1175/1176)، وفي قسم السيرة العطرة منه ينقل رواياته بالأسانيد، وفي أحيان كثيرة يُقوّم أسانيده. قال ابن عساكر واصفاً مضمون كتابه: "وهو كتاب مشتمل على ذكر من حلّها من أمّات البريّة أو اجتاز بها أو بأعمالها من ذوي الفضل والمزيد من أنبائها، وهُداتها، وخلفائها، وولّاتها، وفقهائها، وقضائها، وعلمائها، ودرّاتها، وقُرّائها، ونحّاتها - يعني اللّغويين-، وشعرائها، ورؤّاتها من أمّانها، وأبنائها، وضُعفائها، وثقاتها"³.

ومن الكتب التي تحدّثت عن سيرة سيّدنا المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بتفصيل في كبرى الأحداث الجليّة المتعلّقة بالجناب الشريف وغيرها من الوقائع، كتاب "المُحَبَّر" لمحمّد بن حبيب البغدادي (ت 245هـ/859/860م) وبدأه صاحبه بذكر أعمار سادتنا الأنبياء عليهم السّلام والمُدّد التي بينهم، وتاريخ العرب، ومولد سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ونسبه، وبناته وأصهاره، ومُؤاخاته بين أصحابه ورسله إلى الملوك والأشراف، وأزواجه

¹ _ السّند: بلاد كبيرة فيها ديار بني فارس وديار الهند، وهي ممّا يلي الإسلام ثمّ الهند، ولغتهم غير لغة الهند، وفي شرقي بلاد السند مكران وطرار وشي من بلاد الهند، وفي غربيها كرمان ومفازة سجستان وأعمالها، وفي الشمال منها بلاد الهند. ينظر: محمّد الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص327.

² _ أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطّبّاع وعمر أنيس الطّبّاع، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ/1987م، ص- ص 1، 6.

³ _ أبو القاسم عليّ بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محبّ الدّين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، بط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، ج1، ص5.

وأسلافه، وغزواته، وسراياه، وأمرائه، ومن خُلق مختوناً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ووفاته، وأخبار أخرى متفرقة في عهد النبوة وما بعده¹.

ويتناول الإمام المؤرخ الفسوي في كتابه "المعرفة والتاريخ" السيرة النبوية الشريفة وعصر الراشدين والعصر الأموي وخلافة السفاح الخليفة العبّاسي، وهي مرتبة بالتاريخ على السنين².

والتاريخ المشهور لابن أبي خيثمة المعروف بـ"تاريخ ابن أبي خيثمة" وقد بدأ كتابة هذا بالسيرة النبوية الشريفة من الهجرة إلى قبض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل ما ذكره في كتابه النفيس هذا مرتكز على الإسناد³.

وألّف الامام ابن قتيبة الدينوري كتاباً شاملاً سمّاه "عيون الأخبار والمعارف" قال عنه: "فإن هذا الكتاب، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دال على معالي الأمور مرشد لكريم الأخلاق، زاجر عن الدناءة، ناهٍ عن القبيح، باعث على صواب التدبير، وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الأرض". وقد قسمه إلى أقسام الأول: كتاب السلطان، و"كتاب الحرب"، و"كتاب السؤدد"، و"كتاب الطبائع والأخلاق"، وكتاب العلم

¹ _ أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، كتاب المُحَبَّر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السّكري، تصحيح إيلزه ليختن شتيتير، د.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، 1361هـ/1492م، ص- ص أ، و.

² _ أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي، كتاب المعرفة والتاريخ، رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه النّحوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، ج1، ط1، مكتبة الدّار المدينة المنورة، 1410هـ، ص23.

³ _ أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب، التاريخ الكبير، تحقيق صلاح بن فتحي هلال، م1، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1424هـ/2004م، ص9، ص48.

و"كتاب الزهد"، و"كتاب الإخوان"، و"كتاب الحوائج"، و"كتاب الطّعام"، و"كتاب النّساء"، وكلّ هذا متّصل بالأصل سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم¹.

ومن الكتب أيضاً العامّة المهمّة في سيرة ومغازي وأحوال سيّدنا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كتاب "الأخبار الطّوال" لأبي حنيفة الدينوري وفيه ذكر ملوك الأرض من لدنّ سيّدنا آدم عليه السلام إلى انقضاء ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز، وذكّر من ملّك من ملوك قحطان وملوك الروم وملوك الترك في كلّ عصر وأوان، وذكر الأئمة والخلفاء والحروب مثل القادسيّة وفتوح العراق وانهزام دولة العجم، وصولاً إلى آخر أيّام المعتصم².

وتاريخ الإسلام للحافظ الذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير³.

4_ كتب السيرة الأدبيّة

أمّا عن كتب الأدب فقد اهتم الأقدمون بالشعر المتعلّق بالأحداث على رأسهم ابن إسحاق وابن هشام، وتابعهم في هذا الأئمة بمن فيهم أمثال الإمام البخاري ومسلم، إذ ساقوا الشعر للاستشهاد⁴.

وكتاب: "الشعر والشعراء" لابن قتيبة الدينوري قال عنه: "هذا كتاب ألّفته في الشعراء وعمّا يُستحسن من أخبار الرّجال ويُستجاد من شعرهم، وعن الوجوه التي يُختار الشعر عليها

¹ _ أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ، عيون الأخبار، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1343هـ/1925م، مج1، ص- ص أ، ر.

² _ أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، كتاب الأخبار الطّوال، تصحيح فلاديمير جرجاس، ط1، مطبع بريل، ليدن - هولندا، 1888م، ص2.

³ _ مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبويّة، ص44.

⁴ _ نفسه، ص44.

ويُستحسن لها إلى غير ذلك...¹، وابن قتيبة من المحدثين الكبار، وعلماء القرآن الكريم والتفسير، وأديب عظيم، وقد عاصر أصحاب الكتب الستة واشترك معهم في عديد من الشيوخ.²

وكتاب "الكامل في اللغة والأدب" لمحمد بن يزيد المعروف بالمُبرّد قال فيه صاحبه: "هذا كتاب أَلْفاه يجمع ضُروباً من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومَثَلٍ سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة"³.

وكتاب "الأضداد" وهذا النوع من المؤلفات مصدر أصيل من مصادر المعجمات، ومورداً لطلاب المعاني في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر، ويستخدم هذا الفن أيضاً في الردّ على أهل الزيغ والبدع والإزراء بالعرب، وكتاب ابن الأنباري هذا أفضل ما أُلّف في هذا العلم.⁴

وكتاب "إيضاح الوقف والابتداء" لمحمد بن القاسم بن الأنباري، وهو أحد أمّهات الكتب في تراثنا، كما يتّصل بكتاب الله العزيز، وبما يتّصل بلغته وآدابها، هذا الكتاب الذي نطق به سيّد البلغاء والفصحاء من أوتي جوامع الكلم صلوات ربّي وسلامه عليه.⁵

¹ - أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، د.ط، مطبعة بريل، ليدن - هولندا، 1906م، ص1.

² - مهدي رزق الله، السيرة النبويّة، ص44.

³ - أبو العبّاس بن محمد بن يزيد المُبرّد، الكامل في اللّغة والأدب، تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ/1997م، ج1، ص5.

⁴ - أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصريّة، صيدا - بيروت، 1407هـ/1987م، ص - ص أ، ح.

⁵ - الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، تحقيق محيي الدّين بن عبد الرحمن رمضان، د.ط، مجمّع اللّغة العربيّة، دمشق، 1390، 1971م، ص5.

وكتاب "العقد الفريد" لصاحبه أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب القرطبي (ت327هـ/938/939م) قال واصفاً إياه: "وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهرًا، وأظهرها رونقًا، وأطفها معنًا، وأجزلها لفظًا، وأحسنها ديباجةً، وأكثرها طلاوة وحلاوة، آخذًا بقوله تبارك وتعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾¹ الآية.²

وقصيدة البردة التي ملئت أبياتها وحُشيت بذكر سيّدنا الحبيب المحبوب نبيّ الرّحمة الشافع المشفّع الذي ذكره يحيي القلوب، وينعش الأرواح، صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وقد نظّمه الإمام محمد البوصيري، وأمّا من رواها من العلماء والمحدثين فمنهم الحافظ زين الدّين العراقي، والإمام المحدث الفقيه عمر بن علي المعروف بابن الملقّن، والإمام المحدث الفقيه عمر بن علي بن حجر العسقلاني شارح البخاري، والإمام المحدث الفقيه زكريا الأنصاري، والإمام الحافظ جلال الدّين السيوطي، وغيرهم لا يحصون كثرة³.

¹ _ سورة الزّمر، الآية 18.

² _ أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1404هـ/1983م، ج1، ص5.

³ _ داود بن سليمان النّقشبندى البغدادي، الذّبّ عن صاحب البردة، تحقيق عبد الرزّاق النّقشبندى البغدادي، د.ط، دار جوامع الكلم، القاهرة، محرّم 1425هـ، ص- ص 9، 12.

لقد كان لشخص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغ الأثر في تأسيس علم التاريخ عند المسلمين، بل ويُعتبر النواة الأساس لهذا العلم عندهم، من خلال تدوين سيرته العطرة بداية بمغازيه وشمائله والاهتمام بنسبه الشريف وذكر آل بيته الطاهرين وصحابته المجتبيين رضي الله عنهم وأرضاهم، ولم يستثنوا من ذلك حتى البيئة التي عاش فيها سيد الوجود صلوات ربي وسلامه عليه فدوّنوا بذلك سكناته وحركاته وكلّ ما تعلّق بجنازه الشريف، ونظرا لعظم خطر هذا النوع من العلوم فإن المؤرخين الأوائل كانوا يتحرّون أشدّ التحري فيما يكتبونه معتمدين على الموثوق من الرواية والرواة، وأسّسوا بذلك لمنظومة من التدوين التاريخي على نسق لم يسبقهم إليه أحد من الأمم السابقة وهذا بشهادة غيرهم من الأجناس والشعوب، بل وأكثر من ذلك فقد اقتبست كثير من الجماعات هذا الضرب الفريد من أضرب الكتابة التاريخية لما وجدوه من الدقة والصدق والوقوف على الحقيقة العلمية والتاريخية التي تفتقدها كثير من الكتابات عند كثير من الحضارات سواء السابقة لدولة صدر الإسلام أو المعاصرة لها. كما أنّه لم يتوقّف هذا النسق من الكتابة عند هذا الحد بل عمل العلماء من المؤرخين المحقّقين على توريثه لطبقات الأجيال اللاحقة مع الحفاظ على القواعد والضوابط التي أنشئوها بل وعمل المسلمون على تطويرها وزيادة التحري وهذا حسب العصر الذي عاشوا فيه سيما منه عصر تداعيات الفرق والمذاهب.

❖ الفصل الثالث: أصول وقواعد الكتابة
التاريخية عند أهل السنّة والجماعة.

❖ أولاً: التأصيل التاريخي لأهل السنّة والجماعة.

❖ ثانياً: صدق وعدالة أهل السنّة والجماعة في
الرواية.

❖ ثالثاً: علم السند ومكانته من علم التاريخ.



ما من مجتمع حضاري كان له ذكر وتاريخ واستمرار إلا وكان له نواميس وسنن كونية يسير عليها، وهذه القوانين استوحاها الداعون إليها من كلام الحكمة الذي صدر عن سادتنا الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، وأكثرهم حكمة وأوفرهم علما على الإطلاق نبي المسلمين وسيد العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فكان لزاما أن يكون مجتمع المسلمين المجتمع الأكثر ذكرا والأكثر تمسكا وعملا بالتعاليم التي جاء بها الصادق المصدوق صلوات رب وسلامه عليه، ولعلّ نظام الجماعة من الأنظمة الناجعة في الحفاظ على صيرورة وبقاء المجتمع لا من ناحية الديب على الأرض فحسب بل يتعداه إلى المحافظة على الأصول الصحيحة التي حملت إلينا العلم وأرخت للأحداث والوقائع من منظور لا يمكن لأي عاقل أن يجحده لسبب بسيط وهو ابتناؤه على تقديم الدليل وفق ما تقضيه الحجة والبرهان، ولا بدّ أن يكون نظام الجماعة متصفا بهذه الصفة فلا يمكن في العرف الإنساني أن تتواطأ مجموعة بشرية على الكذب وتستمر في ذلك قرونا من الزمان دون إظهار النقاد من العلماء والمؤرخين للتناقض بين الواقع والتدوين الناجم عن هذا التواطؤ، وعلم التاريخ كغيره من العلوم خاضع لهذه القاعدة التي سيعمل أهل السنة والجماعة على ترسيخها وديمومتها بين طلبة العلم ما دام الحدثان الليل والنهار.

أولاً: التأصيل التاريخي لأهل السنة والجماعة

1 _ التعريف اللغوي والاصطلاحي

عن أبي بكر بن العربي رحمه الله (ت 543هـ/1150م) قال: قال سيّدنا أبو عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه إنّي سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾¹ وثبت أن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «افتترقت اليهود والنصارى على إحدى وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة؛ قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»² وهو حديث افتراق الأمة وفيه: «الناجي منهم واحدة» قالوا: من هم؟ قال أهل «السنة والجماعة» الحديث أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وحسنه: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، فقالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي» ولأبي داود (ت 275هـ/888م) من حديث معاوية، وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك «وهي الجماعة» وأسانيدها جيداً³. وروى الإمام البخاري (ت 256هـ/870م) رحمه الله عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أنه قال: قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر

¹ - سورة النور، الآية: 63.

² - أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن مراجعة وتخريج وتعليق محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ج3، ص 432.

³ - أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تخريج إحياء علوم الدين، عناية أبو محمد أشرف عبد المقصود، ط1، مكتبة دار طبرية، الرياض، 1415هـ/1995م، ج1، ص- ص 884، 885.

فيهم السَّمَن»¹. قال أبو داود: حدثنا أحمد بن حنبل (ت 241هـ/855م) ومحمد بن يحيى بن فارس، قالوا: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، وحدثنا عمر بن عثمان، حدثنا بقية، حدثني صفوان، نحوه، قال: حدثني أزهر بن عبد الله الحرزبي، عن أبي عامر الهوزني عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، أنه قام فينا؛ فقال: قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثَنَيْنٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنْ هَذِهِ الْمِلَّةُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثَنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ» زاد أبي عمر ويحيى في حديثهما: «أَنَّهُ سَيُخْرِجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ² كَمَا يَتَّجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ» وقال عمرو: «الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»³.

وجاء في تعريف السُّنَّة لغة: وهي الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه من أهل الطريق المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السنن، وهو الطريق، ويقال للخط الأسود على متن الحمار: سُنَّة والسُنَّة: هي السيرة والطبيعة، وتمرّ بالمدينة المنورة، ومن الله حكمه، وأمره، ونهيه، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾⁴. الآية⁵.

¹ - الحديث: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 3650، ص 897.

² - الأهواء: أهل الأهواء، واحدها: هوى، والهواء: الجبان لأنه لا قلب له، فإنه فارغ. وفي التنزيل العزيز: "أَفَنَدْتَهُمْ هَوَاءً" يقال فيه إنه لا عقول لهم. أبو الهيثم: "وأفندتهم هواء" قال: كأنهم لا يعقلون من هول يوم القيامة. وقال الزجاج: "وأفندتهم هواء" أي منحرفة لا تعي شيئاً من الخوف، وقيل: نزعت أفندتهم من أجوافهم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج51، ص 4726.

³ - رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، حديث رقم: 4597، ج7، ص 6.

⁴ - سورة الكهف، الآية 55.

⁵ - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1207.

وروى الإمام مسلم (ت 261هـ/874م) في صحيحه بسنده عن سيدنا جرير بن عبد الله رضي الله عنه عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمَلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمَلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»¹، الحديث. يريد من عملها ليقتردي به فيها. قال نصيب²:

كَأَنِّي سَنَنْتُ الْحَبَّ أَوَّلَ عَاشِقٍ * * * مِنَ النَّاسِ إِذْ أَحْبَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي³.

وفي الاصطلاح: إذا أُطلقت في الشرع فائماً يراد بها ما أمر به سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، ونهى عنه، وندب إليه، قولاً وفعلًا مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة، أي القرآن الكريم والحديث الشريف⁴. والمراد بالسنة: أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريره، قوله صلى الله عليه وسلم حجة بلا نزاع، وأما فعله فإن كان قُرْبَةً ودَلَّ دليل على الاختصاص به؛ فظاهر، وإن لم يدل دليل عليه حُمِلَ على الوجوب في حقه صلى الله عليه وسلم، وفي حقنا احتياطاً، أو النَّدْبُ⁵، لأنه القدر

¹ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت 261هـ/874م، صحيح مسلم، نظر محمد الفريابي، ط 1، دار طيبة، الرياض، 1427هـ/2006م، باب العلم، حديث رقم: 1017، مج 1، ص ص: 1233 - 1234.

² - نصيب الأصغر: يعرف بأبي الحبناء، ولاء الرشيد بعض كور الشام، وكان اسود وكان الرشيد يقدمه على أكثر شعرائه. وكذلك الفضل بن يحيى، اعتبره الأصمعي من اشعر الناس في زمانه. وكان أبو الحبناء يجيد الغزل والمدح والهجو والوصف، وهو مخصوص لبني برمك، وكانوا يُجرون عليه ويعاشره. وكذا كانت عادة آل برمك فيمن يتصل بهم رحمهم الله. فما خلفوا بعدهم من شقّ غبارهم في الجود والكرم والبرّ والعطاء والإحسان، توفي رحمه الله بعد 190هـ/805م. ينظر: أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل العباسي البغدادي، طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، د. ط، دار المعارف، مصر، 1375هـ/1956م، ص 155.

³ - ابن منظور لسان العرب، مج 3، ج 24، ص 2124.

⁴ - نفسه، مج 3، ج 24، ص 2124.

⁵ - النَّدْبُ: المُنْدُوب: المُسْتَحَبُّ. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 137.

المتيقّن، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾¹، الآية. وتقريره على قول أو فعل وقع بحضرته صلى الله عليه وسلم، حجة لأنه معصوم من أن يُقرّر على منكر².
والسنة في اللغة: الطريقة، والسيرة، قال صاحب "المصباح المنير": "والسنة الطريقة، والسنة السيرة حميدة كانت أو ذميمة، لكنها عند الإطلاق تنصرف إلى الحميدة، وفي اصطلاح المحدثين هي: أقوال سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخلقية والخلقية، وزاد بعضهم: وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وأفعالهم: وعلى هذا فهي مرادفة للحديث في اصطلاحية السابقين. ويرى بعض العلماء أن الحديث خاص بقوله وفعله، والسنة تشمل الأقوال والأفعال والتقريرات والصفات، والسكنات والحركات في اليقظة والنام والهَمّ³، وعلى هذا فالسنة أعمّ من الحديث الشريف، وللسنة اصطلاحات أخرى: فهي عند الشرعيين تقابل البدعة، وعند الفقهاء تطلق على ما يقابل الفرض والواجب كقولهم سنة الصلاة كذا⁴.

وجاء في معنى الجماعة لغة: جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعا وجمعه، وأجمعه فاجتمع واجتمع، وهي مضارعة، وكذلك تجمع واستجمع والمجموع. والجمع: جمعه: جُموع، والجماعة والجميع والمجمع والمجمعه. وأمر جامع: يجمع الناس. وفي التنزيل: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾⁵ الآية. قال الزجاج: قال بعضهم كأن ذلك في

¹ - سورة الأحزاب، الآية: 21.

² - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، إتمام الدراية لقراء النفاية، ضبط وكتب حواشه: إبراهيم العجوز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ص 71.

³ - الهَمّ: تهَمّ الشيء: طلبه والهَمَام: الملك العظيم الهمة، والسيد الشجاع السخي. والهمة بالكسر وبفتحة: ما هم به من أمر يُفعل. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1171.

⁴ - محمد بن محمد أبو شهبه، الوسيط في مصطلح وعلوم الحديث، ط1، عالم المعرفة، لبنان، بيروت، 1403هـ/1983م، ص ص 16-17.

⁵ - سورة النور، الآية: 62.

الْجُمُعَةِ قَالَ: هُوَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا كَانُوا مَعَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يُحْتَاجُ إِلَى الْجَمَاعَةِ فِيهِ، نَحْوَ الْحَرْبِ وَشِبْهِهَا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى الْجَمْعِ فِيهِ، لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ¹.

وجاء معنى الجماعة في الاصطلاح: على خمسة أضرب أحدهما: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، وهم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم؛ فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية². والثاني: إنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمن خرج عما عليه جماعة علماء الأمة مات ميتة جاهلية، لأن الله جعلهم حجة على العالمين، وهم المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ لَنْ يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»³. الحديث، وذلك أن العامة عنها تأخذ دينها، وإليها تفرع في النوازل، وهي تَبَعٌ لَهَا، فمعنى قوله: "لن تجتمع أمتي على ضلالة": لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة، ولا يدخل فيهم أحد من المبتدعين، والثالث: أن الجماعة هي جماعة سادتنا الصحابة رضوان الله عليهم على الخصوص؛ فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً، وقد يمكن فيمن سواهم ذلك. والرابع: أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا اجتمعوا على أمر؛ فواجب على غيرهم من أهل الملل إتباعهم، وهم الذين ضَمَّنَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَلَّا يَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِنْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ فَوَاجِبُ تَعَرُّفِ الصَّوَابِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت 204هـ/819م): «الجماعة لا تكون فيها غفلة عن

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ج 9، ص ص 678-679.

² - الحديث: روى الإمام البخاري عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما عن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية». صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "سترون بعدي أموراً تتكرونها"، حديث رقم: 7054، ص 1748.

³ - الحديث: رواه ابن ماجه عن سيدنا أنس بن مالك قال: قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافًا، فعليكم بالسواد الأعظم». سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، حديث رقم: 3950، ص 1303.

معنى كتاب الله، ولا سنة، ولا قياس، وإنما تكون الغفلة في الفرقة». والخامس: ما اختاره الطبري الإمام (ت 310هـ/922م) من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه، ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم، لأن فراقهم لا يعدو إحدى خلتين¹، إما للتكثير عليهم في طاعة أميرهم، والطعن عليه في سيرته المرضية لغير موجب، بل لتأويل في إحداث بدعة في الدين².

2_ تسمية وظهور أهل السنة والجماعة

أما أهل السنة والجماعة، فإنهم سُموا بهذا الاسم "الجماعة" لالتزامهم بالجماعة، وهي جماعة أهل الإسلام، ونبذهم الفرقة والخلاف، وحكمهم بإسلام كل من قال: لا إله إلا الله ولم يخرج عنها بمكفر ظاهر. وشأن هذه الطائفة الاجتماع على كتاب الله عز وجل، وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونبذ الفرقة والخلاف، ولذلك كانوا بحمد الله هم سواد³، أهل الإسلام وعامة المسلمين، وأما غيرهم ففرق وشرادم⁴، وأهل ضلالات يظهر بعضها ويختفي بعضها على مدى العصور، وتنتشر ضلالتهم حيناً ثم تختفي وتبور أحياناً أخرى⁵.

قال الإمام الطبري اللالكائي (ت 418هـ/1027م) في كتابه: "شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة" بسنده عن الإمام الحسن البصري (ت 110هـ/728م) في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾⁶. الآية، قال: الكتاب: القرآن العظيم، والحكمة: السنة المشرفة، وعن قتادة (ت 110هـ/728م) قال في ذلك: السنة. وبسنده عن سيدنا سعيد بن

¹ - الخلة: الخصلة، وجمعها: خلال. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 994.

² - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي الشاطبي الغرناطي ت 790هـ/1388م، الإعتصام، د.ط، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1332هـ، ج2، ص ص 260-264.

³ - السواد: العدد الكثير، ومن الناس عامتهم. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 290.

⁴ - الشرذمة: الشرذمة بالكسر: القليل من الناس. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1126.

⁵ - محمد متولي الشعراوي، المرجع السابق، ص 19.

⁶ - سورة البقرة 129/آل عمران 164/الجمعة 2.

جُبَيْر¹ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾². الآية، قال: ثُمَّ استقام قال: لزوم السنة والجماعة³.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾⁴ الآية، فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة، وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة⁵.

ويسند الإمام اللالكائي عن سيدنا أبي موسى الأشعري عن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ فَقَبِلَتْ الْمَاءَ وَأَنْبَتَتِ الْكُلَّ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهَا أَجَادِبُ⁶ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَتَقَعَّ شَرِبَهَا النَّاسُ فَشَرَبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى هِيَ

¹ - سَيِّدُنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ابن هشام، الإمام الحافظ، المقرئ المفسر، الشهيد، أبو محمد، ويقال أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي أحد الأعلام. روى عن ابن عباس رضي الله عنهما فأكثر وجود، وعائشة، وأبي موسى، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن الزبير، وأنس، وأبي سعيد رضي الله عنهم. وروى عن التابعين مثل أبي عبد الرحمن السلمي. وكان من كبار العلماء حدث عنه، خلق كثير. عن أبي عمرو بن ميمون قال: مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه. قال سعيد: لأن أنشر علمي أحب إلي من أن أذهب به إلى قبري. وقال: علامة هلاك الناس إذا ذهب علماؤهم. وكان كثير البكاء بالليل. قال أشعب بن إسحاق: كان يقال: سعيد بن جبير جهبذ العلماء. كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لأهل الكوفة: تسألوني وفيكم ابن أم دهماء، يعني سعيد بن جبير. قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 95هـ/713م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص 321.

² - سورة طه، الآية: 82.

³ - أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تخريج وتعليق نشأت بن كمال المصري، مراجعة دار البصيرة، د.ط، دار البصيرة الإسكندرية، دار الآثار، صنعاء، 142هـ/2001م، مج1، ص ص71-72.

⁴ - سورة آل عمران، الآية: 106.

⁵ - اللالكائي، أهل السنة والجماعة، مج1، ص 73.

⁶ - الْجَدْبُ: أَجْدَبَ الْأَرْضُ، وَجَدَهَا جَدْبَةً، وَالْمَجْدَابُ: الْأَرْضُ الَّتِي لَا تَكَادُ تُخْصِبُ. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 66.

قِيَعَان¹ لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مَثَلٌ من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وَعَلِمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولا تَقَبَّلَ هدى الله الذي أُرْسِلْتُ به». الحديث: أخرجه البخاري ومسلم².

وروى عبد الله بن مسعود قال: "خَطَّ لَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطاً، ثم خطَّ خطوطاً يميناً وشمالاً، ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾³ الآية، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: "اتَّبِعُوا وَلَا تَتَّبِعُوا، فقد كُفَيْتُمْ"⁴.

فأخبر عليه الصلاة والسلام بما سيكون في أمته من هذه الأهواء التي افترقوا بسببها إلى تلك الفرق، وأنه يكون فيهم أقوام تُداخل الأهواء قلوبهم، حتى لا يمكن في العادة انفصالهم عنها ولا توبتهم منها، على حدِّ ما يداخل داء الكلب جسم صاحبه، فلا يبقى من ذلك الجسم جزء من أجزائه لا عرق ولا مفصل ولا غيرهما؛ إلا داخله ذلك الداء، وهو جريان لا يقبل العلاج ولا ينفع فيه دواء، فكَذَلِكَ صاحب الهوى؛ إذا دخل قلبه، وأُشْرِبَ حَبَّهُ، لا تعمل فيه الموعظة، ولا يقبل البرهان، ولا يكثرث بمن خالفه⁵.

قال الإمام الإسفرائيني (ت 418هـ/1027م) في كتابه "التبصير في الدين" في طريق تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة في العاقبة: "اعلم أن الذي يحقق لهم هذه الصفة أمور منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁶ الآية، والمحبة من الله تعالى في متابعة سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم سبب

¹ - القاع: أرض ملساء، لا نبات فيه. ينظر: تفسير الطبري، ج16، ص 163.

² - اللالكائي، أهل السنة والجماعة، مج1، ص 78.

³ - سورة الأنعام، الآية: 153.

⁴ - اللالكائي، أهل السنة والجماعة، مج1، ص 41.

⁵ - الشاطبي، الاعتصام، ج2، ص ص 267-268.

⁶ - سورة آل عمران، الآية: 31.

محبة الربّ للعبد، فكل من كانت متابعتها لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأتم كانت المحبة له من الله أكمل وأتمّ، وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم من هؤلاء، ولهذا سُمّوا أصحاب الحديث، وسمّوا بأهل السنة والجماعة، ومنها أنّ سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلّم لما سئل عن الفرقة الناجية قال: «ما أنا عليه وأصحابي»¹ الحديث. وهذه الصفة تقررت لأهل السنة لأنهم ينقلون الأخبار والآثار عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسادتنا الصحابة رضي الله عنهم، ولا يدخل في تلك الجملة من يطعن في الصحابة من الخوارج، والروافض، والقدرية، ومن ردّهم وطعن فيهم لا يكون متابعا لهم ولا ملابسا بسيرهم، ومنها ما جاء في رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلّم سئل عن الفرقة الناجية فقال: "الجماعة"، وهذه صفة مختصة بنا. لأن جميع الخاص والعام من أهل الفرق المختلفة يسمونهم أهل السنة والجماعة، وكيف يتناول هذا الاسم الخوارج وهم لا يرون الجماعة، والروافض وهم لا يرون الجماعة، والمعتزلة وهم لا يرون صحة الإجماع، وكيف تليق بهم هذه الصفة التي ذكرها سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم².

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾³ الآية. حبل الله: عهده، وقال أبو عبيد: الاعتصام بحبل الله، هو إتباع القرآن العظيم، وترك الفرقة، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾⁴ الآية. يعني: اتّبِعُوا القرآن الكريم،

¹ - تمّ تخريج الحديث. ينظر: ص 163.

² - أبو المظفر الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م، ص ص 185-186.

³ - سورة آل عمران، الآية: 103.

⁴ - سورة الزمر، الآية: 55.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾¹ الآية. قال الحسن البصري: تَدَبَّرُ آيَاتِهِ: إتباعه، والعمل بعلمه، ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده².

قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾. أي: تمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله، وقال ابن مسعود الاعتصام بحبل الله: الجماعة. وعن عبد الله بن عمر قال: حبل الله الجماعة³.

قال ابن عبد البر (ت 463هـ/1070م) في كتابه "التمهيد": عن عبد الله بن مسعود قال: عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما حبل الله الذي أمر به، وأن ما تكرهون في الجماعة، خير مما تحبون في الفرقة. قال ابن عبد البر: الجماعة على إمام يُسمع له ويُطاع، لأن الاختلاف والفرقة هلكة، والجماعة نجاة، قال ابن المبارك (ت 181هـ/787م) رحمه الله:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا *** منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يرفع الله بالسلطان مظلمة *** في ديننا رحمة منه ودينانا
لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل *** وكان أضعفنا نهبا لأقوانا⁴

وقوله تعالى: ﴿ج ج﴾ يعني في دينكم كما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم، عن ابن مسعود وغيره رضي الله عنه⁵. فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب

¹ - سورة ص، الآية: 29.

² - أبو محمد الحسن بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، شرح السنة، تحقيق، شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1403هـ/1983م، ج1، ص 189.

³ - تفسير الطبري، ج5، ص ص 643-644.

⁴ - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النُمري الأندلسي ت، التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد، تحقيق: مصطفى ابن أحمد العلوي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب من عام 1387هـ إلى عام 1412هـ، ج21، ص 272.

⁵ - محمد الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تفسير الطبري، ج5، ص 241.

والسنة اعتقاداً وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشّئات الذي يتمّ به مصالح الدنيا والدين والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين¹.

يقول الإمام البغدادي (ت 429هـ/1037م) في كتابه: "الفرق بين الفرق": اعلموا أسعدكم الله أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس: **الصنف الأول منهم**: أحاطوا علماً بأبواب التوحيد والنبوة، وأحكام الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وشروط الاجتهاد، والإمامة والزّعامه²، وتبرعوا من بدع أهل الأهواء الضالة. **والصنف الثاني منهم**: أئمة الفقه من فريق الرأي³ والحديث، المتبرعون من القدر والاعتزال وأحسنوا الثناء على السلف⁴ الصالح من الأئمة، ولم يخلطوا فقه أصول الدين⁵ بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة. **والصنف الثالث منهم**: هم الذين أحاطوا علماً بطرق الأخبار والسنن المأثورة عن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، وميّزوا بين الصحيح والسقيم منها، وعرفوا أسباب الجرح والتعديل، ولم يخلطوا علمهم

¹ - تفسير الطبري، ج5، ص 251.

² - الزّعامه: الزّعيم، الكفيل، وسيد القوم، ورئيسهم، أو المتكلم عنهم، والزّعامه: الشرف والرياسة. ينظر: القاموس المحيط، ص 1117.

³ - الرأي: تم تعريفه الصفحة من الرسالة:

⁴ - السلف الصالح: أفضل العصور الإسلامية وأولها بالافتداء والإتباع. وهي القرون الثلاثة الأولى من عمر هذه الأمة الإسلامية، أمّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال فيما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجي أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». الحديث. محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1408هـ/1988م، ص 9.

⁵ - فقه أصول الحديث: أو علم الكلام، يطلق عليه اسم الفقه بإطلاق، ثم اختص به علم الفقه الأكبر؛ كما أطلق عليه الإمام أبو حنيفة، ثم علم التوحيد والصفات؛ فعلم الكلام، وعلم النظر والاستدلال، وأصول الدين. ينظر: حسام الألوسي، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1400هـ/1980م، ص 61.

بذلك بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة. **والصنف الرابع منهم:** قوم أحاطوا علما بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف، وجروا على سمت أئمة أهل اللغة، الذين لم يخلطوا علمهم بذلك بشيء من بدع القدرية، أو الرافضة أو الخوارج، ومن مال منهم إلى شيء من الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة، ولا كان قوله حجة في اللغة والنحو. **والصنف الخامس منهم:** هم الذين أحاطوا علما بوجوه قراءات القرآن الكريم، وبوجوه تفسير آيات القرآن، وتأويلها على وفق مذاهب أهل السنة، دون تأويلات أهل الأهواء الضالة. **والصنف السادس منهم:** الزهاد الصوفية¹ الذين جرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث، دون من يشتري لهو الحديث. **والصنف السابع منهم:** قوم مرابطون في ثغور المسلمين في جوه الكفرة، يجاهدون أعداء المسلمين، ويظهرون في ثغورهم مذاهب أهل السنة والجماعة، وهم الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾² الآية. **والصنف الثامن منهم:** عامة البلدان التي غلب فيها شعار أهل السنة دون عامة البقاع التي ظهر فيها شعار أهل الأهواء الضالة. فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة ومجموعهم، أصحاب الدين القويم، والصراط المستقيم، ثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه بالإجابة جدير وعليها قدير³.

¹ - **الصوفية:** هم صفوة الله من الأولياء، والمفضلين على الكافة من العباد بعد سادتنا الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، جعل الله قلوبهم معادن أسرارهم، واختصهم من بين الأمة بطوابع أنوارهم. وكان الناس بعد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم يُسمَوْنَ بالصحابية رضوان الله عليهم، إذ لا فضيلة فوقها، ثم من أدرك الصحابة يسمون التابعين، ثم أتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فسمي خواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين، الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق. فانفرد خواص أهل السنة، المراعون أنفسهم مع الله، الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهم قبل المئتين من الهجرة. ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ج1، ص 15./جعفر الأدفوي، معرفة التصوف والصوفي، ص- ص 38-39.

² - سورة العنكبوت، الآية: 69.

³ - البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ص 272-274.

3_ الرّعيّل الأوّل من أهل السّنة والجماعة

إن معرفة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين علم كبير قد ألّف الناس فيه كتباً كثيرة. قال البخاري رحمه الله في صحيحه: "من صحب سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه". قال أبو المظفر السمعاني المروزي (ت 489هـ/1095م) أنه قال: "أصحاب الحديث يُطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً أو كلمة، ويتوسّعون حتى يَعدّون من رآه رؤية من الصحابة وهذا لشرف منزلة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأعطوا كل من رآه حكم الصُحبة"¹.

ومن الآيات الواردة في فضل سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم وعلى التابعين قول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾² الآية. وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾³ الآية. وجاء في فضل الصحابة رضوان الله عليهم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾⁴ الآية. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾⁵ الآية. وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾⁶ الآية. وقال أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ

¹ - ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ص 291-292.

² - سورة الأنبياء، الآية: 107.

³ - سورة البقرة، الآية: 151-152.

⁴ - سورة التوبة، الآية: 117-118.

⁵ - سورة الفتح، الآية: 18-19.

⁶ - سورة التوبة، الآية: 100.

يُضِلِّلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢﴾ الآية. وجاء أيضا وصف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم في الكتب السابقة للقرآن الكريم: أخرج أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن عطاء بن يسار (ت 103هـ/721م) قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، فقال: أجل، "والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً، ومبشراً، ونذيراً وحزناً للأُمِّيِّين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظاً ولا غليظاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، يفتح به أعينا غُميا وآذانا صمًا، وقلوبا غُلُفا» وأخرجه البخاري رحمه الله³.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾⁴ الآية. قال الثوري (ت 161هـ/777م) والسدي (ت 127هـ/744م): هم أصحاب سيدنا رسول الله صلى

¹ - سورة الزمر، الآية: 23.

² - سورة الأحزاب، الآية: 23-24.

³ - أحمد بن محمد بن حنبل، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، تحقيق وحي الله بن محمد عباس، ط1، دار العلم، جدة، 1403هـ/1983م، ج1، ص ص 13-14. /محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة رضي الله عنهم، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م، ج1، ص ص 40-45.

⁴ - سورة النمل، الآية: 59.

الله عليه وسلم، رضي الله عنهم أجمعين. وروي نحوه عن ابن عباس: قال: هم أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاهم الله لنبيّه، رضي الله عنهم¹.

وبعض منتحلي الآثار، ومُتَّبِعِي الروايات والأخبار، أَحَبَّ الوقوف على معرفة صفوة الصحابة، والمشهورين مِمَّنْ حَوَتْ أساميهم وأذكّارهم ديوان² الرواة والمحدثين، وأسنانهم، ووفاتهم، تاريخ الحفاظ المتقنين ممن ثبتت له عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية أو صحّت له صحبه وولاية، ثم يكون من معرفتهم على بصيرة، وفي الإلتباع لهم على وثيقة. فالناقلون للهدى الصحابة المرضيين، المأمورين بالتبليغ عند من شاهدوه من المتّبعين، فهم السابقون إلى الإيمان، المستحبّون للتحقيق والإحسان، فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾³ الآية. وحقّ للعبد بعد معرفة الله تعالى وتوحيده، ومعرفة شرع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيحفظ كتاب الله، ويحفظ شرع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعرف مراتب الصحابة رضوان الله عليهم من السابقة والهجرة والمؤازرة والنصرة من رضي سَمَتُهُمْ⁴ واعتقد عقدهم من الانقياد لله

¹ - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط1، 1418هـ/ 1998م، ط2، 1420هـ/ 1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ج3، النور - يس، ص 201

² - الديوان: مُجْتَمَعُ الصُّحَف، والكتاب يُكْتَب فيه أهل الجيش وأهل العطية، وأول من وضعه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، الجمع: دواوين ودياوين. وقد دَوَّنَه. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1197.

³ - سورة التوبة، الآية: 100.

⁴ - السَمَتُ: الطريق، وهياة أهل الخير، والسير على الطريق بالظنّ، وحُسْن النَّحْو، وقصد الشيء. سَمَتَ لهم يَسْمَتُ: هيأ لهم وجه الكلام والرأي. والتسميت: ذكر الله تعالى على الشيء، والدعاء للعاطس، ولزوم السمّت. والسمت: السكنية والوقار. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 154. /المعجم الوسيط، مجمّع اللّغة العربية، إشراف شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، ط4، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 1425هـ/2004م، ص 447.

تعالى فيما استعبدتهم، والاستسلام لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما شرع لهم، فتركوا المعارضة والمعاندة، ولزموا الموافقة والمتابعة، عادلين عمّا يَعْرضُ في النفوس من الآراء، تاركين لما تميل إليه القلوب من الأهواء، فنالوا بذلك المنازل الرفيعة، واستفتحوا المناقب الشريفة، وسلّموا من المعاييب الفضيحة¹.

وقال بعض القوم لسيّدنا الحسن البصري: أخبرنا صفة أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكى وقال: "ظهرت منهم علامات الخير في السماء والسّمات والهدى والصدق، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيّب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستفادتهم للحقّ فيما أحبّوا وكرهوا، وإعطائهم الحقّ من أنفسهم، ظمئت هواجرهم، ونحلت أجسامهم، واستخفّوا بسخّط المخلوقين رضى الخالق، لم يفرطوا شغلوا الألسن بالذكر، ظلوا دمائهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعه خوفهم في؛ المخلوقين، حسّنت أخلاقهم، وهانت مؤنّتهم، وكفاهم اليُسْر من دنياهم إلى آخرتهم"².

يقول الإمام ابن حجر في كتابه: "الإصابة في تمييز الصحابة رضى الله عنهم"، وفي تعريف الصحابي وأصحّ ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: من لقي سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به، ومات على الإسلام، فیدخل فیمن لقیه من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أم لم يرو، ومن غزا معه أم لم یغز، ومن رآه رؤية ولم یجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقید الإیمان من لقیه كافرا ولو اسلم بعد ذلك إذا لم

¹ - أبو نعيم أحمد بن عبد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني، معرفة الصحابة رضى الله عنهم، تحقيق عادل بن يوسف العزّازي، د.ط، دار الوطن للنشر، الرياض، 1405هـ، ج1، ص ص 5-6.

² - أبو نعيم، الحلية، ج2، ص 131.

يجتمع به مرة أخرى. ويدخل في قولنا به كل مكلف من الجن والإنس، وحتى الملائكة عليهم السلام¹ على أقوال².

وقيل لأبي زُرْعَةَ: أليس يقال: "حديث سيّدنا النّبيّ صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف حديث. قال: ومن قال ذا قلّلَ الله أنيابه، هذا قول الزنادقة، ومن يُحصي حديث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قُبِضَ سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة رضي الله عنهم ممن روى عنه وسمع منه، وفي رواية ممن رآه وسمع منه". ف قيل له: يا أبا زرعة هؤلاء أين كانوا وأين سمعوا منه؟ قال: "أهل المدينة، وأهل مكة وما بينهما، والأعراب، ومن شهد معه حجة الوداع، كلُّ رآه وسمع منه بعرفة". واختلف في عدد طبقاتهم وأصنافهم، والنظر في ذلك إلى السبق بالإسلام والهجرة وشهود المشاهد الفاضلة مع سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بآبائنا وأمّهاتنا وأنفسنا هو صلى الله عليه وسلم³.

¹ - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج11، ص 7.

² - ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة رضي الله عنهم، ج1، ص 158.

³ - ابن الصلاح، علوم الحديث الشريف، ص 298.

ثانيا: صدق وعدالة أهل السنة والجماعة في الرواية

1_ عدالة صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم

وعن عدالة الصحابة: **العدالة**: مصدر من **عَدَلَ** يَعْدِلُ فهو **عَدْلٌ**. **والعدْلُ**: لغة: هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، والعدل من الناس: **المرضي** قوله وحكمه، ورجل عدل: رضي ومُفَنِّع في الشهادة. وفي هذا المعنى نفسه استعملت كلمة العدل في كتاب الله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾¹ الآية. قال الطبري في تفسيره: "وهما اللذان يرضى دينهما وأمانتهما"²، وقال تعالى: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾³ الآية. يعني: من العدول المرتضى دينهم وصلاحهم⁴.

والعدل في اصطلاح المحدثين: "أن يكون الراوي مسلماً بالغاً سليماً من أسباب الفسق وخوارم⁵ المروءة"⁶. وسئل ابن المبارك عن العدل فقال: "من كان فيه خمس خصال: يشهد بالجماعة، ولا يشرب هذا الشراب، ولا تكون في دينه خربة⁷، ولا يكذب، ولا يكن في عقله شيء"⁸.

¹ - سورة الطلاق، الآية: 02.

² - الطبري، تفسير القرآن الكريم، ج23، ص 22.

³ - سورة البقرة، الآية: 282.

⁴ - الطبري، تفسير القرآن الكريم، ج5، ص87.

⁵ - **خوارم**: الخرم: وما حُرِّمَتْ منه شيئاً، أي ما نَقَصَتْ وما قَطَعَتْه. وفي الحديث: يريد أن يُنْخَرِمَ ذلك القرن، القرن: أهل كل زمان. وانْخِرَامُهُ: ذهابُهُ، وانْقِصَاؤُهُ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج46، ص 1145.

⁶ - **المروءة**: كمال الرجولية. **والمروءة**: الإنسانية. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج46، ص 4166.

⁷ - **خَرَبَةٌ**: الخراب ضد العمران، **وَالْخَرَبَةُ**: العَيْب. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 78.

⁸ - أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ص 12-13.

وللصحابية رضوان الله عليهم خِصِيصة وهي أنه لا يُسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدّلين بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع من يُعتمد به في الإجماع من الأمة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾¹ الآية. اتفق المفسّرون على أنه وارد في أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي نصوص السنة الشاهدة بذلك كثرة، منها حديث أبي سعيد رضي الله عنه المتفق عليه صحّته² أن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسبّوا أصحابي فوا الذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»؛ ثم إنّ الأمة مُجمعة على تعديل جميع الصحابة إحساناً للظنّ بهم؛ ونظراً لما تمهّد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نَقْلَةُ الشريعة، والله أعلم³.

ومن السنة النبويّة الشريفة في الدليل على عدالة سادتنا الصحابة رضوان الله عليهم، قول سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبّوا أصحابي، فوا لذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه» الحديث⁴. وقال سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم: «النّجوم أمانةُ السماء فإذا ذهبت النّجوم أتى السماء ما تُوعَد، وأنا أمانةُ لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانةُ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»⁵ الحديث¹.

¹ - سورة آل عمران، الآية: 110.

² - الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل أصحاب سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم، باب: فضل أبي بكر رضي الله عنه بعد سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: 3674، ص 903.

³ - ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ص 294-295.

⁴ - الحديث: متفق على صحته، أخرجه ابن الصلاح في مقدمته في علم الحديث، عن أبي سعيد رضي الله عنه، ص ص 294-295.

⁵ - الحديث: أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث سيّدنا أبي موسى الأشعري، باب فضل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ذكر بيان أنّ الله جلّ وعلا جعل صفيّة صلى الله عليه وسلم أمانةً لأصحابه=

وعن الإمام الآجري (ت 360هـ/970م) بسنده في كتابه "الشریعة" عن سيّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "...فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيّئا فهو عند الله سيّء"².

وكل صحابي عدلٌ إمام فاضل رضيّ فرض علينا توفيرهم وتعظيمهم، وأن نستغفر لهم ونحبّهم، وتمرّة يتصدق بها أحدهم أفضل من صدقة أحدا دهره كلّه، وسواء كان من ذكرنا على عهده عليه السلام صغيرا أو بالغا فقد كان النّعمان بن بشير وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين، أبناء سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين من أبناء العشرة وأقلّ إذ مات سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم³.

ولقد وقع بين ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم جميعا مخالقات عظيمة وحروب هائلة، ومع ذلك فلم يُكفّر بعضهم بعضا، ولا حكم عليه بالتّفاق؛ لما جرى بينهم في ذلك. وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام، فإما أن يكون كلّهم مُصيبا فيما ظهر له، أو المصيب واحد، والمخطئ معذور، بل مخاطب بالعمل على ما يراه ويظنّه، مأجور، فمن وقع له بغض في واحد منهم لشيء من ذلك فهو عاصٍ يجب عليه التوبة من ذلك، ومجاهدة نفسه في زوال ما وقع له من ذلك؛ بأن يذكر فضائلهم وسوابقهم ومالهم على كل من بعدهم من الحقوق الدينية والدنيوية، إذ لم يصل أحد ممن بعدهم بشيء من الدنيا ولا

=وأصحابه أمانة أمّته. ينظر: الأمير علاء الدّين عليّ بن بلّبان الفارسيّ، الإحسان في تقریب صحيح ابن حبان، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ/1991م، حديث رقم: 7249، ج16، ص234.

¹ - أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة رضي الله عنهم، ج1، ص15.

² - الآجري، كتاب الشريعة، رقم 1146، ص1676/مسند الإمام أحمد، رقم 3600، ج6، ص84.

³ - أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج1، ص10.

الدِّينَ إِلَّا بِهِمْ، وبسببهم وأدبهم وصلت لنا كل النِّعم، واندفعت عنا الجهالات والنِّقم، ومن حصلت به مصالح الدنيا والآخرة فبغضه كفران للنِّعم، وصفقته خاسرة¹.

قال الإمام الطبري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾² الآية. عن قتادة قوله: أصحاب سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم³.
وقال سعيد بن زيد⁴ رضي الله عنه بمسجد الكوفة والمغيرة بن شعبة⁵ جالس:

¹ - أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ت 656هـ/1258م، المُفْهِمُ لِمَا أَشْكَلَ من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محيي الدين ديب متو وآخرون، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، 1417هـ/1996م، ج1، ص ص 265 - 266.

² - سورة سبأ، الآية: 06.

³ - تفسير الطبري، ج19، ص 214.

⁴ - سيّدنا سعيد بن زيد رضي الله عنه: ابن عمرو بن نفيل من بني كعب بن لؤي، يكنى أبا الأعور، وأمّه فاطمة الخزاعية، وكان أبوه زيد رحمه الله وغفر له على دين سيّدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، أسلم سعيد بن زيد قبل أن يدخل سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها. لم يشهد وطلحة رضي الله عنهما بدرًا لتحسبهما خبر عير قريش، وضرب لهما سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنّهما في بدر، فكانا كمن شهدا، وشهد سعيدا أحدا والخندق والمشاهد كلها مع سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم. توفي سنة 50 أو 51هـ/670 أو 671م. ينظر: طبقات ابن سعد، ج3، ص 352.

⁵ - سيّدنا المغيرة بن شعبة: بن أبي عامر بن مسعود من بني ثقيف، يكنى أبا عبد الله. روى عنه من الصحابة: أبو أمامة الباهلي، والمسور بن مخرمة وفُرّة المُرَني، ومن التابعين بنوه الثلاثة: حمزة وعروة وعقار، ووراد كاتب المغيرة، والشعبي وخلق، روى له الجماعة، اسلم عام الخندق، وقدم مهاجرا، وقيل إن أول مشاهدته الحديبية وله في خبر صلحها، ولي البصرة والكوفة. ولم يشهد صفين لانعزاله عن الفتنة. وكان من دهاة الناس رضي الله عنه، توفي سنة 49 أو 50هـ/669 أو 670م. ينظر: تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد السيّد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م، ج7، ص 255.

"لَمَوْقِفُ أَحَدِهِمْ مَعَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْبِرُ فِيهِ وَجْهَهُ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ وَلَوْ عَمَرَ عُمُرَ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ"¹.

قال أبو بكر الباقلاني رحمه الله (ت 402هـ/1011م): الأصل في اشتقاق اسم الصحابة يوجب في حكم اللغة إجراء هذا الاسم على من صحب سَيِّدَنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عُرْفِ² الْأُمَّةِ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ إِلَّا فِيمَنْ كَثُرَتْ صَحْبَتُهُ وَاتَّصَلَ لِقَاؤُهُ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ خَيْرَ الثَّقَةِ الْأَمِينِ عَنْهُ مَقْبُولٌ وَمَعْمُولٌ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَطُلْ صَحْبَتُهُ وَلَا سَمِعَ مِنْهُ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا³.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله ما نقله بن أبي يعلى في كتابه "طبقات الحنابلة" عن أحمد الشنجي بإسناده: وَمَنْ تَنَقَّصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَبْغَضَهُ لِحَدَثٍ كَانَ مِنْهُ، أَوْ ذَكَرَ مَسَاوِيَهُ: كَانَ مُبْتَدِعًا، خَارِجًا عَنِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَيَكُونُ قَلْبُهُ لَهُمْ بِأَجْمَعِهِمْ سَلِيمًا⁴. قال أبو داود الطيالسي: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ طَهْمَانَ الرَّقَاشِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ (ت 110هـ/728م) قَالَ: كَانَ مَعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا حَدَّثَ عَنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُتَّهِمْ⁵.

قال أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ/1038م) في كتابه "تثبيت الإمامة": "إِلَّا أَنْ الْأَوَّلَى أَنْ نَذَكَرَ فِي أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا نَسَبَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْقَدْرِ الْعَظِيمِ وَالسَّوَابِقِ الْقَدِيمَةِ وَالْمَنَاقِبِ، وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، وَالْمَحَاسِنِ الْمَشْهُورَةِ الْمَذْكُورَةِ. فَالْوَاجِبُ

¹ - أبو نعيم الأصفهاني، معرفة الصحابة، ج1، ص 20.

² - العُرْفُ: العُرْفُ والعَارِفَةُ والمَعْرُوفُ واحد: ضد النُّكْرِ. وهو كل ما تعرفه النفس من الخير، وتَبَسَّأَ بِهِ، وَتَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج4، ج33، ص 2899.

³ - أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ص 10. / الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص 51.

⁴ - أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، تصحيح محمد حامد الفقي، د.ط، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، د.ت، ج1، ص 311.

⁵ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 437.

على المسلمين في أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إظهار ما مدحهم الله تعالى به وشكرهم عليه من جميل أفعالهم وجميل سوابقهم، وأن يَغُضُّوا عَمَّا كان منهم في حال الغضب والإغفال وقَرَطَ منهم عند استئلال الشيطان إياهم، ونأخذ في ذكرهم بما أخبر الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾¹ الآية. فإن الهفوة والزّلل والغضب والحِدّة، والإفراط لا يخلوا منه أحد، وهو لهم غفور، ولا يوجب ذلك البراءة منهم ولا العداوة لهم، ولكن يُحِبُّ على السابقة الحميدة، ويتولى للمنقبة² الشريفة. ونبيّنا صلى الله عليه وسلم سيّد الأولين والآخرين يقول: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾³ الآية. فلا يتّبع هفوات أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب إلا مفتون القلب في دينه⁴.

وقال الإمام أبو محمد بن أبي زيد القيرواني الملقّب بمالك الصغير (ت 386هـ/996م) في فضل الصحابة رضي الله عنهم ومَن بعدهم من السلف، وأن خير القرون القرن الذين رأوا سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديّون أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله عنهم أجمعين. وأن لا يذكر أحد من صحابة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا

¹ - سورة الحشر، الآية: 10.

² - **المنقبة**: النقيّة: يُمنُّ الفعل، ابن بزرج: مالهم نقيّة: أي نفاذ رأي. ورجل مَيّون النقيّة: مبارك النفس، مُظَفَّرٌ بما يحاول. والمنقبة كرم الفعل: يقال: إنه لكرم المناقب من التّجّدات وغيرها والمنقبة ضدّ المثلبة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج50، ص 4514.

³ - سورة الكهف، الآية: 110.

⁴ - أبو نعيم أحمد بن عبد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني، تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، تحقيق وتعليق وتخريج علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1407هـ/1987م، ص ص 337-343.

بأحسن ذكر، والإمساك عما شَجَرَ بينهم وأنَّهم أحقَّ الناس أن يُلتَمَسَ لهم أحسن المخرج، ويُظَنَّ بهم أحسن المذاهب¹.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله (ت 321هـ/933م) في عقيدته: ونحبُّ أصحاب سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حبِّ أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغيضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا تذكرهم إلا بخير، وحُبُّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان² فمن سبَّهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم، ولا يبسط لسانه فيهم، إلا من سوء طَوْبَتِهِ³ في سيِّدنا النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والإسلام والمسلمين⁴.

قال الواقدي: "ورأينا أهل العلم يقولون: من رأى سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أدرك الحُلُم فأسلم، وعَقَلَ أمر الدين ورضيه، فهو عندنا ممن صحب سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ساعة من نهار، ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدّمهم في الإسلام". وقال الإمام أحمد بن حنبل: "أصحاب سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من صحبه شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه". وقال محمد بن إسماعيل البخاري: "من صحب سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه". وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله (ت 505هـ/1111م): لا يُطلق اسم الصُّحبة إلا على من صحبه،

¹ - أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيرواني لأحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، د.ط، دار الفضيلة، القاهرة، 2005م، ص ص 21-22.

² - أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الأزدي الحنفي المصري، العقيدة الطحاوية بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1416هـ/1995م، ص 29.

³ - الطَّوْيَةُ: الضمير. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج4، ج30، ص 2730.

⁴ - أبو نعيم الأصبهاني، تثبيت الإمامة، ص 375.

ثم يكفي في الاسم من حيث الوضْعُ الصحبة ولو ساعة، ولكن العرف يخصّصه بمن كثرت صحبته¹.

قال الإمام مالك رضي الله عنه (ت 179هـ/795م): من يبغض أحدا من أصحاب سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم وكان في قلبه عليهم غلّ، فليس له حقّ في فيء المسلمين،

ثم قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾² الآية. وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إلى قوله ﴿لِيَغِظَ بِهِمُ

الْكُفَّارَ﴾³ الآية. ثم قال: من أصبح من الناس في قلبه غلّ على أحد من أصحاب سيّدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أصابته الآية. وقال سفيان الثوري رحمه الله (ت

161هـ/777م): من قدّم عليّا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، فقد أزرى بالمهاجرين

والأنصار، وأخشى أن لا ينفعه عمل مع ذلك⁴، وقال أيضا فيما ذكره ابن حجر رحمه الله (ت

856هـ/1452م) عن الخطيب البغدادي بسنده الصحيح إليه: من قدّم عليّا على عثمان فقد

أزرى على اثني عشر ألفا مات سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ. قال

الإمام النووي رحمه الله (ت 676هـ/1277م) مُعلّقًا: وذلك بعد سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم

¹ - ابن الأثير، معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ج1، ص120.

² - سورة الحشر، الآية: 7-10.

³ - سورة الفتح، الآية: 29.

⁴ - أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1403هـ/1983م، ج1، ص 229.

بأثني عشر عاماً، بعد موت الكثير من الصحابة رضي الله عنهم، وغير ذلك من لا يُحصى كثرة¹.

واتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة رضي الله عنهم عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، وقد عدّ لهم الله تعالى وسيّداً رسول الله صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها؛ على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد، ونصرة الإسلام، وبذل المَهَج²، والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، والقطع على تعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والمُعَدّلين الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبد. هذا مذهب كافة العلماء، ومن يُعتمد قوله³.

وذكر الإمام الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي زُرْعَةَ الرازي⁴، قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقّ، والقرآن حقّ، وما جاء به حقّ، وإنما أدى إلينا

¹ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة رضي الله عنهم، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، تقديم وتقريض محمّد عبد المنعم البرّ وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م، ج1، ص 155.

² - المَهَج: الدم، أو دم القلب، والروح. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 206.

³ - البغدادي، الكفاية، ص 49. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة رضي الله عنهم، ج1، ص 162.

⁴ - أبو زُرْعَةَ الرازي: عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي المخزومي، أحد الأئمة الأعلام، وحفاظ الإسلام، روى عن أبي نعيم، وقبيصة، وخلاّد بن يحيى، ومسلم بن إبراهيم، والقعنبي، والطبقة. وعنه: مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجّة، وأبو عَوّانة، وخلق. قال إسحاق بن راهوية: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي ليس له أصل، مات بالريّ سنة 164هـ/780م. قال الذهبي الإمام سيّد الحفاظ: محدّث الري، سمع من أحمد بن حنبل، ومحمّد بن حمدون النيسابوري، وخلق كثير. كان يحفظ مائتي ألف حديث وفي الذاكرة ثلاث مئة ألف حديث شريف. قال ابن أبي شيبة، ما رأيت أحفظ من أبي زرعة. ينظر: السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 253-254. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص 65.

ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة¹.

روى الحافظ أبو القاسم ابن عساكر بإسناده عن أبي الحسن علي بن محمد القابسي² قال سمعت أبا علي الحسن بن أبي هلال يقول: سئل النسائي رحمه الله (ت 303هـ/915م) عن سيدنا معاوية صاحب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: إنما الإسلام كدار لها باب فباب الإسلام الصحابة فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار قال: فمن أراد معاوية رضي الله عنه فإنما أراد الصحابة رضي الله عنهم³. فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم، ورعى حقهم وعرف فضلهم فاز في الفائزين، ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض، والخوارج لعنهم الله، فقد هلك في الهالكين، قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فمن سبهم فعليه لعنة الله» الحديث. وقال:

¹ - الخطيب البغدادي، الكفاية، ص 49./ ابن حجر، الإصابة، ج 1، ص ص 162-163.

² - أبو الحسن القابسي: علي بن محمد بن خلف المعافري: المعروف بأبي الحسن القابسي، الفقيه النظائر الأصولي المتكلم، الإمام في علم الحديث وفنونه وأسانيده، كان عليه الاعتماد، مؤلفاً مجيداً، ثقة صالحاً، وكان أعمى لا يرى شيئاً وهو مع ذلك من اصح الناس كتباً، سمع بمكة المكرمة من المروزي، والأصيلي وبإفريقية من الأبياني والحجام، وابن مسرور، ودراس بن إسماعيل، والقابسي أول من أدخل رواية البخاري إفريقية، تفقه عليه أبو عمران الفاسي، والداني، والطار، وحاتم الطرابلسي، وله الممهد في الفقه، وأحكام الديانة والمنقذ من تشبيه التأويل، وأحوال المتقين، والرد على البكرية، وفي التوحيد، وملخص الموطأ وغيرها، ومراتب العلم، وحسن الظن بالله. ينظر: مخلوف، شجرة النور، طبعة دار الكتب، ج 1، ص 145.

³ - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، بغية الراغب المتمني في ختم النسائي، تحقيق عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العبد اللطيف، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1414هـ/1993م، ص 129./ يوسف المزي، تهذيب الكمال، ج 1، ص ص 339-340.

«من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن سبهم فعليه لعنة الله». ¹ الحديث ².

قال الإمام ابن كثير رحمه الله (ت 774هـ/1372م) في "الباعث الحثيث": والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، وقول المعتزلة الصحابة عدول إلا من قاتل علياً قول باطل مردود ³، ومردود. وأما طوائف الروافض وجهلهم وقلة عقلهم ودعائهم أن الصحابة كفروا - والعياذ بالله - إلا سبعة عشر صحابياً، وسمّوهم فهو من الهذيان ⁴، بلا دليل إلا مجرد الرأي الفاسد عن ذهن بارد وهوى متبع، وهو أقل من أن يُردّ والبرهان على خلافه أظهر ⁵.

2_ عدالة آل بيت سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم

ويرى أهل السنة والجماعة الكفّ عما شجرَ بين أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمّن عيباً لهم، ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم، والموالاتة لكافتهم، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهنّ، والدعاء لهنّ، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهنّ أمّهات المؤمنين ⁶.

¹ - رواه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم: 7015، ص ص 114-115. ينظر الصفحة 198.

² - أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، دراسة وتحقيق ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، ط2، دار العاصمة، الرياض، 1419هـ/1998م، ص ص 293-294.

³ - المردول: الرّذُل والرّذال والرّذيل والأزْدَل: الدُّونُ الخسيس، أو الرديء من كل شيء. ينظر: الفيروز ببادي، القاموس المحيط، ص 1005.

⁴ - الهذيان: هذى. الهذيان: كلام غير معقول مثل كلام المُبرَسَم المعتوه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج51، ص 4645.

⁵ - الصابوني، عقيدة السلف، ص 294.

⁶ - عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، دراسة أحمد محمد شاكر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ص 174-185.

قال المولى عز وجل: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾¹ الآية، وقوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: قال الإمام الطبري بسنده عن سيدنا قتادة رحمه الله (ت 118هـ/736م) في تأويل هذه الآية قوله: وحُرْمَةُ أزواجه حُرْمَةُ أُمَّهَاتِهِمْ عليهم، في أنهنَّ يَحْرُمُ عليهم نكاحهنَّ من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، كما يحرم عليهم نكاح أُمَّهَاتِهِمْ. وقال أيضا: يعظم بذلك حقهنَّ. وقال ابن زيد: مُحَرَّمَاتٌ عليهم². قال ابن عطية في تفسيره: وشَرَّفَ تعالى أزواج سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن جعلنَّ أُمَّهَاتٍ للمؤمنين في حرمة النكاح والمبرَّة، وَحَبَّبَهُنَّ رضي الله عنهن بخلاف الأُمَّهَات. قال مسروق رحمه الله (ت 62هـ/682م): قالت امرأة للسيدة عائشة رضي الله عنها: يا أُمَّةُ؛ فقالت: "لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم"³.

يقول تعالى ذكره لأزواج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾⁴ الآية: من نساء هذه الأمة⁵.

قال الإمام الثعالبي في "تفسيره" خاطبهنَّ الله سبحانه بأنهنَّ لَسْنَ كَأَحَدٍ من نساء عصرهنَّ، فما بعد، بل هنَّ أفضل بشرط التقوى⁶. قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾: يعني في الفضل والشرف، وقال ﴿كَأَحَدٍ﴾ ولم يقل كواحدة؛ لأن أحدا نفى من المذكر والمؤنث؛ ثم قال: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ أي: خِفْتُنَّ الله،

¹ - سورة الأحزاب، الآية: 06.

² - تفسير الطبري، ج 19، ص 16.

³ - تفسير ابن عطية، ص 1501.

⁴ - سورة الأحزاب، الآية: 33.

⁵ - تفسير الطبري، ج 19، ص 94.

⁶ - أبو زيد بن عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي، الجواهر الحسان في تفسير آي القرآن، تحقيق وتعليق وتخريج علي محمد وعوض وعادل أحمد عبد الموجود، وشارك في التحقيق عبد الفتاح أبو سنة، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ/1997م، ج 4، ص 345.

فبيّن أن الفضيلة إنما تتم لهنّ بشرط التقوي؛ لما منح الله من صحبة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعظيم المَحَلّ منه، ونزول القرآن العظيم في حقهنّ¹.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾² الآية. يقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم السّوء³ والفحشاء⁴ يا أهل سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم ويطهركم من الدّنس⁵ الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا، قال قتادة: فهُم أهل بيت طهرهم الله من السّوء، وخصّهم برحمة منه. قال ابن زيد: الرّجس هاهنا الشيطان، وسوى ذلك من الرّجس الشّر⁶.

قال ابن عرّفة: الطّهارة عبارة عن التطهير الحسيّ في البدن أو غيره من نجس أو غيره، وإطلاقها على التنظيف المعنوي من الآثام والذنوب مجازا⁷. وأهل البيت أزواجه وبنيه صلى الله عليه وسلم السيّدّة فاطمة وبنوها وزوجها عليّ رضي الله عنهم وأرضاهم⁸.

¹ - تفسير القرطبي، ج17، ص ص 137-138.

² - سورة الأحزاب، الآية: 33.

³ - السّوء: فَعَل به ما يكره فاستاء هو. أي ساءه. والسوء كل آفة، والضّرر. والسوء بالفتح: قول قبيح، والهزيمة، والشّر، والرّدَى والفساد. ينظر: القاموس المحيط، ص 43.

⁴ - الفَحشاء: الفاحشة: الزنا، وما يشتدّ قُبْحه من الذنوب، وكل ما نهى الله عز وجل عنه. والفحشاء: البخل في أداء الزكاة، والفاحش: البخيل جدا. ينظر: القاموس المحيط، ص 600.

⁵ - الدّنس: الوَسْخُ، دَنَس الثوب والعرض. ودَنَس ثوبه وعرضه تدنيسا. فعل به ما يَشِينُهُ. القاموس المحيط، ص 546.

⁶ - تفسير الطبري، ج9، ص 101.

⁷ - تفسير ابن عرّفة، ج3، ص 296.

⁸ - تفسير الثعالبي، ج4، ص 346.

﴿الرَّجَسَ﴾ اسم يقع على الإثم والعذاب وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت، ونَصَبَ ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ على المدح أو على النداء المضاف، أو بإضمار: أعني¹.

قال بعض العلماء في حاشية الامام أحمد الصاوي المالكي الخُلُوتي رحمه الله (ت 1241هـ/1825م) على تفسير الجلالين:

توفي رسول الله عن سبع نسوة
إليهن تُعزى المَكْرُمات وتُنسب
فعائشة ميمونة وصةفية
وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رَمْلَةٍ ثم سَوْدَةٍ
ثلاث وسِتْ نَظْمُهُنَّ مهذَّب
وحكمة التشديد عليهن شدة قريهن من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على
رفعة قدرهن وعِظم رتبتهن².

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾³ الآية. أَمُرُ لَهُنَّ بتبليغ ما حفظن من القرآن الكريم والسنة الشريفة للناس⁴.

قال قتادة: أي السنة؛ قال يَمُنُّن عليهن بذلك⁵.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾: أي ذلك مُؤَدِّكُنَّ إلى الاستقامة، و﴿تَكُنَّ﴾: هي سنة الله تبارك وتعالى على لسان نبيّه عليه الصلّاة والسلام⁶.

¹ - تفسير ابن عطية، ص 1512.

² - أحمد الصاوي المالكي الخُلُوتي، حاشية الإمام الصاوي على تفسير الجلالين، ط1، المطبعة الأزهرية، مصر، 1345هـ/1926م، ج3، ص 222 - 229.

³ - سورة الأحزاب، الآية: 34.

⁴ - تفسير ابن عرفة، ج3، ص 296.

⁵ - تفسير الطبري، ج19، ص 108.

⁶ - ابن عطية، ص 1512.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، ومن الحجة الواضحة الثابتة البيّنة المعروفة: ذكر محاسن أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّهم أجمعين، والكفّ عن ذكر مساوئهم، والخلاف الذي بينهم، فمن سبّ أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحدا منهم: فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. بل حبّهم سنة، والدعاء لهم قُرْبَةً، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة. وخير الأمة بعد سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم: أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعليّ بعد عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب، ولا بنقص، فمن فعل ذلك وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه وَيَسْتَتِيهِ فَإِنْ تَابَ قَبْلَ مِنْهُ، وَإِنْ ثَبَتَ عَادَ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ وَخَلَّدَهُ الْحَبْسَ، حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَجَعَ¹.

3_ عدالة التابعين من أهل السنة والجماعة

قال الإمام الآجري: حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: حدثنا عبد الملك بن شعيب ابن الليث بن سعد، قال: حدثني أبي، عن جدي، قال: حدثني ابن عجلان، عن أبيه عجلان، عن سيّدنا أبي هريرة رضي الله عنه: سئل سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ النّاس خير؟ قال: «أنا ومن معي، ثم الذين على الأثر»، ثم كأته رفض من بقي².

وقال الإمام الآجري وأخبرنا أبو محمّد عبد الله بن صالح البخاري، قال حدثنا الحسن بن علي الحلواني (ت 242هـ/856م)، قال حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنا نافع بن يزيد، عن زهرة بن معيد، عن سعيد بن المسيّب، عن جابر بن عبد الله، قال: قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عزّ وجلّ اختار أصحابي على جميع العالمين إلا النبيّين

¹ - ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ص 30.

² - الآجري، كتاب الشريعة، باب ذكر فضائل الصحابة رضي الله عنهم، حديث، رقم 1147، ص 1677.

والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة: أبا بكر، وعمر وعثمان وعلي فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلهم خيرٌ واختار أمّتي على سائر الأمم، واختار من أمّتي أربعة قرون بعد أصحابي، القرن الأول والثاني والثالث تترى¹، والرابع فذاً²»³.

وقال الإمام القشيري رحمه الله في كتابه "الرسالة القشيرية": اعلموا رحمكم الله تعالى، أنّ المسلمين بعد سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم يتسمّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علمٍ، سوى صحبة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لا فضيلة فوقها، فقليل لهم ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم، ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمّي من صحب الصحابة: التابعين، ورأوا في ذلك أشرف سمة⁴، ثم قيل لمن بعدهم: أتباع التابعين، ثم اختلف الناس، وتباينت المراتب، فقليل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين: الزهاد والعباد. ثم ظهرت البدع، وحصل التداعي⁵ بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً. فانفرد خواص أهل السنة والجماعة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوّف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة⁶.

¹ - تترى: أتأزّرتُهُ: وإليه البصر أتبعته. والتارة: المرة. والتؤرور: التابع للشرطي. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 356.

² - فذاً: القدُّ: الفرد، والجمع أفاذا، وفُذوذ. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 336.

³ - الآجري، كتاب الشريعة، باب ذكر فضائل الصحابة رضي الله عنهم، ورواه الإمام الآجري أيضاً من طريق أبي بكر بن عبد الحميد، حديث رقم 1153، ص 1680.

⁴ - السّمةُ: وسمه وسمّا وسمّة: إذا أثر فيه بسمّة وكَيّ. وفي الحديث: "أنّه كان يسمّ إبل الصدقة" أي يعلم عليها بالكي. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ج 54، ص 4838. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ص 1166 - 1167.

⁵ - التداعي: تداعى العدو: أقبل. والحيطان: انقضت. وداعيناه: هدمناه. وادعى كذا: زعم أن له حقاً أو باطلاً. ينظر: القاموس المحيط، ص 1283.

⁶ - أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ت 465هـ/1072م، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1995م، ص 34.

يقول ابن خلدون رحمه الله (ت 808هـ/1406م): "وطريقة سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم طريقة الحق والهداية"¹.

ويقول الإمام بن الأثير رحمه الله (ت 637هـ/1239م): في كتابه: "أسد الغابة في معرفة الصحابة رضي الله عنهم: "ولا خفاء على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن من تبوأ الدار والإيمان من المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين الذين شهدوا سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا كلامه وشاهدوا أحواله ونقلوا ذلك إلى من بعدهم من الرجال والنساء من الأحرار والعبيد والإماء أولى بالضبط والحفظ، وهم الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون بتزكية الله سبحانه وتعالى لهم وثنائه عليهم، ولأن السنن التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين، إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدها، ورواتها وأولهم والمقدم عليهم أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإذا جهلهم الإنسان كان بغيرهم أشدّ جهلاً، وأعظم إنكاراً، فينبغي أن يُعرفوا بأنسابهم وأحوالهم هم وغيرهم من الرواة، حتى يصح العمل بما رواه الثقات منهم، وتقوم به الحجة؛ فإن المجهول لا تصح روايته، ولا ينبغي العمل بما رواه، والصحابة رضوان الله عليهم يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل؛ فإنهم كلّهم عدول لا يتطرّق إليهم الجرح؛ لأنّ الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم زكّياهم وعدّلاهم"².

¹ - ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، المقدّمة، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهي زكار، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/2001م، ص 611.

² - أبو الحسن عزّ الدين ابن الأثير علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة رضي الله عنهم، تحقيق وتعليق علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، تقديم محمد عبد المنعم البري وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م، ج1، ص ص 109-110.

قال ابن سعد رحمه الله (ت 230هـ/844م) في "طبقاته": أخبرنا علي بن محمد عن خالد بن يزيد بن بشر، عن أبيه قال: سئل عمر بن عبد العزيز¹ رضي الله عنه عن علي وعثمان والجمال وصفين وما كان بينهم قال: "تلك دماء كفّ الله يدي عنها وأنا أكره أن أغمس لساني فيها". وعن علي بن محمد، عن لوط بن يحيى الغامدي (ت 157هـ/774م) قال: كان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يسبون عليا رضي الله عنه، فلما ولي عمر أمسك عن ذلك².

قال الإمام الخطيب البغدادي: أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم ثنا أبو بكر الشافعي ثنا محمد بن هشام بن أبي الدميك ثنا إبراهيم بن زياد سيلان قال: قال الشافعي وحدثنا أبو عبد الله محمد ابن خلف المروزي ثنا الفضل بن الوليد العنثري قال ثنا إبراهيم بن سعد الزهري عن بشير الحنفي عن سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله اختارني واختار أصحابي فجعلهم أصهاري وجعلهم أنصاري وإنه سيجيء في آخر الزمان قوم ينتقصونهم، ألا فلا تتكحوا إليهم، ألا

¹ - عمر بن عبد العزيز: هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الأموي المدني، ثم الدمشقي، أمير المؤمنين والإمام العادل، روى عن أنس رضي الله عنه وصلى أنس خلفه. وقال: ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى. وروى عن الربيع بن سبرة، والسائب بن زيد، وسعيد بن المسيب، وجماعة. وعنه ابنه عبد الله وعبد العزيز، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والزهري. قال ابن سعد: كان ثقة مأمونا له فقه وعلم وورع وروى حديثا كثيرا وكان إمام عدل. حكم سنتين وخمسة أشهر وخمسة عشرة يوما. وأمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان يقال له أشجّ بني أمية، وتوفي عمر بن عبد العزيز المكنى أبا حفص سنة 101هـ/719م. ينظر: أبو الفداء، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1415هـ/1995م، ص 39. /أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك - تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، 1971م، ج6 ص ص 565 - 566.

² - ابن سعد، الطبقات، ج7، ص 382.

فلا تُصَلُّوا معهم، عليهم حَلَّتِ اللَّعْنَةُ»¹ الحديث. وقيل لعبد الله بن المبارك: أيهما أفضل معاوية رضي الله عنه أو عمر بن عبد العزيز فقال: «لَتُرَابٌ فِي مَنْخَرِيّ معاوية مع سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز». وسئل المعافي بن عمران²، أيهما أفضل؟ معاوية رضي الله عنه أو عمر بن عبد العزيز؟ فغضب وقال للسائل: «أتجعل رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم مثل رجل من التابعين؟ معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله». وقد قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوا لي أصحابي وأصهارِي، فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»³ الحديث. وقال ابن المبارك: «معاوية رضي الله عنه عندنا محنة فمن رأيناه ينظر إليه شرّاً⁴ اتهمناه على القوم» - يعني الصحابة رضوان الله عليهم-، وقال الإمام أحمد: «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة رضي الله عنهم بسوء فاتهمه على الإسلام». وسئل عن رجل تنقّص

¹ - الحديث: روى نحوه الإمام أحمد بن حنبل من طريق الإمام الحافظ محمد بن عوف بن سفيان الطائي الحمصي، أبو جعفر. ينظر: القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج1، ص ص 310-312. / ورواه الخطيب البغدادي في كتاب الكفاية في علم الرواية، ص 48.

² - المعافي بن عمران: بن محمد الأزدي الفهمي أبو مسعود الموصلي أحد الأعلام، روى عن ثور بن يزيد، وجعفر بن برقان، وخلق. روى عنه: ابن المبارك أكبر منه ومحمد بن عمار وخلق. وثقه ابن معين. ينظر: صفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، د.ط، المطبعة الكبرى الميرية، بولاق، مصر، 1301هـ، ص 380.

³ - الحديث: أخرجه الإمام الطبراني عن سيّدنا عبد الله بن عمر عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله من سبّ أصحابي». ينظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، د.ط، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ/1995م، ج7، حديث رقم: 7015، ص ص 114-115.

⁴ - شَرَر: شَرَرَهُ. وإليه يَشْرَرُهُ: نظر عنه في أحد شِقِيهِ. أو هو نَظَرٌ فيه إعراض. أو نَظَرُ الغضبَانِ بِمُؤَخَّرِ العين. أو النظر عن يمين وشمال. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 415.

معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما فقال: "إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيثة سوء، ما انتقص أحدٌ أحداً من الصحابة رضي الله عنهم إلا وله داخله سوء"¹.

هذا ومعرفة الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً أصل أصيل إليه في معرفة المرسل والمسند. قال الخطيب الحافظ: "التابعي من صحب الصحابي". قال ابن الصلاح: ومُطْلَقُهُ مخصوص بالتابع بإحسان، ويقال للواحد منهم تابع وتابعي. وكلام الحاكم أبو عبد الله (ت 405هـ/1015م) وغيره مُشْعَرٌ بأنه يكفي فيه أن يسمع من الصحابي أو يلقاه إن لم توجد الصحبة العرفية. والاكتفاء في هذا بمجرد اللقاء والرؤية وأقرب منه في الصحابي نظراً إلى مقتضى اللفظين فيهما. وذكر الحافظ أبو عبد الله أن التابعين على خمس عشرة طبقة: منهم الذين لحقوا العشرة، ومنهم الذين ولدوا في حياة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبناء الصحابة رضوان الله عليهم، ومنهم المخضرمون التابعين: هم الذين أدركوا الجاهلية وحياة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا ولا صحبة لهم. ومن أكابر التابعين: الفقهاء السبعة من أهل المدينة المنورة. ومنهم سيّدات النساء من التابعين"².

وجاء في تأويل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾³ الآية، وأمّا الذين اتّبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان، فهم الذين أسلموا لله لإسلامهم وسلوكوا مناهجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير⁴.

¹ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص ص 449-450.

² - ابن الصلاح، المقدمة في علوم الحديث، ص ص 302-306.

³ - سورة التوبة، الآية: 100.

⁴ - تفسير الطبري، ج 11، ص 640.

قال الإمام القرطبي رحمه الله (ت 671هـ/1272م) ما يتَّبَعون فيه من أفعالهم وأقوالهم، لا فيما صدر عنهم في الهفوات والزلات؛ إذ لم يكونوا معصومين رضي الله عنهم¹.
قال الإمام القشيري رحمه الله (ت 465هـ/1072م) في تفسيره "لطائف الإشارات":
"السابقون مختلفون فمن سابق بصدق قَدَمِهِ، ومن سابق بصدق هِمَمِهِ. ويقال: السابق من ساعدته القسمة بالتوفيق، وأسعدته القضية بالتحقيق، فسبقت له من الله رحمته، ويقال سبقهم بعنايته ثم سبقوا بطاعتهم له. ويقال: جَمَعَ الرِّضاء صفيَّهم: السابق منهم واللاحق بهم. ويقال ليس اللاحق كالسابق، وأنشدوا:

السَّابِقُ السَّابِقُ قَوْلًا وَفِعْلًا حَذَرُوا النَّفْسَ حَسْرَةَ الْمَسْبُوقِ²

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³ الآية. قال بعضهم عني بذلك العجم. وقال آخرون: إنما عني بذلك جميع من دخل الإسلام بعد سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم، كائنا من كان إلى يوم القيامة. وعن مجاهد قال: من رَدِفَ الإسلام من الناس كلهم⁴.

قال الإمام القشيري: أي أن الله بعث نبيّه صلى الله عليه وسلم في الأميين، وفي آخرين منهم وهم العجم، ومن يأتي إلى يوم القيامة، فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الناس كافة⁵. قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، أي: لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم⁶.

¹ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1427هـ/2006م، ج10، ص 348.

² - أبو القاسم القشيري، تفسير القرآن العظيم المسمّى: لطائف الإشارات ج1، ص 442.

³ - سورة الجمعة، الآية: 3.

⁴ - تفسير الطبري، ج22، ص 628.

⁵ - تفسير القشيري، ج3، ص 319.

⁶ - تفسري القرطبي، ج20، ص 453.

وقوله تعالى في سورة الحشر الآية 10: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الآية. قال الإمام الطبري عن ابن أبي ليلى رحمه الله (ت 83هـ/702م)، قال: كان الناس على ثلاث منازل: المهاجرون الأولون، والذين اتبعوهم بإحسان وأحسن ما يكون أن تكون بهذه المنزلة. والذين تبوءوا الدار والإيمان أنهم قالوا: لا تجعل في قلوبنا غلا لأحد من أهل الإيمان يا ربنا¹. قال الإمام القشيري في تأويل هذه الآية الكريمة: أي والذين هاجروا من بعدهم، ثم أجيال المؤمنين من بعد هؤلاء إلى يوم القيامة كلهم يترجمون على السلف من المؤمنين الذين سبقوهم، ويسلكون طريق الشفقة على جميع المسلمين، ويستغفرون لهم، ويتسجيرون بالله من أن يجعل لأحد من المسلمين في قلوبهم غلا - أي حقدا - ومن لا شفقة له على جميع المسلمين فليس له نصيب من الدين².

قال الإمام القرطبي: الآية عامة في جميع التابعين والآتين من بعدهم إلى يوم الدين³. قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل: المهاجرون، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم. فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل. وقال بعضهم: كن مهاجريا، فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريا فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم، فإن لم تستطع فأجِبْهم واستغفر لهم كما

¹-تفسير الطبري، ج22، ص 532.

²- تفسير القشيري، ج3، ص ص 305 - 306.

³-تفسير القرطبي، ج20، ص 372.

أمرك الله. وروى مصعب بن سعد¹ قال: الناس على ثلاثة، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت².

وعن سيدنا علي بن الحسين رضي الله عنهما³ أنه قال لرجل بعدما سأله عن سيدنا عثمان رضي الله عنه: "...فوالله لئن لم تكن من أهل الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ.... الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، لَتَخْرُجَنَّ مِنَ الْإِسْلَامِ⁴.

والمراد بقرن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: الصحابة رضوان الله عليهم، وقد سبق في صفة النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «وَبُعِثْتُ فِي خَيْرِ قُرُونِ بَنِي

¹ - سيدنا مصعب بن سعد: أبو زرارة القرشي الزهري سمع أباه بن أبي وقاص، وعلي بن أبي طالب وابن عمر رضي الله عنهم. عن مصعب قال: "رأيت على وطلحة وسعد وصهيب خواتم من ذهب". قال الذهبي: بقي مصعب بالكوفة إلى سنة 103هـ/721م، خرّجوا له في الكتب الستة. ينظر: محمد البخاري، التاريخ الكبير، ج7، ص 350-351/الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص 350.

² - تفسري القرطبي، ج20، ص 372.

³ - سيدنا علي بن الحسين رضي الله عنه: أبو الحسن علي بن الحسين بن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: قال مصعب: مات سنة 94هـ/712م، سنة الفقهاء، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وقال المدائني: مات سنة 99هـ/717م. وقال أبو نعيم سنة 92هـ/م قال الزهري: ما رأيت قُرَشِيًّا أفضل منه. وقال أسلم: ما رأيت مثل علي بن الحسين فيهم قطّ. قال الذهبي: السيّد الإمام، زين العابدين، الهاشمي العلوي، المدني، يكنى أبا محمّد، وأبا الحسين، وأبا عبد الله. وأمّه بنت ملك الفرس يَزْدَجَرْد، حدّث عن أبيه سيدنا الحسين الشهيد رضي الله عنه. حدّث عنه أولاده أبو جعفر محمّد، وعمر، وزيد المقتول، وعبد الله، والزهري، وعمر بن دينار، وهشام بن عروة، وابن هرمز، ومحمّد بن الفرات، وخلق سواهم. وحدّث عنه أبو سلمة، والطاوس وهما من طبقتة. كان يقول: "يجلس الرجل حيث ينتفع". قال الإمام مالك: "لم يكن في أهل البيت مثله، وهو ابن أمة". قال يحيى بن سعيد: قال علي بن الحسين: "أحبّونا حبّ الإسلام، فما بَرَحْ حُبُّكُمْ بنا حتى صار علينا عاثراً" - يقصد الغلاة -. قال العجلي: علي بن الحسين مدني، تابعي، ثقة. ينظر: أبو إسحاق الشيرازي الشافعي ت476هـ/1093م، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، د.ط، دار الرائد العربي، بيروت، 1970م، ص 63./الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص 386.

⁴ - تفسير القرطبي، ج20، ص 372.

آدم¹ الحديث، وقد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مئة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل. وأما قرن التابعين وإن اعتبر من سنة مئة كان نحو سبعين أو ثمانين. وأما الذين بعدهم فإن اعتبر منها كان نحو من خمسين، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمال أهل كل زمان. واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومئتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتنح أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن²، وتغيّرت الأحوال تغيّراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، والله المستعان. وظهر قوله صلى الله عليه وسلم: «ثم يَفْشُوا الكذب»³ الحديث، ظهوراً بيّناً حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات، والله المستعان. قوله: «ثم الذين يلونهم» أي: القرن الذي بعدهم: وهم التابعون

¹ - الحديث: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب: صفة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام: «بُعِثْتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه». حديث رقم: 3557، ص 877.

² - بدعة خلق القرآن: بدعة خلق القرآن: الخلق: التقدير، والخالق في صفاته تعالى: المُبدِعُ للشيء، المُخْتَرِعُ على غير مثال سَبَق، قال محمد بن الحسين الآجري: اعلّموا رحمتنا الله وإياكم أن قول المسلمين الذين لم يُزِغْ قلوبهم عن الحق، ووقفوا للرشاد قديماً وحديثاً: أنّ القرآن الكريم كلام الله ليس بمخلوق، لأنّ القرآن من علم الله لا يكون مخلوقاً تعالى الله عن ذلك، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 8890/ الآجري، كتاب الشريعة، ص 489.

³ - الحديث: أخرجه الإمام الطحاوي بسنده عن سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يَفْشُوا الكذب». ينظر: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي الحنفي، شرح معاني الآثار، تحقيق وتقديم محمد زهري النجار، ومحمد سيّد جاد الحق، مراجعة يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط1، عالم الكتب، الرياض، 1414هـ/1994م، حديث رقم: 6118، ج4، ص 150.

"ثم الذين يلونهم" وهم أتباع التابعين. واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين¹.

واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل، وهذا محمول على الغالب والأكثرية، فقد وجد فيمن بعد الصحابة من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكورة المذمومة لكن بقلّة، بخلاف من بعد القرون الثلاثة، فإن ذلك كثر فيهم واشتهر، وفيه بيان من تُردُّ شهادتهم وهم من اتّصف بالصفات المذكورة، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: "ثم يفسحوا الكذب" أي يكثر².

قال أبو حاتم رحمه الله (ت 327هـ/938م) في كتابه "الثقات": خير الناس قرنا بعد سادتنا الصحابة رضوان الله عليهم من شافّة أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ عنهم الدّين والسّنن³ وقال أيضا رضي الله عنه: "خير الناس قرنا بعد التابعين من لا يكون بينهم وبين أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قرنا واحدا وهم أتباع التابعين الذين شافهوا من شافه أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حفظوا عنهم العلم والآثار، وكثرت عنايتهم في جميع الأخبار، وأمعنوا في طلب الأحكام والتّفقه فيها، وضبط أقاويل السلف فيما لم ترد فيه سنّة مع الاستنباط الصحيح من الدلائل الواضحة، حتى حفظ الله جلاّ وعلا بهم الدّين على المسلمين، وصانه عن ثلب القادحين⁴، وجعلهم أعلى من يُقتدى بهم في الأمصار، ويرجع إلى أقاويلهم في الآثار"⁵.

¹ - شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق ومراجعة شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، تحقيق ج 11 سليم عامر وتخريج سعيد اللحام، ط 1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1434هـ/2013م، ج 11، ص ص 5-11.

² - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 11، ص 14.

³ - أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي السجستاني، كتاب الثقات، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط 1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1393هـ/1993م، ج 4، ص 3.

⁴ - القدّح: الطّعن، قدح فيه: طعن. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 235.

⁵ - محمد بن حبان، الثقات، ج 6، ص ص 1-2.

قال أبو حاتم: هذه اللَّفْظَةُ: "ثم اللذين يلونهم"¹، في الرابعة تفرّد بها حماد بن سلمة²، وهو ثقة مأمون، وهذه اللَّفْظَةُ يُصَرِّحُ عن سيّدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن خير الناس بعد أتباع التابعين القرن الرابع الذين شافهم وصحبهم، وهم تبع الأتباع الذين جدّوا في الرحل والأسفار، وأمعنوا في طلب العلم والأخبار، وواظبوا على الدّرس والمذاكرة والحفظ

¹ - حمّاد ابن سلمة: ابن دينار، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري، النحوي، البرّاز، الخرقى، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل. سمع أبا بكر بن مُليكة وهو أكبر شيخ له، وأنس بن سيرين، وسماك بن حرب، وإياس بن معاوية، وعلي بن زيد، وأيوب السختياني، وأمّ سواهم. حدّث عنه: ابن جُرَيْج، وابن المبارك، ويحيى القطّان، وابن مهدي، وأبو نعيم، وعفان، والقعنبي، وموسى بن إسماعيل، وعبيد الله بن عائشة التميمي، وابن مدرك الحافظ، وأسد السّنّة، وسعيد بن سليمان، وخلق كثير. قال وهيب بن خالد: سيّدنا وعالمنا. قال عليّ بن المدني: كان عند حمّاد عشرة آلاف حديث. قال الذهبي: كان بحرا من بحور العلم. قال شهاب بن معمر البلخي: كان حماد بن سلمة يعد من الأبدال. قال الذهبي: وكان مع إمامته في الحديث، إماما كبيرا في العربية، فقيها فصيحا، رأسا في السّنّة، صاحب تصانيف، أوقاته معمورة بالتعبّد والأوراد. روى الحروف - القراءة -، عرضا عن عاصم وابن كثير، روى عنه الحروف حرّمي بن عمار، وحجاج بن المنهال، وشيبة بن عمرو المصيصي. وكان الامام أحمد يُجَلِّه؛ فقال: لا أعلم أحد أروى في الرّدّ على أهل البدع منه، وكان يصفه بالثقة. قال يحيى بن معين: هو ثقة. وقال أيضا: إذا رأيت أحدا يقع في عكرمة وحماد بن سلمة فاتّهمه على الإسلام. قال حجاج بن المنهال: حمّاد من أئمة الدّين. قال الإمام الأصمعي: صحيح السماع، حسن اللقي. وكان حماد يقول: من طلب الحديث لغير الله مُكر به. وقال عفان بن مسلم عنه: ما رأيت أشدّ مواظبة على الخير، وقراءة القرآن الكريم، والعمل لله من حمّاد بن سلمة. توفي رحمه الله سنة 167هـ/783م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص 444. شمس الدين أبي الخير محمّد بن محمد بن علي بن الجزري الدمشقي الشافعي، غاية النهاية في طبقات القُراء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ج1، ص 233. /يوسف المزّي، تهذيب الكمال، ج7، ص 253.

² - الحديث الشريف: قال أبو حاتم محمّد بن حبان التميمي رضي الله عنه، أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نَصْرَةَ عن عبد الله بن مؤلة قال: كنت أسير مع بريدة الأسلمي رضي الله عنه فقال: سمعت سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون أقوام تسبق شهادتهم أيّمانهم وأيمانهم شهادتهم». ينظر: ابن حبان، الثّقّات، ج8، ص 1.

والمدارس ولم يقتنعوا في جمع السنن ببلدته دون أخرى ولا بشيخ واحد دون الرحلة في جميع الأمصار والدوران في المدن والأقطار، حتى حفظوا السنن على المسلمين وصانوا عن ثلب القادحين فصاروا أعلاما يقتدي بهم في الآثار ويرجع إلى أقاويلهم في الأمصار¹.

وعن نعيم بن حماد رحمه الله (ت 228هـ/842م) قال: كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته، ف قيل له: ألا تستوحش؟ فقال: "كيف أستوحش وأنا مع سيدنا صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم". قال العباس بن مصعب: "جمع عبد الله الحديث الشريف، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والمحبة عند الفرق". قال شقيق البلخي²: "قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، انظر في كتبهما وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنت تغتابون الناس"³.

¹ - ابن حبان، الثقات، ج8، ص ص 1-2.

² - شقيق البلخي: أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي من مشايخ خراسان له لسان في التوكل، كان أستاذ حاتم الأصم. تاب مما كان فيه من فعل الفتيان والشباب، وسلك طريق الزهد، قال الذهبي: الإمام الزاهد شيخ خراسان الأزدي البلخي. صحب إبراهيم بن أدهم. وروى عن كثير بن عبد الله الأبلخي، وإسرائيل بن يونس، وعبد بن كثير. حدث عنه مَرْدَوَيْه والمُسْقَلِي، وحاتم الأصم والحسين بن داود البلخي وغيرهم، قال شقيق: "كنت شاعرا فرزقني الله التوبة". وكان من رؤوس الغزاة. على شقيق: "ليس شيء أحب إلي من الضيف لأن رزقه على الله، وأجره لي". وامتنع من الاجتماع بالمأمون حتى طلبه. قال: "أخذت لباس الدون من سفيان، والخشوع من إسرائيل، والعبادة من عبد بن كثير، والفقه من زُفر". قال الشقيق: علامة التوبة البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار، مات مقتولا في غزاة كولان سنة 194هـ/809م. ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ج1، ص 55. /الذهبي، السير، ج9، ص 313.

³ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص 378.

ثالثاً: علم السند ومكانته من علم التاريخ

1_ تعريف السند لغة واصطلاحاً

إن من غرائز الجبلة البشرية التي لا جدال فيها، تذكّر الحوادث الماضية والتحدّث بالوقائع الخالية، والوقوف على الرسوم العافية والاعتناء بحفظ الغابر على الحد الذي جعل الناس ينقشون الأخبار على الأحجار، ويزيرون القصص على الجمار فضلاً على أن يكتبوها في الأوراق ويحفظونها ضمن الأجلاد خشية عليها من الضياع بتقادم العهد وذهابها بها عن النسيان بتطاول الدهر، وذلك بما فطر الله عليه هذا النوع من حبّ الإشراف والإطلاع والغرام بالرواية والسماع، وبأن الإنسان يجتهد أبداً أن يحفظ الماضي كما يجتهد أن يدرك الآتي، فحياته عبارة عن وصلٍ آخرٍ بأولٍ وربط ماضٍ مع مستقبلٍ وتعليل حديثٍ بقديم¹.

فإذا كان علم التاريخ ضرورة من ضرورات البقاء، فضلاً عن الارتقاء؛ وشرطاً من شروط اللحاق فضلاً عن السباق، فأية أمة أجدر بمداينة من هذه الأمة العربية ذات التاريخ الأمجد والسنام الأقدس والعرق الأنجب واللسان الأذنب والجهاد الذي شرّق وغرّب، أيام ملأت من الدهر مسمعيه وضربت كل جبار في أخدعيه، وفرضت الذلة على جماجم الأكاسرة وأطارت النعرة من معاطس القياصرة².

جاء في تعريف السند لغة واصطلاحاً: السند: ما ارتفع من الأرض في قبال الجبل أو الوادي، والجمع أسناد وكل شيء أسندت إليه شيئاً فهو مُسند، وقد سند إلى الشيء يسند سُنوداً واستند وتساند، وأسند، والسند: سُنود القوم في الجبل أي صعودهم. وأسند الحديث: رفعه. قال محمد الأزهرى الهروي الشافعي رحمه الله (ت 370هـ/981م): والمُسند من الحديث

¹ - شكيب أرسلان، الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط:1، المطبعة الرحمانية مصر: 1355هـ/1936م، ج1، ص ص 5-6.

² - نفسه، ص 07.

ما اتصل إسناده حتى يُسند إلى سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم، والمرسل والمنقطع ما لم يتّصل، والإسناد في الحديث رفعة إلى قائله¹.

والسند: من معانيه في اللغة: ما استندت إليه من حائط وغيره²، وفي القاموس السند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح، ومُعْتَمَدُ الإنسان والمُسْنَدُ من الحديث: ما أُسْنِدَ إلى قائله؛ الجمع: مساند ومسانيد عن الشافعي والسناد بالكسر: الرواية، وسانَدَ الشاعر: نَظَّمَ وفلانا: عاضده وكاتفه³.

والسند في اصطلاح المحدثين: هو الطريق الموصِل للمتن، وبعبارة أوضح: هم رواية الحديث الشريف الذين رَوَوْا لفظه، والمناسبة بين المعنيين ظاهرة، فإن الرواية للحديث الشريف هم الذين يعتمد عليهم المحدثون في معرفة المقبول من المردود والصحيح من غيره، والإسناد في اصطلاح المحدثين له إطلاقان:

الأول: هم الرواة الراوون للمتن وعليه فهو مرادف للسند، **والثاني:** رَفْعُ الحديث إلى قائله ونِسْبته إليه وعليه فهو مغاير للسند ويكون من عمل الراوي للحديث، والمُسْنَدُ بفتح النون له معانٍ عند المحدثين، أولاً يطلق ويراد به الاسناد فيكون مصدرا ومثاله "مسند

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج2، ص 74.

² - محمد بن محمد أبو شهية، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، د.ط، عالم المعرفة، لبنان، 1403هـ/ 1983م، ص 18.

³ - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 290.

الشهاب" و"مسند الفردوس" أي أسانيد أحاديثهما¹. ثانياً: يُطلق ويُراد به أحد أنواع علوم الحديث، وأما المُسندُ بكسر النون فهو الذي يرفع الحديث إلى قائله².

وأجمع العلماء على أن الإسناد المتّصل بالصحابة رضي الله عنهم أجمعين سواء فيه قال: «قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم»، أو «أن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال»، أو «عن سيّدنا رسول الله صل الله عليه وسلم أنه قال»، أو «سمعت سيّدنا رسول الله صل الله عليه وسلم يقول» والله أعلم³.

والإسناد المُعَيَّن: الأول والذي يقال فيه: "فلان عن فلان"، عدّه بعض الناس من قبيل المرسل والمنقطع⁴ حتى يتبيّن اتصاله بغيره. والصحيح والذي عليه العمل أنه من قبيل الاسناد المتّصل، وإلى هذا ذهب الجمهور من أئمة الحديث وغيرهم وأودعه المشترطون للصحيح في تصانيفهم فيه وقبْلُوهُ، وكاد أبو عمر بن عبد البر الحافظ يدّعي إجماع أئمة الحديث على ذلك، وادّعى أبو عمر الداني المقرئ الحافظ رحمه الله إجماع أهل النقل على ذلك، وهذا بشرط أن يكون الذين أضيفت العنونة إليهم قد تثبت ملاقة بعضهم بعضاً مع

¹ - الشَّهاب: كتاب للإمام أبو عبد الله محمد بن سلامة القُضاعي، ذكر فيه أحاديث غير مسندة؛ ثم ذكر أسانيداً في كتاب سمّاه: "مسند الشهاب"، و"الفردوس": كتاب للحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار ت509هـ أورد فيه عشرة آلاف حديث شريف فصار بغير ذكر إسناد مرتبة على حروف المعجم أما مسند "الفردوس" فهو لابن أبي منصور شهردار بن شيرويه الهمداني ت558هـ، وقد أسند فيه أحاديث كتاب أبيه، ينظر: محمد أبو شهبة، الوسيط، ص 18.

² - محمد أبو شهبة، الوسيط، ص: 18.

³ - ابن الصلاح، علوم الحديث، ص، ص: 62، 63.

⁴ - المُرْسَلُ والمنقطع: المرسل: وصورته لا خلاف فيها حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم كعبيد الله بن عدي بن الخيار، ثم سعيد بن المسيّب وأمّثالهما، إذ قال: «قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم»، والمشهور التسوية بين التابعين أجمعين في ذلك رضي الله عنهم. المنقطع: المنقطع منه الاسناد فيه قبل الوصول إلى التابعي راوٍ لم يسمع من الذي فوقه والساقط بينهما غير مذكور لا معيّن ولا مُبْهَم، ومنه الاسناد الذي ذكر فيه بعض رواته بلفظ مبهم نحو رجل أو شيخ أو غيرهما، ينظر: ابن الصلاح، علوم الحديث، ص- ص: 51- 57.

براءتهم من وصمة التدليس¹، فحينئذ يحمل على ظاهر الاتصال إلا أن يظهر فيه خلاف ذلك، وتستعمل "عن" في الإجازة²، فإذا قال أحدهم: "قرأت على فلان عن فلان" أو نحو ذلك، فظنّ به أنه رواه عنه بالإجازة ولا يخرج ذلك من قبيل الاتصال على ما لا يخفى والله أعلم³. والثاني: اختلفوا في قول الراوي: "أن فلانا قال كذا وكذا" هل هو بمنزلة "عن" في الحمل على الاتصال إذا ثبت التلاقي بينهما تبيّن فيه الانقطاع، مثاله: "مالك عن الزهري أن السعيد بن المسيّب قال كذا"، فروينا عن مالك رضي الله تعالى عنه أنه كان يرى "عن فلان" و"أن فلان" سواء، وعن أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه أنهما ليسا سواء، وحكى ابن عبد البر عن جمهور أهل العلم أن "عن" و"أن" سواء، وأنه لا اعتبار بالحروف والألفاظ وإنما هو باللقاء والمجالسة والسماع والمشاهدة، يعني مع السلامة من التدليس، فإذا كان سماع بعضهم من بعض صحيحا كان حديث بعضهم عن بعض بأيّ لفظ ورد محمولا على الاتصال حتى يتبين فيه الانقطاع⁴.

2_ سند الرواية وعلاقته بالكتابة التاريخية

وكان سادتنا صحابة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرصون كل الحرص حضور مجالس سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يشغلهم العمل اليومي عن ذلك، فقد

¹ - التدليس: التدليس في الاسناد وهو أن يحدث عن الشيخ الأكبر ولعله ما رآه وإنما سمعه ممّن هو دونه أو ممن سمعه منه ونحو ذلك، وفعله جماعة من الثّقّات، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 546.

² - الإجازة: على اسمه: أعلم عليه، وفي الشعر: أتمّ بيتا أتى مطارحه بصدّره، والشّيء: جعله جائزا والموضع: جازه، والعقد وغيره: أمضاه وأنفذه، والرأي والأمر أنفذهما، وفي الحديث الشريف: «إني لا أجز على نفسي شاهدا إلّا مَنّي»، ويقال: أجاز لفلان ما منع، وأعطاه الجائزة، وفي الحديث الشريف: «أجزوا الوَفْدَ بِنَحْوِ ما كُنْتَ أَجِزُهُمْ»، ويقال: أجازه بجائزة، والعالم تلميذه: أذن له في الرواية عنه. ينظر: المعجم الوسيط، ص 146.

³ - ابن الصلاح، علوم الحديث، ص- ص 61 ، 62.

⁴ - نفسه، ص 62.

قال سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: "كنت وجاراً لي من الأنصار... كنّا نتناوب النزول على سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وإذا نزل فعل مثل ذلك". ومبْلَغُ حرصهم هذا دفعهم لأن يأخذ بعضهم عن بعض خاصة صغار الصحابة الذين لم يجدوا من الوقت مع سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وجد إخوانهم الكبار فأخذوا عنهم؛ وأخذ سادتنا الصحابة رضوان الله عليهم في مجالس سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم ومن خلال خطبه وإجابات السائلين وحضّهم على الحرص في الأخذ عنه من قوله صلى الله عليه وسلم: «نَضَرَ الله أمره سمع مقالتي فوعاها ثم بلّغها عني فَرُبَّ حامل فقهٍ¹ غير فقيه وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»² الحديث.³

قال ابن أبي شامة رحمه الله (ت 656هـ/1258م) في كتاب "الروضتين": وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار الأمم السالفة وأنباء القرون الخالفة ما فيه عبر لذوي البصائر واستعداد ليوم تبلى السرائر، قال الله عزّ وجلّ وهو أصدق القائلين:

¹ - الفِقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدّين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كما غلب على النّجم الثّريّ والعود على المنديل، قال ابن الأثير: واشتقاقه من الشّقّ والفتح وقد جعله العُرف خاصاً بعلم الشريعة شرّفها الله تعالى وتخصيصاً بعلم الفروع منها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج5، ج42، ص3450.

² - الحديث: باب تبليغ حديث سيّدنا رسول الله صل الله عليه وسلم وحفظه: روى الامام الحسين بن مسعود البغوي بسند متّصل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال سيّدنا رسول الله صل الله عليه وسلم: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فَرُبَّ حامل فقه غير فقيه وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، حديث حسن صحيح. ينظر: الامام البغوي، شرح السنة، حديث رقم: 112، ج1، ص - ص 235 - 236.

³ - البشير علي حمد الترابي، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ/1997م، ص- ص 24 - 26.

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾¹ الآية. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التَّذْكَرُ﴾² الآية، وحدّث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث أم زرع³ وغيره مما جرى في الجاهلية والأيام الإسرائيلية، وحكى عجائب ما رآه ليلة أسري به وعرج وقال: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»⁴ الحديث، وفي صحيح مسلم عن سيماء بن حرب رحمه الله (ت 123هـ/740م) قال: «قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنه: أكنت تجالس سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم كثيرا؛ كان لا يقوم من مُصلاه الذي صلى فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدّثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسّم صلى الله عليه وسلم»⁵ الحديث⁶.

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني إسرائيل حتى يُصبح، ما يقوم إلا إلى عظم⁷ صلاة أي

¹ - سورة هود الآية: 120.

² - سورة القمر الآية: 4 - 5.

³ - حديث أم زرع: هو ما قالته إحدى عشر امرأة في أزواجهن. ينظر: صحيح البخاري كتاب النّكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، حديث رقم: 5179، ص: 1321. وقد أفرد القاضي عياض رحمه الله شرحا لما سمّاه: «بُغية الرائد لما تضمّنه حديث أم زرع من الفوائد».

⁴ - تخريج هذا الحديث الشريف بالصفحة 216.

⁵ - الحديث: رواه الامام مسلم عن أحمد بن عبد الله بن يونس. ينظر: صحيح مسلم، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد، حديث رقم: 670، ج1، ص 301.

⁶ - شهاب الدّين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة ت665هـ/1258م، حققه وعلّق عليه إبراهيم الزبيق، ط01، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان 1418هـ/1997م، ج01، ص- ص 21-23.

⁷ - العِظْمُ: خلاف الصِغَر. عِظْمٌ كصِغَر، عِظْمًا وَعِظَامَةً، فهو عظم وعظام. وعِظْمُهُ تعظيما وأعْظَمُهُ: فحّمه وكبّره. واستَعْظَمَهُ: رآه عظيما، كأعْظَمُهُ، وأخذ بمعظمه. ينظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص - ص 1138 - 1139.

-الفريضة- قال أبو شامة: ولم يزل الصحابة رضي الله عنهم والتابعون من بعدهم يتفاوضون في حديث من مضى، ويتذكرون ما سبقهم من الأخبار وانقضى، ويستتشدون بالأشعار، ويتطلبون الآثار والأخبار، وذلك بين من أفعالهم لمن اطلع على أحوالهم، وهم السادة القدوة؛ فلنا بهم أسوة¹، قال نعيم بن حماد: "كان عبد الله بن المبارك رحمه الله ورضي عنه يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وأنا مع سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه!" وفي رواية قال: "قيل لابن المبارك: يا أبا عبد الرحمن تكثر القعود في البيت وحدك؟ فقال: أنا وحدي؟! أنا مع سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه"- يعني النَّظَرَ في الحديث الشريف-، وفي رواية أخرى: "وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان"².

قال سفيان الثوري رضي الله عنه: "الاسناد زَيْنُ الحديث فمن اعتنى به فهو السعيد" وقال عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين"، وقول الثوري قبله: "الإسناد سلاح المؤمن" وأحمد بن حنبل بعده: "طلب علُو الإسناد من الدين"، وقال ابن المبارك: "لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء"³.

وطريق حقاظ هذا الحديث الذين قال منهم قائل: "مَثَلُ الذي يطلب دينه بلا إسناد مثل الذي يرتقي السطح بلا سلم فأنى يبلغ السماء"، وقال منهم الأوزاعي رحمه الله (ت 157هـ/773م): "ما زهاب العلم إلا زهاب الإسناد". وقال يزيد بن زريع رحمه الله (ت

¹ - أبو شامة، الروضتين، ج1، ص 23.

² - نفسه، ج1، ص - ص 23 - 24.

³ - تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطنّاحي وعبد الفتاح محمد الحلّو، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: 1383هـ/1964م، ج: 01، ص: 314.

182هـ/798م): لكل دين فرسان وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد، فرضي الله عنهم هم القوم كمل الله بهم النعماء¹.

ذكر الامام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في كتابه "شرح السنة" في باب تبليغ حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه، قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾² الآية، قال الإمام البغوي: "الأمر عام في حق أهل زمانه ومن جاء بعدهم ولا وصول إلى من بعدهم إلا بالتبليغ، وقال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته: «فليبلغ الغائب الشاهد الغائب». الحديث³ «نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، وقال صلى الله عليه وسلم: «تسمعون ويسمع منكم»، واختلفوا في القراءة على المحدث هل هو إخبار أم لا؟. قال أبو عاصم عن الإمامين رحمهما الله مالك وسفيان بن عيينة (ت 198هـ/813م): "القراءة على العالم وقرأته سواء"، وقال سفيان بن عيينة: إذا قرئ على المحدث فلا بأس أن يقول: حدثني وكان عنده "حدثنا" و"أخبرنا" و"أنبأنا" و"سمعت واحدا". وجوزوا المناولة⁴، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان رآه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ويحيى بن سعيد رحمه الله (ت 198هـ/813م) ومالك جائزا، واحتج في ذلك بكتاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

¹ - السبكي، الطبقات، ج1، ص 314.

² - سورة الحشر، الآية: 07

³ - الحديث: متفق عليه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه. ينظر: الامام البغوي، شرح السنة، كتاب العلم، باب تبليغ حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ص 235.

⁴ - المناولة: باب ما يُذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أن سيدنا النبي صل الله عليه وسلم بعث بكتابه رجلا وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه مزقه، قال ابن المسيب: "قدعا عليهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل مُمزق". ينظر: الامام محمد البخاري، كتاب العلم، حديث رقم: 64 ص: 28.

أمير السريّة وقال: «لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا» الحديث.¹، وما فعله سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه من نسخ المصاحف وإرسالها إلى الآفاق، وأمر الناس بالاعتماد عليها ومخالفة من عاداها، والحجّة بالمكاتبة أن يكون الكتاب مختوماً² وحامله مؤتمناً والمكتوب إليه يعرف خطّ الشيخ إلى غير ذلك من الشروط الدافعة لتوّهم التغيير³.

وكان صحابة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه وآله وصحبه وسلم تسليماً يتلقّون الكتاب والسنة في خطبه وحلقاته، ولم يكن التلقّي على الرجال دون النساء وتقول السيّدة عائشة رضي الله عنها في ذلك: "نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهنّ الحياء أن يتفقهنّ في الدين"، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقّون عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن مشافهة ويستظهرون حفظ ما يسمعون ويتعلّمون تفسيره، وما تفسيره إلا السنة النبوية الشريفة قوليّة كانت أم عملية، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية⁴، وقد ساعدهم على الحفظ سيّلاً أذهانهم وصفائهم وحجّة الذكاء التي عرف بها أهل الصحراء، وفوق ذلك قريهم من النور المحمّدي الوهاج - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام -، فقد كانوا يتمتعون بحواظ نادرة هيّاهم الله بها. وتاريخ الحديث يحدّثنا عمّا كان يحفظ سادتنا أبو هريرة وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك والسيّدة عائشة أمّ المؤمنين التي كانت آية من آيات الحفظ والفهم والذكاء وعبد الله بن عباس الذي

¹ - الحديث: ذكره البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة بلا سند. ينظر: الامام البغوي، شرح السنة، ص: 241.

² - الختم: باب ما يذكر في المناولة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً - أو أراد أن يكتب - فقل له إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضّة، نقشهُ: "محمّد رسول الله" كأنّي أنظر إلى بياضه في يده. ينظر: محمّد البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم حديث رقم: 65، ص: 28.

³ - البغوي، شرح السنة، ج1، ص - ص 235 - 241.

⁴ - سورة النحل، الآية: 44.

كان يحفظ من مرّة واحدة، وسيّدنا زيد بن ثابت وغير هؤلاء ممن اشتهروا بالحفظ والإتقان رضي الله عنهم أجمعين¹.

وروى الإمام البغوي بسند متصل عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». الحديث²، وقوله صلى الله عليه وسلم: «حَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»، ليس على معنى إباحة الكذب على بني إسرائيل، بل معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ من غير أن يصبح ذلك بنقل الإسناد لأنه أمر قد تعذر في أخبارهم لطول المدة ووقوع الفترة³. وفيه إيجاب التحرز عن الكذب على سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لا يُحَدَّثَ عنه إلا بما يصح عنده بنقل الإسناد والتثبت فيه، وروي عن سيّدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». الحديث⁴، وقال سيّدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "أَيَّ أَرْضٍ تُقْلِنِي وَأَيَّ سَمَاءٍ تُظْلِنِي إِذَا قُلْتَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ"، وقال سيّدنا عبد الله بن المبارك رحمه الله: "الإسناد من الدّين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"، وقال مَطَرُ الْوَرَّاقِ رحمه الله (ت 125هـ/742م) في قوله

¹ - البشير علي حمد الترابي، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ/1997م، ص، ص: 21-22.

² - الحديث: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري 256هـ، ط01، دار ابن كثير، دمشق: 1423هـ/2002م، حديث رقم: 3461، ص: 857.

³ - الْفَتْرَةُ: فَتْرٌ يَفْتَرُ وَيَفْتَرُ فَتْرًا وَفُتْرًا: سَكَنَ بَعْدَ حَذَا، وَلَانَ بَعْدَ شِدَّةٍ، وَفَتْرُهُ تَفْتِيرًا وَفَتْرُ الْمَاءِ: سَكَنَ حَرُّهُ فَهُوَ فَاتِرٌ وَفَاتُورٌ وَأَفْتَرُهُ الدَّاءُ: أَضْعَفُهُ. وطرف فاتر: ليس بحاد النظر، والفترة: ما بين كل نَبِيَّين. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 454.

⁴ - الحديث: رواه أبو داود في سننه: حديث رقم: 4992، ج: 07، ص: 344.

سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ﴾¹ قال: "إسناد الحديث". وسمع الامام الزهري إسحاق بن أبي فروة يقول: "قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "قاتلك الله يا ابن أبي فَرَوَةَ ما أجراك على الله ألا تُسَنِّدَ حديثك تحدّثنا بأحاديث ليس لها خُطَامٌ² ولا أَرْمَةٌ³".

3_ حفظ السند بين طبقات أهل السنة والجماعة

منذ أن بُعث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفسّر ويبين شريعة الله سبحانه وتعالى لعباده، وكان النَّاسُ يتناقلون أقوال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتم الساعون منذ الصدر الأول بحفظ الأسانيد وهو أمر لم يكن محلّ اهتمام في أي أمة قبلهم حتى عُرف عن المسلمين أنَّهم اختصّوا بعلوم الإسناد والأنساب والإعراب، وحينما جمع العلماء الحديث من كل مكان يتوقّعون وجوده فيه، وتمّ التدوين وبدؤوا في وضع قواعد وأصول غاية في الدقّة، وعلى أساس علمي بلغ من الحيلة والحذر والتثبت مبلغا عظيما⁴. قال سيّدنا سفيان الثوري: "لما استعمل الرّواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"⁵.

وقال الإمام مسلم رضي الله عنه: "حدثنا أبو جعفر محمّد بن الصباح حدثنا إسماعيل بن زكرياء عن عاصم الأحول، عن ابن سيرين قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما

¹ - سورة الأحقاف، الآية: 04.

² - الخِطَامُ والأَرْمَةُ: الخَطْمُ: الخطب الجليل، وبالكلام: قَهَرَه ومنعه حتى لا يَنْبَسَ، والأديم: خاط حواشيه، والقوس بالوتر: خَطْمًا وخطامًا: علَقها، والخطام: ذلك المعلق به، ووتر القوس وكل ما وضع في أنف البعير ليقتاد به. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص 1104. الأَرْمَةُ: الأَرْمُ: شدّة العضّ بالضمّ كلّه وقيل بالأنثياب والأنثياب هي الأوازم، وأَرْمَ على الشيء يأزمُ أزوَمَا: واضطرب عليه ولزمه، وأَرْمَتْ الحبل والعنان والخيوط وغيره أَرْمَهُ أَرْمًا: أحكمت فَنَلَّهُ وظَفَرُهُ بالراء والزاي جميعا، ورَمَ الشيء يَرْمُهُ رَمًا فانزَمَ: شدّه، وزمّام الناقة تنقاد به، والرَّمَام: ما رُمَ به والجمع أَرْمَةٌ. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج01، ج02، ص 74/مج03، ج21 ص 1865.

³ - البغوي، شرح السنة، ص- ص 243 - 245.

⁴ - احمد عبد الغفار، دراسات في الحديث الشريف، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص- ص: 05 - 06.

⁵ - السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص 22.

وقعت الفتنة قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم فَيُنْظَر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ويُنظر إلى أهل البدع فلا يُؤخذ حديثهم¹.

وكان لأمهات المؤمنين زوجات سيّدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم دور عظيم في حفظ السنة ونشرها، فقد كانت السيّدة عائشة الصديقة رضي الله عنها من السّنة الكثيرين في حفظ ورواية الحديث الشريف بل وكانت مرجعا لكثير من مسائل أحكام الدين، يرجع إليها أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجدون عندها علما، وقد كانت على مقدار كبير من الذكاء، ودور أمهات المؤمنين عموما لا ينكر في هذا الصّدّد، إذ لولاهنّ لضاعت كثير من الأحاديث والأحكام التي لا يتيسّر الإطلاع عليها من غيرهنّ ولا سيّما في أمور الحياة داخل البيت، وأمّهات المؤمنين خاصة والصحابيات بصفة عامة لم يكن أقلّ اهتماما وحرصا من الصحابة، وقد كانت نساء الأنصار من الحرص بالمكانة التي قالت عنها السيّدة عائشة رضي الله عنها: "نِعَم النّساء نِساءُ الأنصار لم يمنعهنّ الحياء من أن يتفقهن في الدين"، وهكذا حرصنّ وتلقينّ ونشرنّ كما نشر الصحابة وكُنّ مثالا وقدوة لمن جاء بعدهن من نساء التابعين رضوان الله عليهم أجمعين².

واصلَ التابعون مسيرة سلفهم الصالح ومشايخهم الكرام من الصحابة رضوان الله عليهم، وكانوا على نَهْجِهِمْ وَمِنْوَالِهِمْ في حفظ السنة الشريفة وتبليغها ونشرها، وقد هيّأهم الله كما هيّأ سلفهم وأعدّهم إعدادا لحفظ هذا النور القدسي إذ وَهَبَهُمْ أذهانا صافية وزوّدَهم بقوة الحفظ، وكان منهم أمثال الأئمة نافع (ت 169هـ/785م) مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقتادة بن دِعامَة السدوسي، وفيهم محمّد بن سريّن وسعيد بن المسيّب وابن شهاب الزهري حُفَاط عصرهم وشيوخ عهدهم، وبهذه التهيئة أخذوا عن الصحابة بعد أن ورثوا سُنّة

¹ - القاضي عياض اليُحصبي السبّتي المالكي، إكمال المعلم بفوائد مسلم "شرح صحيح مسلم"، تحقيق يحي إسماعيل، ط1، دار الوفاء، المنصورة - مصر، 1419هـ/1998، ج1، ص- ص 124 - 125.

² - البشير علي حمد الترابي، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث والرواية، ص- ص 31- 33.

التوثيق والتثبيت إلى جانب الحرص على التبليغ وكانوا خير خلف لخير سلف، وقد أُوْرثوا من جاء بعدهم هذه السُنن فأصبحت سِمَةً المحدثين ووَصَفِهِم على مَرَّ العصور، وكما رحل الصحابة الكرام حرصا منهم على سماع الحديث الشريف رحل التابعون وجالوا في الفيافي والقفار في سبيل السماع واتَّصال الأسناد، فقد أخرج الخطيب عن أبي العالية قال: "كُنَّا نسمع عن أصحاب سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نَرُضَ حتَّى خرجنا إليهم فسمعنا منهم"، وسعيد بن المسيَّب يقول: "إني كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد"، وعن كثير بن قيس رحمه الله¹ قال: "كنت جالسا عند أبي الدرداء رضي الله عنه في مسجد دمشق فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة مدينة سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث بَلَّغَنِي يُحَدِّثُ به عن سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فما جاء بك، تجارة؟ قال: لا، قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا، قال: فإنِّي سمعت سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهَّل الله له طريقا إلى الجنة...»² الحديث³.

أما المحققون في حديث سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الأئمة العلماء والسادة الفقهاء أهل الفضل والفضيلة والمرتبة الرفيعة حَفِظُوا على الأُمَّة أحكام سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروا عن أنباء التنزيل ودَوَّنُوا لنا أقوال سيِّدنا النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وضبطوا على اختلاف الأمور أحواله في يَقْظَتِهِ وَمَنَامِهِ وَقُعوده وقيامه ومَلْبَسِهِ ومَرْكَبِهِ ومأكله ومشربه حتى القلَّامة من ظفره الشريف ما كان يصنع بها والنَّخاعة

¹ - ذكره ابن الأثير وروايته هذا الحديث عن سيِّدنا أبي الدرداء رضي الله عنه. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة ساداتنا الصحابة، ج4، ص436.

² - الحديث: باب فضل طلب العلم: عن سيِّدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهَّل الله له طريقا إلى الجنة». حديث صحيح رواه الترمذي في سننه، حديث رقم: 2837، ج 04، ص 589.

³ - البشير علي حمد الترابي، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث والرواية، ص- ص 34- 39.

من فيه الشريف كيف كان يَلْفِظُها وقوله عند كل فعل يُحْدِثُهُ ولدى كل موقف يَشْهَدُهُ، تعظيماً لِقَدْرِهِ صلى الله عليه وسلم ومعرفةً بِشَرَفِ ما ذُكِرَ عنه وَعُزِّيَ إليه وحفظوا مناقب صحابته ومآثر عشيرته بِسِيرِ الأنبياء عليهم السلام ومقامات الأولياء واختلاف الفقهاء، ولولا عناية أصحاب الحديث بضبط السُّنَنِ وجمعها واستنباطها من معادنها والنَّظَرُ في طُرُقِها لَبْطُلَتِ الشريعة وتعطلت أحكامها إذ كانت مُسْتَخْرَجَةً من الآثار¹ المحفوظة، ومُسْتَفَادَةً من السُّنَنِ المنقولة؛ فمن عرف للإسلام حقَّه وأوجب للدين حرمة أكبر أن يَحْتَقِرَ من عَظَّمَ الله شأنه وأعلى مكانه وأظهر حجَّته وأبان فضيلته ولم يَرْتَقِ بِطَعْنِهِ إلى حِزْبِ سَيِّدِنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباع الوحي وأَوْعِيَةِ الدِّينِ وَخَزَنَةِ الْعِلْمِ الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾² الآية. وكفى المحدث شرفاً أن يكون اسمه مقروناً باسم سَيِّدِنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره متصلاً بذكره: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾³ الآية⁴.

¹ - الأثر: الخبر، والآثار: الأعلام. والأثر: بفعل الحديث وروايته. جمعه: آثار وأثر. والحسين بن عبد الملك، وعبد الملك بن منصور: الأثران: مُحَدَّثَان. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص: 341.

² - سورة التوبة، الآية: 100.

³ - سورة الجمعة، الآية: 04.

⁴ - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، د.ت، دار المعارف العثمانية، الهند-حيدر آباد، 1357هـ، ص-ص 5 - 6.

لقد أثبت العلم والتاريخ أنّ منهج أهل السنة والجماعة في التدوين التاريخي هو أصحّ المناهج وأعدلها، وهذا لعدّة اعتبارات منها أنّ هذا المنهج تمّ استقاؤه من المدرسة الأولى في صدر الإسلام في تدوين التاريخ التي بُنيت على العلم والصدق والأمانة في الأخذ والتلقين، وهذا تركيّة من ربّ العالمين ورسوله الأمين صلى الله عليه وسلم بنصوص الكتاب الكريم والسنة الشريفة، وزرعوا هذه الأسس في أجيال الطبقات المتوالية كابرا عن كابر، ومثّل هذه المدرسة كبار العلماء من المؤرّخين الذين جمعوا فنون العلم وآلات الفهم فاستطاعوا أن يُمَحِّصُوا الحقيقة ويَنَخلوها، ويقفوا على أصول الوقائع والأحداث ويتعرّفوا على غوامضها، ولم يُطلقوا العنان لأهوائهم في كتابتهم للتاريخ وراعوا في ذلك الضوابط الشرعية من جهة والضوابط الأخلاقية من جهة أخرى وعمّموا ذلك في سائر الأمصار، ومن رأوا فيه انحراف عن هذا النهج قوّموه وأرجعوه إلى مصاف الاعتدال؛ وليس هذا فحسب فقد عمّد المحقّقون وأهل الضبط إلى استحداث علوم جديدة شديدة الدقّة في حفظ الرواية التاريخية ومنها علم الجرح والتعديل الذي ينظر في مُتون الروايات وروّاتها فبدؤوا بأحاديث سيّدنا النّبّي صلى الله عليه وسلم، وانتقلوا إلى باقي العلوم ومن أوائلها علم التاريخ؛ فحفظوا بذلك الحقيقة العلمية من أن تطالها يد التزييف والكذب. يضاف إلى هذا ظهور علم السند الذي اختصّ المسلمون به ولم يكن عند غيرهم أو بالأحرى لم يكتمل عند باقي الأمم كما اكتمل عند أمة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم؛ فتشرّف الرواة والأخباريون والمؤرّخون بذكر أسمائهم ضمن سلسلة السند المتّصل بسيد من روى عن ربّ العالمين صلوات ربّ وسلامه عليه.



❖ الفصل الرابع: مناهج الكتابة التاريخية عند الشيعة والخوارج.

❖ أولا: تاريخ ظهور فرق الشيعة ومزاعمها.

❖ ثانيا: منهج الخوارج في التدوين التاريخي.

❖ ثالثا: منهج الشيعة والخوارج في المسانيد

والمؤلفات التاريخية.



يُعتبر الانقسام الذي عرفه المسلمون في عصرهم الأول واحدا من الأحداث التي كان لها بالغ التداعي في صفوفهم، وكان سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تكلم وأنبا بهذا الانقسام قبل وفاته في أحاديث شريفة سمعها أصحابه رضوان الله تعالى عنهم وفهموا معناها والمغزى من ذكرها وكيفية النّجاة من هذا الانقسام الحسيّ والمعنويّ الذي كان ينخر ولا يزال جسد الأمة إلى يوم الناس هذا، ونتج عنه مجموعة من الفرق منها فِرَقَتَي الشيعة والخوارج اللّتين بدأ بظهورهما عهد جديد من عهود المسلمين، ووجّه الجدّة فيه هو الوقوف على أسباب بروز هذه الفرق وكيفية التعامل معها ومع ما حملته من معتقدات وأفكار ومقالات يراها السواد الأعظم من الأمة شذوذا عن الطريقة السويّة التي عبّر عنها سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبّة البيضاء التي تركنا عليها، ورأى العلماء أنّه من الواجب التصدّي لمثل هذا الحدث الخطير لرأب الصدع وحفظ البقيّة الباقية من إرث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وميراث النبوة الذي ورثوه عليه، وقد طالت مقالات الفرق وتأويلاتها النصوص الشريفة من الكتاب والسنة ورُموزا في تاريخ الإسلام، وكان منهم المؤرخون الذين لم يتنصّلوا من المرجعية التي ينتمون إليها ومنعكس ذلك مؤلفاتهم التي تشهد عليهم على مدى قرون من الزمان من حيث تأثرهم برؤوس هذه الفرق الأوائل الذين أحدثوا ما أحدثوا بين الأظهُر وبين طيّات الكتب.

أولاً: تاريخ ظهور فرق الشيعة ومزاعمها

1_ الظهور التاريخي لفرق الشيعة

يقول عبد الرحمن ابن خلدون: أعلم أن الشيعة لغة: هم الصحب والأتباع، ويطلق في عُرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع سيّدنا عليّ وبنيه رضي الله عنهم، ومذهبهم جميعاً متفقين أن الإمامة¹ ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعيّن القائم بها تعيينهم، بل هي ركن الدّين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبيّ إغفاله، ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وأن عليّاً رضي الله عنه هو الذي عيّنه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤوّلونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة² السنّة ولا نقل الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة، وتنقسم هذه النصوص عندهم إلى جليّ وخفي³.

وكان أول ما ظهر عقب فتنة أمير المؤمنين سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه شيعة الإمام علي بن أبي طالب، وحزب معاوية رضي الله عنهما ثم ظهر الخوارج بعد وقعة "صفين"⁴.

¹ _ الإمامة: رئاسة عامة في أمور الدّين والدنيا، وخلافة سيّدنا الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الدّين بحيث يجب إتباعه على كافة الأمة. ينظر: عَضُدُ الله والدّين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المواقف في علم الكلام، د ط، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص 395.

² _ جَهَابِذَة: الجِهْبُذُ والجِهْبَاز: جمعها جهابذة. والجهابذة: النّقاد الخبير بغوامض الأمور، ينظر: المعجم الوسيط، مجمّع اللغة العربية بمصر، ص 141.

³ _ أبو زيد ولي الدّين عبد الرحمن بن محمّد ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تصحيح أبو صهيب الكرمي، د ط، بيت الأفكار الدولية، الأردن، د ت، ص 101.

⁴ محمد عجاج، أصول الحديث، ص 418.

لم تزل الشيعة منذ مقتل سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه تدعو إلى إمام معصوم، يقوم بالحق على زعمهم، فترسل دعاة إلى سائر النواحي، فلا ينجح لهم سعي، واختاروا رجلا على أن يرسلونه داعيا إلى المغرب يدعو الناس إلى التدين بحبّ أهل البيت، وكان يسمى أبو عبد الله الصنعاني¹. فلما صحّ عنده أن ليس في قبائل إفريقية أكثر عددا ولا أشدّ شوكة ولا أصعب مراما على السلطان من كتامة² قال لهم: ".... إنما نحن أنصار أهل البيت، وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة أنكم أنصارنا والمقيمون لدولتنا..."³

قال القاضي عياض رحمه الله (ت 544هـ/1149م): "كان أهل السنة أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والشرّ كأنهم ذمّة، يجري عليهم في كثرة الأيام محن شديدة، ولما أظهر بنو عبيد أمرهم ونصبوا حسينا الأعمى السباب - لعنه الله تعالى - في الأسواق للسبّ بأسجاع لقنّها يتوصّل منها إلى سبّ سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم - والعياذ بالله - في

¹ - أبو عبد الله الصنعاني الشيعي: داعية الشيعة بالمغرب، وكان رجلا ذا فهم وفصاحة، وجدل ومعرفة، التقى قوما من أهل المغرب نحو عشرة رجال من قبيلة كتامة بموسم الحج، ادعى الصنعاني أنه معلّم الصبية القرآن الكريم، فرغبوه أن يصل معهم إلى القيروان، ولما صحّ عنده أنه ليس في قبائل إفريقية أكثر عددا، ولا أشدّ شوكة، ولا أصعب مراما على السلطان من كتامة أظهر أمره بأنه من أنصار أهل البيت وأن كتامة هي المقيمة لدولتهم. ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار إفريقية والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج1، ص ص 124-127.

² - كُتامة: اسم قبيلة كبرى بالمغرب وهم أبناء كتام أو كتم بن برنس، ويقال: أنها اسم علم لجد هذه القبيلة أو بمعنى الكتمان، أو نسبة إلى الكتيم: وهم سكان إيطاليا المحتكون بالقرطاجيين أو القطيم: بمعنى الشذوذ الخلقي، وكتامة اسم قبل الفتح لأناس يعيشون ضمن نظم خاصة بمناطقهم المعروفة، وبطونها جميعا تنفر عن ولديه الاثنين غرسن وسيودة. ينظر: بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية، د ط، دار الكتاب الري، القبة - الجزائر، 2007م، ص 681/بن حماد، أخبار بني عبيد، ص 38.

³ - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج1، ص ص 124-127.

ألفاظ حفظها. وعُلِّقَت رؤوس الأكباش والحُمر على أبواب الحوانيت على قراطيس معلقة مكتوب فيها أسماء الصحابة رضوان الله عليهم، اشتد الأمر على أهل السنة فمن تكلم أو تحرك قتل ومثل به¹.

والعبيديون إنما سمتهم بالفاطميين جَهْلَةً العوام، وإلا فجدهم مجوسي، قال القاضي عبد الجبار البصري²: اسم جد الخلفاء المصريين سعيد، وكان أبوه يهوديا حدّادا نشابة³، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني⁴ القدّاح جدّ عبيد الله الذي يسمى:

¹ _ أبو محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، كتاب الجامع، تحقيق محمّد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، ط3، مؤسّسة الرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، 1403هـ/1983م، ص ص 16-17.

² _ القاضي عبد الجبار البصري: ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، العلّامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسين الهمداني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، سمع من علي بن إبراهيم بن سلمة القطان ومن عبد الله بن جعفر بن فارس بأصبهان، ومن الزبير بن عبد الواحد الحافظ، وعبد الرحمن بن حمدان الجلاب حدّث عنه: أبو القاسم التنوخي، والحسن بن علي الصيرمي الفقيه، وأبو يوسف عبد السلام القزويني المفسّر، وجماعة. تولّى قضاء القضاة بالريّ، وتصانيفه كثيرة، تخرّج به خلق في الرأي الممقوت. مات سنة 415هـ/1024م، ينظر: الذهبي، السير، ج17، ص244.

³ _ نَشَابَةٌ: النّشَاب: النّبل، الواحدة، والنّشَاب: مُتَّخِذُهُ، وقوم نَشَابَةٌ: يرمون به، والنّاشب: صاحبه. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص137.

⁴ _ القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني: الإمام العلّامة، أوحد المتكلمين، مُقَدِّمُ الأصوليين، القاضي أبو بكر محمّد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، وكان مَضْرِبُ المثل بفهمه وذكاءه، سمع أبا بكر أحمد بن جعفر القطيعي، وأبا محمد بن ماسي، وطائفة. وخرّج له أبو الفتح بن أبي الفوارس. وكان ثقة إماما بارعا، صَنَّفَ في الردّ على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنّه من نُظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحاب أبي الحسن، وقد ذكره القاضي عياض فقال: هو الملقّب بسيف السنّة، ولسان الأئمّة، المتكلم على لسان أهل الحديث، وطريق أبي الحسن وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة، حدّث عنه: الحافظ أبو ذرّ الهروي، وأبو جعفر محمد بن أحمد السمناني، وقاضي الموصل، والحسين بن حاتم الأصولي. قال الخوارزمي: حوى=

بالمهدي¹ وكان مجوسيا، ودخل عبيد الله المغرب وادّعى أنه علوي²، ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وسماهم جهلة الناس الفاطميين، قال ابن خلكان³: أكثر أهل العلم لا يصحّون نسب المهدي عبيد الله جدّ خلفاء مصر، حتى أن العزيز بالله ابن المعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات:

إِنَّمَا سَمِعْنَا نَسَبًا مِّنْكَرًا *** يُتْلَى عَلَى الْمُنْبَرِ فِي الْجَامِعِ

صدره علمه وعلم الناس، وقال: أبو محمّد الياقي: الباقلاني أفصح الناس. قال محمود القزويني: كان أكثر الناس ورعا ودينا، توفي رحمه الله سنة 403هـ/1012م. ينظر: الذهبي، السير، ج17، ص190.

¹ _ **عُبَيْدُ اللَّهِ الْمَهْدِي**: ولد بسلامية من أرض الشام، وقيل ببغداد سنة 260هـ/873م، نزل مصر فارّا من العباسيين حتى وصل إلى سجلماصة، ونزل بقرادة إلى أن بني المهديّة نسبة إلى نفسه، بعد أن قتل الداعية أبا عبد الله وأخاه أبا العباس بن زنادة، وكان أبو عبيد الله قد قاد الأجناد، واستفتح المدن وملك البلاد، ووطئ إفريقية وملكها عنوة. توفي سنة 322هـ/933م، ينظر: أبو عبد الله محمّد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، د.ط، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1401هـ، ص35.

² _ **العلوية**: هذه النسبة إلى أربعة رجال أحدهم: أمير المؤمنين سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وفي أولاده كثرة. **والثاني**: إلى بطن من الأزد، يقال لهم بنو عليّ، ينسب إليهم سلّم العلويّ، يروي عن سيّدنا أنس رضي الله عنه، روى عنه جرير بن حازم، ضعّفه شعبة ووثقه ابن معين. **والثالث**: ولّد عليّ بن سود، منهم خالد بن يزيد العلويّ، روى حكاية عن الحسن البصري، روى عنه الأصمعي. **والرابع**: من مذحج بنو عليّ، ينسب إليهم جندب بن سرحان المذحجي العلويّ، روى عنه ابن لهيعة. ينظر: السمعاني، الباب في تهذيب الأنساب، ج2، ص353.

³ _ **ابن خلكان**: قاضي القضاة شمس الدّين ابن خلكان أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن خلكان أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، ولد بإربل سنة 608هـ/1211م، وسمع بها "صحيح البخاري" من أبي محمّد بن هبة الله بن مكرم الصوفي وأجاز له المؤيّد الطوسي وعبد المعز الهروي، وزينب الشعرية، روى عنه المزي والبرزالي والطبقة، وكان فاضلا بارعا متقنّا عارفا بالمذهب حسن الفتاوى جيّد القريحة بصيرا بالعربية علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، كثير الاطلاع، حلو المذاكرة وافر الحرمة فيه رئاسة كبيرة، له كتاب "وفيات الأعيان"، وقد اشتهر كثيرا وله مجاميع أدبية، وقد تفقّه بالموصل على كمال الدين بن يونس، وأخذ بحلب عن القاضي بهاء الدين بن شداد وغيرهما، ناب بمصر في القضاء، ثم قدم الشام على القضاء، توفي 681هـ/1282م، ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات، ج7، ص201.

إِنْ كُنْتُ فِيمَا تَدَّعِي صَادِقًا *** فَادْكُرْ أَبَا بَعْدَ الْأَبِ السَّابِعِ
 إِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَ مَا قُلْتَهُ *** فَانْسُبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ
 أَوْ لَا دَعِ الْأَنْسَابَ مَسْتُورَةً *** وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ
 فَإِنَّ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ *** يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ¹.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: "كان المهدي عبيد الله باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه، وأباحوا الخمر، والفروج، وأشاعوا الرّفْضَ"، وقال الذهبي: "كان القائم بن المهدي شراً من أبيه زنديقاً ملعوناً أظهر سب ساداتنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - والعياذ بالله - وقال: كان العبيديون على ملة الإسلام شراً من التتار²، وقال أبو الحسن القاسبي³: "إن الذين قتلهم عبيد

¹ - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، تعليق محمود رياض الحلبي، ط4، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ/1999م، ص12.

² - التتار: أو التتار إما نسبة إلى مدينة قازان - المغول - الذين غزوا روسيا وبلاد أوروبا الشرقية في القرن 13م. أو خليط من القبائل التركية اليوم في وسط نهر الفولجا وغزاة المغول. أو سلالة البولجار الذين اكتسبوا من المغول مجرد اسم: التتار، وعاشوا وسط آسيا بين نهري سيحون وجيحون من الغرب حتى حدود الصين حتى أقصى الشمال الشرقي للصين، وغزا مؤسس الدولة المغولية "جنكيز خان" المسلمين وتمكنوا فيما بعد من إسقاط الخلافة العباسية بقيادة حفيد جنكيز خان "هولاكو" في سنة 656هـ/1258م، ينظر: أبرار كريم الله، من هم التتار، ترجمة وتعليق رشيدة رحيم الصيروت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1994م، ص17/إسماعيل عبد العزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، إشراف أحمد محمد العسال وعبد الستار فتح الله سعيد، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1404هـ/1984م، ص ص 17-78.

³ - الإمام أبو الحسن القاسبي: علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القاسبي الفقيه رحمه الله قيرواني الأصل، سمع بإفريقية من الأبياني، والتجيب، والعسال، وابن هلال، والسبائي، وابن يونس اليحصبي، والدباغ وعليه اعتماده، والخولاني، وبالإسكندرية سمع الحديث من الثاباني، وسمع بمصر وبمكة المكرمة من جماعة يكثر عددهم، ثم عاد إلى القيروان وسمع منه خلق كثير منهم: أبو عمران الفاسي، وابن عبد الرحمن، والليبي، والمالكي، وحسن بن خلدون، وابن الكاتب، ومحمد الداني، وله تواليف منها: الممهّد، والملخص، والمنبّه، والمُبعد من شبه التأويل، في الاعتقادات، ورسالة الناصرة، وفي الذكر والدعاء، والمناسك، وأحمية الحصون، وأحوال المعلمين والمتعلمين، وقد أشغلته العبادة عن=

الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ليردّوهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت، ولم يكن رافضيا فقط، ولكنه زنديق". وكان أبو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية يرى الموت خير من الإكراه على الدخول في دعوتهم، وإلا الفرار لتعطيلهم الشريعة. قال يوسف الرعيني¹ أجمع العلماء بالقيروان على أن حال بني عبيد حال المرتدين الزنادقة، لما أظهروا من خلاف الشريعة، وقال ابن خلكان: وقد كانوا يدّعون علم المعيّبات².

2_ مزاعم الشيعة في الأصول التاريخية

واختلف الشيعة الروافض في القرآن الكريم هل زيد فيه أو نُقصَ منه، ففرقة منهم يزعمون أن القرآن الكريم قد نقص منه، وأما الزيادة فذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكذلك لا يجوز أن يكون قد غُيّرَ منه شيء كما كان عليه، فأما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه والإمام يحيط علما به، وفريق منهم: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة يزعمون أن القرآن ما نقص منه ولا زيد فيه، وأنه على ما أنزل الله تعالى على نبيّه عليه الصلاة والسلام لم يُغيّر ولم يُبدّل ولا زال عما كان عليه³.

=التأليف، ان عالما عاملا جمع العلم والعبادة والورع والزهد والإشفاق والخشية ورقّة القلب ونزاهة النفس ومحبة الفقراء، حافظا لكتاب الله ومعانيه وأحكامه حافظا للسنة، عالما بعلوم الحديث، سلّم له أهل عصره في العلم والدين والفضل، وكان صابرا، متهجّدا، مُرفقا بأهل الذنوب، كريما، قانعا، كَتوما، خدوما متواضعا، مجاب الدعاء. توفي رحمه الله سنة 403هـ/1012م، وقبره مزار يُتبرّك به، ينظر: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدّباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلّق عليه أبو الفضل أبو القاسم عيسى بن ناجي التّوخي، تصحيح إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1388هـ/1968م، ج3، ص134.

¹ الإمام يوسف الرعيني: لم أقف على ترجمته.

² السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ص 12-13.

³ _ أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص47.

وقد طعن الرافضة -قبحهم الله- في القرآن الكريم، وقالوا: إن الواحد يكفي في نقل الآية والحرف¹.

واختلفت الروافض في الناسخ والمنسوخ هل يقع ذلك في الأخبار أم لا؟ وهم فرقتان: **الفرقة الأولى** منهم: يزعمون أن النسخ قد يجوز أن يقع في الأخبار فيُخبر الله سبحانه أن شيئاً يكون ثم لا يكون، وهذا قول أكثر أوائلهم وأسلافهم. **والفرقة الثانية** منهم: يزعمون أنه لا يجوز وقوع النسخ في الأخبار، وإن يخبر الله سبحانه أن شيئاً يكون ثم لا يكون لأن ذلك يوجب التكذيب في أحد الخبرين².

وغلاة الروافض أشباه المغيرة³ والمنصورية⁴ والخطابية⁵ كَفَرُوا بدعواهم إلهية الأئمة، وتشبيههم الصانع سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً بصورة الإنسان، وتكفيرهم أختار الصحابة رضوان الله عليهم،

¹ _ أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص92.

² _ أبو الحسن الشعري، مقالات الإسلاميين، ص53.

³ _ **المغيرة**: أصحاب المغيرة بن سعيد، يزعمون أن الإمام بعد علي بن الحسين ابنه: محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر، وأن أبا جعفر أوصى إلى المغيرة بن سعيد، فهم يَأْتُمُون به إلى أن يخرج المهدي والمهدي فيما زعموا هو محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عنهم، وزعموا أنه حيٌّ. ينظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص ص 23-24.

⁴ _ **المنصورية**: أصحاب أبي منصور يزعمون أن الإمام بعد أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي "أبو منصور" القائل: "آل محمد هم السماء والشيعة هم الأرض"، وزعم أنه عُرِّجَ به إلى السماء وأن معبوده مسح رأسه بيده وأرسله إلى الأرض ليلبغ عنه، وادّعى أبو منصور أن الرسل لا تنقطع أبداً، وكَفَرَ بالجنة والنار، وأَسْتَحَلَ ما حَرَّمَ الله، وأسقط الفرائض، واستحلَّ خَنَقَ المنافقين وأخذ أموالهم، فأخذه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام بني أمية فقتله. ينظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص ص 9-10.

⁵ _ **الخطابية**: أصحاب أبي الخطاب بن أبي زينب، يزعمون أن الأئمة أنبياء ورسول فيهم ناطق وصامت فالناطق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والصامت سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزعموا أن أبا الخطاب نبيٌّ، وقالوا الأئمة آلهة، وقالوا وَلَدُ الحسين أبناء الله وأحبّاءه وعبدوا أبا الخطاب وزعموا أنه=

فلا يَقتدي بهم من يكفّرهم¹.

بقي الحديث النبوي الشريف صافيا لا يعتريه الكذب، ولا يتناوله التحريف² والتلفيق³ طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الأربعة الراشدين رضوان الله عليهم، قبل أن تنقسم إلى شيع وأحزاب⁴، وقبل أن يندس في صفوفها أهل المصالح والأهواء، وقد كان للخلاف بين أمير المؤمنين سيّدنا عليّ بن أبي طالب، وأمير الشام سيّدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أثر بعيد في انقسام الأمة ونشأة الأحزاب والفرق الدينية والسياسية المختلفة- وقد حاول بعض أتباع كل حزب أن يدعم ما يدّعي بالقرآن والسنة، ومن البديهي

=إله، وأن جعفر بن محمد إلهم أيضا إلا أن أبا الخطاب أعظم منه ومن عليّ، وخرج أبو الخطاب على أبي جعفر المنصور فقتله عيسى بن موسى. ينظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 10-11.
¹ _ البغدادي، الملل والنحل، ص 155.

² _ التَّحْرِيف: تحريف الكَلِم عن مواضعه: تغييره، والتَّحْرِيف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها، وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهود تغيّر معاني التوراة بالأشباه، فوصفهم الله بفعلهم قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ النساء آية 46. وقوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: آمنت بمحرّف القلوب، هو المزيل، أي مُميلها ومُزيغها وهو الله تعالى، وقال بعضهم: المحرّك، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج2، ج9، ص839.

³ _ التَّلْفِيق: لَفَقَ الأمر: طلبه فلم يدركه، وأحاديث ملفّقة: مُرْخَرفة. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص922.

⁴ _ الأحزاب: الحزب: الوزْد، والطائفة، والسلاح، وجماعة الناس، والأحزاب: جمعه، وجمّع كانوا تألّبوا وتظاهروا على حزب سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم، وجُنْد الرجل، وأصحابه الذين على رأيه. ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ غافر، الآية: 30: هم قوم سيّدنا نوح عليه السلام وعاد وثمود، ومن أهلكه الله من بعدهم، وحازبوا وتَحَزَّبوا: صاروا أحزابا. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص73.

أن لا يجد كل حزب ما يؤيد دعواه في نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، فتأول¹ بعضهم القرآن، وفسرّوا بعض نصوص الحديث بما لا تحتمله، ولما لم يجد بعضهم في هذين الأصلين سبيلاً إلى غايته، لكثرة حفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لجأ إلى وضع² الحديث والكذب على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فظهرت أحاديث في فضائل الخلفاء والراشدين الأربعة وغيرهم من رؤساء الفرق وزعماء الأحزاب، كما ظهرت أحاديث صريحة في دعم المذاهب والفرق الدينية والسياسية وغير ذلك³.

ولا التفات لما وضعه الواضعون، واختلقه المختلقون، من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة، في فضل سور القرآن الكريم، وغير ذلك من فضائل الأعمال، وقد ارتكبتها جماعة كثيرة، اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها. فمن قوم من الزنادقة مثل المغيرة بن سعيد الكوفي⁴،

¹ _ التأويل: أول الكلام تأويلاً وتأويله: دبره، وقدره، وفسره. والتأويل: عبارة الرؤيا. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 963.

² _ الوضع: وضعه: حطه، والأحاديث الموضوعة: المُخْتَلَقَةُ، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ص 775 - 776.

³ _ محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ط1، 1986هـ/1967م، ط2، 1391هـ/1971م، دار الفكر، دمشق، ص - ص 415-416.

⁴ _ المغيرة بن سعيد الكوفي: الرافضي الكذاب، عن حماد بن زيد قال: إياكم والمغيرة بن سعيد وأبا عبد الرحيم فإنهما كذابان. وقال جرير بن عبد الحميد: كان المغيرة بن سعيد كذاباً ساحراً. وقال الجوزاني: قُتل المغيرة على ادعاء النبوة: كان أشعل النيران بالكوفة على التمويه والشعبذة حتى أجابه خلق، قتله الوالي خالد بن عبد الله القسري في حدود 120هـ/737م. ينظر: أبو عبد الله محمد شمس الدين بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، د ط، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج4، ص ص 160-162.

وبن سعيد الشامي¹ المصلوب في الزندقة، وغيرهما، وضعوا أحاديث وحدثوا بها، ليوقعوا بذلك الشك في قلوب الناس².

ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبة³ كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال وقيل لأبي عصمة وقيل لأبي عصمة من أين لك في فضل سور القرآن سورة، سورة فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة، ومغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة⁴.

ومنهم الكيسانية وهم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان يُقال له كيسان، وقيل: إنه أخذ مقالته عن مولى لعلّي رضي الله عنه كان اسمه كيسان، وافترقت الكيسانية فرقا يجمعها شيئان: أحدهما: قولهم بإمامة محمد بن الحنفية⁵ وإليه كان يدعو المختار بن أبي

¹ - ابن سعيد الشامي: قال الإمام ابن حجر: لعلّه المصلوب، عن أبي كبشة الأنماري قال الدارقطني: متروك، وقال نحو ذلك الإمام الذهبي. ينظر: ابن حجر، لسان الميزان، ج7، ص153/الذهبي، ميزان الاعتدال ج3، ص564.

² القرطبي، الجامع، ج1، ص ص 122-123.

³ الحسبة: وهي ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي نظام الرقابة على سير الحياة العلمية والاقتصادية والاجتماعية بطريقة تجعلها في إطار قواعد الشرع الإسلامي، وفي نطاق المصلحة العامة للمجتمع. ينظر: أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، كتاب الولايات، نشر وتعليق محمد الأمين بلغيث، د ط، لافوميك، الجزائر، 1985، هامش الصفحة 28.

⁴ القرطبي، الجامع، ج1، ص ص 123-124.

⁵ - محمد بن الحنفية: السيد الإمام أبو القاسم وأبو عبد الله، محمد بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أبو الحسن والحسين، وأمه من سبي الإمامة زمن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وهي خولة بنت جعفر الحنفية، روى عن عمر، وعن أبيه، وعن أبي هريرة، وعثمان وعمار بن ياسر، ومعاوية وغيرهم. روى عنه: بنو عبد الله والحسن، وإبراهيم، وعون، وسالم بن أبي الجعد، ومنذر الثوري، وأبو جعفر الباقر، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وعمرو بن دينار، ومحمد بن قيس بن مخرمة، وعبد الله الأعلى بن عامر الثعلبي، وآخرون. ووفد على معاوية وعبد الملك بن مروان، وكانت الشيعة تتغالي فيه، وتدّعي إمامته، ولقبوه بالمهدي، ويزعمون أنه لم يمت، وسمّته الشيعة المهدي. قال إبراهيم بن الجنيد: لا=

عبيد، والثاني: قولهم بجواز البداء¹ على الله - والعياذ بالله - تعالى الله عز وجل، ولهذه البدعة قال بتكفيرهم كل من لا يجوز البداء على الله سبحانه².

ومن فرق الرفض الجارودية من الزيدية أتباع المعروف بأبي الجارود³، وقد زعموا أن سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم نصّ على إمامة سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالوصف دون الاسم، وزعموا أيضا أن الصحابة رضوان الله عليهم - وحاشاهم - كفروا بتركهم بيعة عليّ، وقالوا أيضا إنّ الحسن بن علي كان هو الإمام بعد عليّ، ثم أخوه الحسين كان إماما بعد الحسن رضي الله عنهم أجمعين. فهذا قول الجارودية، وتكفيرهم واجب، لتكفيرهم أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم⁴.

=نعلم أحدا أسند عن سيّدنا عليّ رضي الله عنه أكثر ولا أصحّ مما أسند ابن الحنفية. قال إسرائيل: كان محمد ورعا كثير العلم، وكانت راية أبيه معه لما سار والده من ذي قار. من كلامه: من كرّمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده مقدار. وعنه: أن الله جعل الجنة ثمنا لأنفسكم فلا تتبعوها بغيرها. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص ص 110-129.

¹ _ البداء: بدا لي بداء أي تغيّر رأيي على ما كان عليه، ويقال بدا لي من أمرك بداء أي ظهر لي. وفي حديث الأبرص والأقرع والأعمى: «بدا لله عز وجل أن يبتليهم» أي قضى بذلك، قال ابن الأثير: وهو معنى بداء ها هنا لأن القضاء سابق. والبداء: استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم، وذلك على الله غير جائز. قال الفراء: بدا لي بداء، أي ظهر لي رأي آخر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ج5، ص234.

² _ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ص 38-39.

³ _ أبو الجارود: الجارودية: فرقة من الزيدية الشيعة نسبت إلى أبي الجارود، زياد بن أبي زياد، وأبو الجارود وهو الذي سمّاه الإمام الباقر سرخوبا، وفسّره بأنه شيطان يسكن البحر، ويقال له: زياد بن المنذر الهمداني، ويقال: الهندي، ويقال الثقي أبو الجارود الأعمى، الكوفي. ذكره الإمام البخاري في فصل من مات من الخمسين ومائة إلى الستين. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 30.

⁴ _ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ص 30-32.

وعن أبي معاوية عن الأعمش¹ قال: أول من سمعته ينتقص أبا بكر وعمر المغيرة المصلوب، وكان يكذب على أهل البيت هو وبنان ابن سماعان وكان يلعن أبا بكر وعمر - والعياذ بالله - رضي الله عنهما، ويُنكر عليه آل البيت أشدَّ الإنكار فعَلَّهُ هذا. وقال الأعمش: أثناني المغيرة بن سعيد، فذكر علياً رضي الله عنه وكرم الله وجهه وذكر الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ففضّله عليهم. قال ابن عدي²: لم يكن بالكوفة ألعن من المغيرة بن سعيد فيما يُروى عنه من الزور عن سيدنا علي رضي الله عنه؛ هو دائم الكذب على أهل البيت، ولا أعرف له حديثاً مُسنداً، وقال ابن حزم: قالت فرقة عادية³ بنبوة المغيرة بن سعيد وكان - لعنه

¹ _ الأعمش: سليمان بن مهران، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي، الكاهلي، مولا هم الكوفي الحافظ، رأى أنس بن مالك رضي الله عنه وحكى عنه، وروى عن أبي وائل، وسعيد بن جبيرة، وزر بن حبيش، ومجاهد، وخيثمة، والشَّعبي، وخلق كثير من كبار التابعين وغيرهم، روى عنه الحكم بن عتيبة، وأيوب السخيتاني، وخالد الحذاء، وهم من أقرانه، وأبو حنيفة والأوزاعي، = وشعبة، وزائدة، وسفيان، وعبد الله بن إدريس، وابن عينية، وأحمد بن بشير، وعثام بن علي، وخلق كثير، قال سفيان بن عينية: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض، وقال يحيى القطان: هو علامة الإسلام. قال عبد الله الخريبي: ما خلف الأعمش أعبد منه، توفي رحمه الله سنة 148هـ/765م، الذهبي، السير، ج6، ص226.

² _ ابن عدي: الإمام الحافظ الناقد الجوال، أبو أحمد، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك ابن القطان الجرجاني، صاحب كتاب "الكامل": في الجرح والتعديل، وهو خمسة أسفار كبار، سمع بهلول بن إسحاق التنوخي، ومحمد بن يحيى المروزي، والحسن بن محمد المديني، وخلق كثير في الحرمين ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، والجلال، وطال عمره، وعلى إسناده، وجرح وعدل، وصحح وعلل، وتقدم في هذه الصناعة، حدث عنه شيخه أبو العباس، ومحمد بن عبد الله بن عبدكويه، وحمزة بن يوسف السهمي، وآخرون، كان ثقة عديم النظير في الحفظ والجلالة، مات رحمه الله سنة 365هـ/975م، ينظر: الذهبي، السير، ج16، ص154.

³ _ العداء: جماعة القوم يعدون لقتال، والعدوى الفساد، وعدا اللص على القماش: سرقه. وذنب عدوان. وعاداه عن الأمر عدوا وعدوانا: صرفه وشغله. والعادية والعداء: البعد، والشغل يصرفك عن الشيء. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس، ص1309.

الله - مولى جبلة¹ قتله الوالي خالد بن عبد الله القسري² وجميع أصحابه في حدود 120هـ/737م³.

وزعم فريق من الروافض أن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم -والعياذ بالله حاشاه أن يفعل- جائز عليه أن يعصي الله؟، فأما الأئمة⁴ فلا يجوز ذلك عليهم لأن سيّدنا الرسول صلى الله عليه وسلم إذا عصى فالوحي يأتيه من قِبَلِ الله، والأئمة لا يوحى إليهم ولا تهبط الملائكة عليهم وهم معصومون فلا يجوز عليهم أن يسهوا ولا يغلطوا وإن جاز على الرسول العصيان، والقاتل بهذا القول: "هشام بن الحكم"⁵.

والفرقة الثانية منهم يزعمون أنه لا يجوز على الرسول عليه السلام أن يعصي الله عزّ وجلّ ولا يجوز ذلك على الأئمة لأنهم جميعاً حُجِّجَ الله وهم معصومون من الزلّ، ولو

¹ - جَبَلَة: جبلة بالفتح: من حصون أُبَيّن باليمن. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص202.

² - الوالي خالد بن عبد الله القسري: الأمير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي أمير العراقيين لهشام ووليّ قبل ذلك مكّة المكرّمة للوليد بن عبد الملك ثم لسليمان. وكان جواداً مُمدّحاً عالي الرتبة، لكنه فيه نَصَبٌ معروف، وكان خالد على هِنَاتِهِ يرجع إلى إسلام، قال =القاضي ابن خلكان: كان يتّهم في دينه، بني لأُمّه كنيسة تتعبّد فيها. مات خالد القسري سنة 120هـ/737م ينظر: الذهبي، السير، ج5، ص425.

³ - الذهبي، ميزان الاعتدال، ج4، ص160.

⁴ - الأئمة: الإمام الذي يُقْتَدَى به، وجمعه أئمة. وإمام كل شيء: قِيَمُهُ والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيّدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعيّة، وإمام الجند قائدهم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج2، ص133.

⁵ - هشام بن الحكم الرافضي: قال الدار قطني: كان من شيوخ الشيعة، سكن بغداد وكان من كبار الرافضة ومشاهيرهم، وكان مُجَسِّماً، ويزعم أن علم الله مُحَدَّث، قال ابن قتيبة في "مُخْتَلَفِ الحديث" كان من الغلاة، ويقول بالجبر الشديد، ويبالغ في ذلك، ويُجَوِّزُ المحال الذي لا يتردّد في بطلانه ذو عقل، وكان يسكن الكرخ، كان حاذقاً في علم الكلام، له فيه مصنّفات كثيرة، مات بعد نكبة البرامكة بمديدة مستتراً، ويقال عاش إلى خلافة المأمون. ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، عناية عبد الفتّاح أبو غدة، إخراج وطباعة سلمان عبد الفتّاح أبو غدة، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2002/1423، ج8، ص334.

جاز عليهم السهو واعتماد المعاصي وركوبها لكانوا قد ساووا المأمومين في جواز ذلك عليهم، كما جاز على المأمومين ولم يكن المأمومين أحوج إلى الأئمة من الأئمة ولو كان ذلك جائزا عليهم جميعا، ومنهم من يقول أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كاتباً ويعرف الكتابة وسائر اللغات¹.

وأما الإسماعيلية الباطنية² فقد اتفقت أقاويل نقلة المقالات من غير تردد أنهم قائلون بالهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة: "السابق"، واسم المعلول: "التالي"، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي، لا بنفسه، وقد يسمى الأول: "عقلا" والثاني: "نفسا". ويزعمون أن الأول هو التام بالفعل، والثاني بالإضافة إليه ناقص، لأنه معلوله، وربما لبسوا على العوام مستدلين بآيات من القرآن الكريم عليه. فهذه عمدة معتقدهم، وزبدة مخضهم، فلنصرف العناية إليه، وما عداه فمقسم إلى هذيان ظاهر البطلان، وإلى كفر مستشرق من التثوية والمجوس في القول بالإلهين، مع تبديل عبارة "النور والظلمة" بـ: "السابق والتالي" إلى ضلال منتزع من كلام الفلاسفة³. ومعتقدهم في النبوات، والمنقول عنهم قريب من مذهب الفلاسفة، وهو أن النبي عبارة عن

¹ _ أبو الحسن الشعري، مقالات الإسلاميين، ص ص 48-50.

² _ الإسماعيلية الباطنية: الإسماعيلية: نسبة لهم إلى أن زعيمهم محمد بن إسماعيل ابن جعفر، ويزعمون أن أدوار الإمامة انتهت به، إذ كان هو السابع من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأدوار الإمامة سبعة عندهم؛ فأكبرهم يُثبتون له منصب النبوة، وأن ذلك يستمر في نسبه وأعقابه، وقد أورد أهل المعرفة بالنسب في كتاب: "الشجرة": أنه مات ولا عقب له رضي الله عنهم. وأما الباطنية: لدعواهم أن لظواهر القرآن الكريم والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جليلة، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة، فإن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف الشرعي واستراح من أعبائه، وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع. ينظر: الغزالي، فضائح الباطنية، ص 16.

³ _ محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، فضائح الباطنية، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، د.ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1383هـ/1964م، ص ص 38-40.

شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية مهياة لأن تَنْقَشَ عند الاتصال بالنفس الكلية، بما فيها من الجزئيات، كما قد يَتَّفِق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام حتى تشاهد من مجاري الأحوال في المستقبل: إما صريحا بعينه، أو مدرجا تحت مثال يناسبه مناسبة ما، فتفتقر فيه إلى التعبير، إلا أن النبي هو المستعد لذلك في اليقظة، وأن سيدنا جبريل عليه السلام هو عبارة عن العقل الفائض عليه، وهذه المذاهب أيضا مُستخرجة من مذاهب الفلاسفة في النبوات، مع تحريف وتغيير، وهذا مذهبهم الذي انفردوا به عن غيرهم، وهو إيجاب التعليم وإبطال الرأي¹.

3_ منهج الشيعة في الرواية التاريخية

والإمامية² يتساهلون في قبول رواية الإمامي ولو فسق³ بجوارحه أحيانا، ولا يتساهلون في قبول رواية غير الإمامي، ولو كان برا تقيا إلا إذا وثق. وهم لا يقبلون رواية المخالف، ولو كان من أهل السنة، وأنهم في ذلك على ثلاثة أقوال: القول الأول: أنه غير مقبول الرواية. والثاني: أنه مقبول الرواية إن وثق أو مدح من إمامي على نظر في ذلك، والثالث: أن يقبل إن وثق ومدح، وكان قد روى عن إمامي، وروى عنه إمامي⁴.

¹ _ محمد أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، ص - ص 40 - 42.

² _ الإمامية: هؤلاء الإمامية المخالفة للزيدية والكيسانية والغلاة: خمس عشرة فرقة: الكاملية، والمحمدية، والباقرية، والناووسية، والشميطة، والعمارية، والإسماعيلية، والمباركية، والموسوية، والقطعية، والإثنا عشرية، والهشامية، والزُرارية، واليونيسية والشيطنانية. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 53.

³ _ الفسق: التَّركُ لأمر الله، والعصيان والخروج عن طريق الحق، أو الفجور، كالفسوق. ﴿ذُ ذُ﴾ الآية: 121 سورة الأنعام: خروج عن الحق. وفسق: جارَ وعن أمر ربّه خرج. ومنه الفاسق: لانسلاخه عن الخير ورجل فسق: دائم الفسق، والتفسيق: ضدّ التعديل. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 918.

⁴ _ محمد أبو زهرة، الإمام الصادق، ص ص 390-393.

والشيعة الإمامية لهم شروط في الراوي أولاً: لا يقبلون أحاديث أهل السنة التي تتصل مباشرة بسيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم، بل لابدّ من توسّط أحد الأئمة من آل البيت. ثانياً: لا يقبلون رواية غير الإمامي عن أحد أئمتهم إلا إذا وجدت قرينة¹ ترجّح صدق روايته، ومن القرائن أن يكون متوسّطاً بين راويين كلاهما إمامي وذلك ليس مُجمَعاً عليه عندهم. ثالثاً: أن الراجح عندهم أن لا تقبل رواية غير الإمامي من غير حجة² أو قرينة³.

ومناهج أئمة أهل السنة هو النّظر الدقيق للرواة، ينظر المحدث إلى شخص الرجل، لا إلى رأيه، فإن كان رأياً منحرفاً في نظر المحدث، فإن ذلك لا يقدر في صدقه لأن الصدق ينبعث من الأمانة والخُلُق وقوة التديّن، والرأي ينبعث من النظر والاستدلال، وقد يخطئ الرجل في رأيه، ولكن ليس بمُتَّهم في صدقه وأمانته، ولعلّ الذين يجرحون من يكون له رأي يخالف رأي الجمهور دفعهم إلى ذلك ما كانوا يلاحظونه من بعض آحادٍ في الفرق المختلفة يدفعهم تعصّبهم لمذهبهم إلى الكذب على سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليؤيّدوا نحلهم، فلم يتّجهوا إلى دراسة الشخص، بل اتّجهوا إلى النّحلة والمذهب⁴.

قال الإمام القرطبي: فلو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد، وغيرهما من المصنّفات التي تداولها العلماء، ورواها الأئمة الفقهاء، لكان في ذلك غنيّة، وخرجوا عن تحذيره صلى الله عليه وسلم حيث قال: «اتّقوا الحديث عني إلّا ما علّمتم، فمن

¹ _ القرينة: القَرين: المُصاحب والمُقارن، والقرينة: الجبال الصغار يدنو بعضها من بعض، والقُرْناء من السُّور: ما يُقرأ بهنّ في كل ركعة. ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص1224.

² _ الحجة: البرهان، ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص183.

³ _ محمّد أبو زهرة، الإمام الصادق، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص384.

⁴ نفسه، ص394.

كَذَّبَ علي متعمداً، فليتبوأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». الحديث¹، فتخويفه صلى الله عليه وسلم أمته بالنار على الكذب دليل على أنه كان يعلم أنه سيُكذب عليه. فحذار ممّا وضعه أعداء الدين، وزنادقة المسلمين في مختلف الأبواب، وأعظمهم ضرراً أقوام من المنسوبين إلى الزهد²، وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم، ثقة منهم بهم، وركونا إليهم، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا³.

وقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله (ت 911هـ/1505م) في كتابه "الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة"، وأورد أحاديث وضعها غلاة⁴ الشيعة لتفضيل سيّدنا عليّ على سائر الصحابة رضوان الله عليهم، والكذب على سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصناعة الأحاديث على ما يوافق أهواءهم وزيجهم وتعصبهم لآل بيت سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم⁵.

¹ _ الحديث: أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي عن حديث سيّدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وقد ذكره المصنّف الإمام القرطبي بأطول منه، ص85، من كتاب الجامع، ينظر: الجامع القرطبي، ج1، ص126.

² _ الزُّهْدُ: زَهْدٌ فِيهِ: مَنَعَ، والزهد في الدين: ضِدُّ رَغَبٍ، والزهد: القليل. ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص286.

³ _ القرطبي، الجامع، ج1، ص126.

⁴ _ الغُلُو: غلا في الدّين والأمر يَغْلُوا غُلُوًّا: جاوز حدّه، وفي التنزيل: ﴿بِ ب ب ب﴾. وقال بعضهم: غلوت في الأمر غلوا وغلانية وغلانيا: إذ جاوزت فيه الحدّ وأفرطت فيه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج 5، ج37، ص 3290.

⁵ _ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، د.ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، 1395هـ/1975م، ج1، ص - ص 320-323.

وقال ابن أبي العوجاء¹ وهو من رؤوس الشيعة: "لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال، وأحلّ فيها الحرام". قال حماد بن زيد²: "وضعت الزنادقة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف حديث". ومنهم من كانوا يضعون الأحاديث نصرة لمذاهبهم، وعن حماد بن سلمة قال: "حدثني شيخ لهم يعني الرافضية قال: كنا إذا استحسنّا شيئاً جعلناه حديثاً". وقال الحاكم أبو عبد الله: "كان بن القاسم الطائفاني³

¹ _ ابن أبي العوجاء: الرافضي عبد الكريم بن أبي العوجاء، خال مَعْن بن زائدة، زنديق مُعْتَرٍّ، قال أبو أحمد بن عدي: "لما أخذ لتضرب عنقه قال: وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرم فيها الحلال، وأحلّ الحرام"، قتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالبصرة، وذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب "الأغاني": أنه أحد أصحاب الكلام الستة بالبصرة، وقال: كان ابن أبي العوجاء يفسد الأحداث أي - صغار السن - قيل وصلب في خلافة المهدي بعد (160هـ/776م). ينظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج5، ص 241-243.

² _ حماد بن زيد: ابن درهم، العلامة، الحافظ والثبّت، محدّث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الأعلام، أصله من سجستان، وسُيِّجَ جدّه "درهم" منها، سمع من أنس بن سيرين، وأيوب السختياني، وحاجب ابن المهلب بن أبي صفرة، ومحمد بن واسع، وداود بن أبي هند، وعبيد الله بن أبي بكر بن أنس، وخلق كثير، دَوَّنَ عنه: سفيان، وشعبة وهم من شيوخه، وعبد الله بن المبارك، ومحمد بن عبيد ابن حساب، وعلي بن المديني، وهو أكبر شيخ عنده، ومحمد بن النضر المروزي، وإسحاق بن أبي إسرائيل، والهيثم بن سهل خاتمة من روى عنه، وأُمِّم سواهم. قال يحي بن معين: ليس أحد أثبت من حماد بن زيد. قال عبد الرحمن ابن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة. وقال يحي بن يحي النيسابوري: ما رأيت شيخاً أحفظ من حماد بن زيد. وقال أحمد بن حنبل: حماد بن زيد من أئمة المسلمين، من أهل الدين. وقال عبد الرحمن بن مهدي: لم أر أحداً قطّ أعلم بالسنة، ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد، توفي رحمه الله سنة (179هـ/795م)، ولما سمع يزيد بن زريع بموته قال: اليوم مات سيّد المسلمين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص456.

³ _ ابن القاسم الطائفاني: بن القاسم بن مجمع الطائفاني، من أهل بلخ. قال ابن حبان: روى عنه أهل خراسان أشياء لا يحلّ ذكرها في الكتب. قال الحاكم: كان يضع الأحاديث، وله أحاديث مُخْتَلَفَةٌ. وقال الحاكم أبو أحمد: كان يُروى عن الطائفاني المناكير. قال أبو عبد الله: حدّث بنيسابور وفي طريق مكة =

من رؤساء المرجئة يضع الحديث على مذهبهم، وعن أبي أنس الحراني¹ قال: "قال المختار² لرجل من أصحاب الحديث: ضع لي حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كائن بعده خليفة مطالباً له بثلاثة³ ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم؛ فقال له الرجل: أما عن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم فلا، ولكن اختر من شئت من الصحابة وحطّ لي من الثمن ما شئت"⁴.

ومن شهادة العلماء والمحدثين في أبي الجارود قول سيدنا أحمد بن حنبل: متروك الحديث، وضعفه جداً. وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين: كذاب عدو الله ليس سوى فليسا، وقال يحيى: كذاب. وقال الدوري: كذاب. وقال الآجري مثل ذلك. وقال البخاري: يتكلمون فيه. وقال النسائي: متروك، وقال في موضع آخر ليس بثقة. وقال أبو حاتم: ضعيف. وقال يزيد بن زريع لأبي عوانة: لا يحدث عن أبي الجارود. وقال أبو حاتم بن حبان: كان رافضياً يضع الحديث في مثالب⁵ أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين، ويروي في فضائل أهل البيت رضي الله عنهم أشياء مالها

=المكرمة بأحاديث موضوعة. وكذا قال أبو نعيم. وعدّه الدارقطني في "الغرائب" من الضعفاء. وقال الجوزقاني: كان يضع الحديث ويكذب. ينظر ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج7، ص- ص 444-446.

¹ - أبو أنس الحراني: لم أقف على ترجمته.

² - المختار بن أبي عبيد الثقفي: وإليه تنسب المختارية إحدى فرق الشيعة، وكان خارجياً، ثم صار زُبيريّاً، ثم صار شيعياً وكُيسانياً، قال بإمامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكان يدعو الناس إليه، ويذكر علوماً من خُلفه بثُرّاهته ينوطها به، ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك تبرأ منه. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص171.

³ - ترة: الثَّر: فارسي معرّب، وهو بالعربية الإمام، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج1، ص427.

⁴ - الإمام السيوطي، الآلي المصنوعة، ج2، ص ص 468-469.

⁵ - المثالب: تَلَبَّه يَتَلَبَّه: لَامَهُ، وَعَابَهُ، وَهِيَ الْمُتَلَبُّةُ أَوِ الْمُتَلَبُّةُ، وَطَرَدَهُ، وَقَلَبَهُ، وَتَلَمَّه، وامرأة ثَالِيَةُ الشَّوْى: مُتَشَقِّقَةُ الْقَدَمَيْنِ. وَرَجُلٌ تَلَبَّ وَتَلَبَّ: مَعِيبٌ، يَنْظُرُ: الْفَيَرُوزُ أَبَادِي، الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ص ص 63-64.

وصول، لا يَحِلُّ كَتَبُ حديثه، قال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة، وعامة ما يرويه في فضائل أهل البيت، وهو من المعدودين من أهل الكوفة الغالين وأحاديثه عن من يروي عنه فيها نظر. قال فيه يحي بن يحي النيسابوري: يضع الحديث حكاه الحاكم في التاريخ. وقال ابن عبد البر اتفقوا على أنه ضعيف الحديث مُنْكَرُهُ ونسبه بعضهم إلى الكذب¹.

وأما معتقد الباطنية في الإمامة فقد اتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يُرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكالات في القرآن والأخبار والمعقولات، واتفقوا على أنه المنتصدي لهذا الأمر، وأن ذلك جاز في نسبهم لا ينقطع أبد الدهر، واتفقوا على أن الإمام يساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقائق الحق في كل الأمور، إلا أنه لا ينزل إليه الوحي. وقالوا لا بد للإمام من اثني عشر حجة - أي دُعاة - يُنتدبون في الأقطار متفرقين في الأمصار، ويرفعون إليه الأحوال، ولا بد للداعية ورسوله إلى الإمام المعصوم أن يكونا عالمين. وزعموا أن كل نبيٍ لشريعة مدّة، فإذا انصرمت مدّته بعث الله نبيّاً آخر ينسخ شريعته، وأن لكل نبيٍّ سوس، والسوس: هو الباب إلى علم النبي في حياته والوصي بعد وفاته، والإمام لمن هو في زمانه. كما قال عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»². الحديث، وزعموا أن سيّدنا آدم عليه السلام كان سوسه شيث³، وهو الثاني:

¹ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج3، ص ص 386-387.

² الحديث: عن سيّدنا ابن عباس رضي الله عنهما عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد بابها فليأت علياً». أخرجه الحافظ أبو محمّد الحسن بن أحمد السمرقندي في كتابه: "بحر الأسانيد في صحاح المسانيد"، والحاكم في: "مستدركة"، وقال حديث صحيح الإسناد، وأخرجه الطبراني في: "المعجم الكبير"، والخطيب في تاريخ بغداد، وغيرها من تخرجات الحديث. ينظر: أحمد بن محمّد بن الصديق الحسني المغربي الغماري، فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي رضي الله عنه، تحقيق عماد سرور، ط2، المكتبة التخصصية في الردّ على الوهابية، 1428هـ/2008م، ص ص 13-19.

³ نبي الله سيّدنا شيث عليه السلام: معنى شيث: هبة الله، وسماه أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام بذلك، لأنهما رزقاه بعد أن قُتل هابيل. ولما توفي سيّدنا آدم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة، جاءته =

ويسمى من بعده مُتَمًّا ولاحقاً وإماماً وجعلوا ذلك في عليّ وبنيه من بعده، وهكذا يدور الأمر أبد الدهر، وهذا ما نُقِلَ عنهم من خرافات كثيرة¹.

وأما الروافض فإن الكاملية² منهم يكفّرون الصحابة رضوان الله عليهم جميعهم، ويكفّرون سيّدنا علي رضي الله عنه معهم، وجمهورهم الأكبر من الإمامية يزعمون أن الصحابة كفروا إلّا ستّة منهم، والجارودية من الزيدية يكفّرون أكثر الصحابة، والإمامية منهم يقولون لا حجة إلا في قول الإمام، ولا يقبلون الروايات في أحكام الصحابة وآثارهم، فكيف يصحّ اقتدائهم بهم؟ بل هي اليوم من دينهم في النية إن يظّهر إمامهم³.

=الملائكة بخيوط وكفن من عند الله عزّ وجلّ، وعزّوا فيه ابنه ووصيّيه شيثا -عليهما السلام-. ينظر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، صحيح قصص الأنبياء عليهم السلام، ط1، غراس، الكويت، 1422هـ/2002م، ص43.

¹ _ الغزالي، فضائح الباطنية، ص ص 42-44.

² _ الكاملية: وهم أصحاب أبي كامل المكفّرون للناس بتركهم الاقتداء بسيّدنا علي رضي الله عنه، وأكفّروا عليّاً بترك الطلب، وأنكروا الخروج على أئمة الجور وقالوا: ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته. ينظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص17.

³ _ البغدادى، الملل والنحل، ص155.

ثانيا: منهج الخوارج في التدوين التاريخي

1_ طعون الخوارج في أصول التاريخ الإسلامي

والخوارج يقولون بخلق القرآن الكريم¹، وقال الإباضية بمقالات ومزاعم خالفوا فيها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وجمهور المسلمين من العلماء².

ومما ادعته الأزارقة أنهم بمنزلة المهاجرين من الصحابة رضوان الله عليهم، وأحدثوا أشياء منها أنهم حرّموا الرّجم³.

وسمّاهم الله عزّ وجلّ أهل زيغ في كتابه العزيز، أي مِيلٍ عن الحق من الكفار والزنادقة وجهلة أهل البدع، وأن فعلهم ذلك قصد الفتنة التي هي الشرك أو اللبس على المؤمنين أو قصدا لتأويل الآيات الكريمة المتشابهة بما يشتهونه فيفتنون به في بدعتهم، ثم أخبر سبحانه بأنه عزّ وجلّ استأثر بتأويلها ولا يعلمه إلا هو؛ فعن السيدة عائشة رضي الله عنها أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا

¹ _ بدعة خلق القرآن: بدعة خلق القرآن: الخلق: التقدير، والخالق في صفاته تعالى: المبدعُ للشيء، المُخترعُ على غير مثال سبق، قال محمد بن الحسين الآجري: اعلموا رحمتنا الله وإياكم أن قول المسلمين الذين لم يُزِغ قلوبهم عن الحق، ووقفوا للرشاد قديما وحديثا: أنّ القرآن الكريم كلام الله ليس بمخلوق، لأنّ القرآن من علم الله لا يكون مخلوقا تعالى الله عن ذلك، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 8890/الآجري، كتاب الشريعة، ص 489.

² _ الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص - ص 104 - 110.

³ _ نفسه، ص - ص 88 - 89.

أُولُو الْأَلْبَابِ¹ فقال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْقُرْآنِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».² الحديث³.

ثم أثنى على العلماء بالإيمان بها فقط، ولهذا جعل السلف والراسخون مُسْتَأْنَفًا وَرَجَّحُوهُ عَلَى الْعُطْفِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ أُبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ، وَمَعَ عُطْفِهِ إِنَّمَا يَكُونُ إِيمَانًا بِالشَّاهِدِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ التَّأْوِيلَ حِينَئِذٍ فَلَا يَكُونُ غَيْبًا، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّأْوِيلَ فِيهَا غَيْرُ مَعْلُومٍ لِلْبَشَرِ. إِنَّ الْأَلْفَافَ اللَّغَوِيَّةَ إِنَّمَا يَفْهَمُ مِنْهَا الْمَعَانِي الَّتِي وَضَعَهَا الْعَرَبُ لَهَا، فَإِذَا اسْتَحَالَ إِسْنَادُ الْخَبَرِ إِلَى خَبَرٍ عَنْهُ جَهْلُنَا بِمَدْلُولِ الْكَلَامِ حِينَئِذٍ، وَإِنْ جَاءَنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَوَضُّعًا لِمَا إِلَيْهِ وَلَا نَشْغَلُ أَنْفُسَنَا بِمَدْلُولِ نَلْتَمِسُهُ، فَلَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى ذَلِكَ. هَذَا مَذْهَبُ السَّلَفِ فِي الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ، وَجَاءَ فِي السَّنَةِ أَلْفَافٌ مِثْلُ ذَلِكَ مَحْمَلُهَا عَنْهُمْ مَحْمَلُ الْآيَاتِ لِأَنَّ الْمَنْبَعَ وَاحِدٌ⁴.

قال الإمام الماوردي رحمه الله (ت 450هـ/1058م): "الإمامة" موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وَعَقْدُهَا لِمَنْ يَقُومُ بِهَا فِي الْأُمَّةِ وَاجِبٌ بِالْإِجْمَاعِ⁵، لِمَا تَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْخِلَافَةِ نِيَابَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا فَصَاحِبُ الشَّرْعِ

¹ _ الآية 7 من سورة آل عمران.

² _ الحديث: حديث صحيح: رواه الإمام البخاري في كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات، حديث رقم: 4547، ص 1114./والإمام مسلم في صحيحه، باب العلم، حديث رقم: 2665، ص 1229./الآجري، كتاب الشريعة، ص 339. وغيرهم.

³ _ الآجري، كتاب الشريعة، ص 338 - 340.

⁴ _ ابن خلدون، المقدمة، ص 240.

⁵ _ أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري الماوردي، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، د. ط، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م، ج 1، ص 15.

مُنْصَرِفٌ في الأمرين: أمّا في الدّين فبمقتضى التكاليف الشرعية التي هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها، وأمّا سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري¹.

وأما أهل الإمامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة: أحدها: العدالة، والثاني: العلم، والثالث: سلامة الحواس، والرابع: سلامة الأعضاء، والخامس: صحة الرأي، والسادس: الشجاعة والنجدة، والسابع: النّسب وهو أن يكون من قريش لورود النّص فيه وانعقاد الإجماع عليه، لأنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه احتجّ يوم السقيفة² على الأنصار في دفعهم عن الخلافة لما بايعوا سعد بن عباد³ رضي الله عنه، بقول سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من قريش». الحديث⁴ فأقلعوا عن التفرّد بها ورجعوا عن المشاركة فيها حين قالوا:

¹ ابن خلدون، المقدّمة، ص ص 111-112.

² السّقيفة: سقيفة بني ساعدة بالمدينة المنورة، وهي ظلّة كانوا يجلسون تحتها، فيها بويع سيّدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال الجوهرى: السقيفة الصّفّة، ومنه سقيفة بني ساعدة، وقال أبو منصور: السقيفة كل بناء سقّف به صقّة أو شبه صقّة مما يكون بارزا، وأمّا بنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة فهم حي من الأنصار، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج، ومنهم سعد بن عباد، وهو القائل يوم السقيفة: منا أمير ومنكم أمير رضي الله عنهم أجمعين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص ص 228-229.

³ سيّدنا سعد بن عباد رضي الله عنه: الخزرجي الأنصاري الساعديّ، يكنى أبا ثابت، وقيل: أبا قيس، وكان نقيب بني ساعدة، عند جميعهم، شهد بدرا، وكان سيّدا جوادا، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان وجيها في الأنصار، ذا رياسة وسيادة، يعترف قومه له بها، وكان يحمل إلى سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم كل يوم جفنة مملوءة ثريدا ولحما، وله ولأهله في الجود أخبار حسنة، ودعا لهم سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عباد»، وقد كان قيس بن سعد بن عباد من أعظم الناس جودا وكرما، وقال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه من بيت جود». مات رضي الله عنه بالشام سنة 15هـ/636م. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ج2، ص ص 441-443.

⁴ الحديث: عن سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من قريش إن لهم عليكم حقّا، ولكم عليكم حقّا مثل ذلك، ما إن استرحموا فرحموا، وإن عاهدوا=

"منا أمير ومنكم أمير" تسليمًا لروايته وتصديقًا لخبره ورضوا بقوله: "نحن الأمراء وأنتم الوزراء"، وقال سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم: «قَدِّمُوا قَرِيشًا وَلَا تَقَدِّمُوها». الحديث¹، وليس مع هذا النصّ المسلّم شبهة لمنازع فيه ولا قول لمخالف له².

والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان رضوان الله عليهم في وقت الأحداث التي نُقِمَ عليه من أجلها، ويقولون بإمامة عليّ قبل أن يُحكّم وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم، ويكفّرون معاوية وعمر بن العاص وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهم - والعياذ بالله-، ويرون أن الإمامة في قريش وغيرهم إذا كان القائم بها مستحقًا لذلك، ولا يرون إمامة الجائر. وحكى زرقان³،

«وَفَوًّا، وَإِنْ حَكَّمُوا عَدَلُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، صدق سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه الإمام أحمد في مُسنده حديث رقم 12307، ج19، ص318. وحديث رقم 12900، ج20، ص249. ورواه أبو نعيم في الحلية، ج8، ص ص 122-123 وغيرهما.

¹ _ الحديث: أخرجه الإمام الشافعي في مسنده في كتاب فضائل قريش عن ابن شهاب أنه بلغه أن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قدموا قريشا ولا تقدّموها وتعلّموا منها ولا تعالّموها أو تعلّموها" شكّ ابن أبي فديك. ينظر: محمّد بن إدريس الشافعي، مسند الإمام الشافعي، وإليه ترتيب مسند الإمام، ترتيب سنجر بن عبد الله الناصري، حقّقه وخرّجه رفعت فوزي عبد المطّلب، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، حديث رقم: 1368، مج 1، ص1575.

² _ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ص 19-20.

³ _ زرقان: أبو يعلى محمّد بن شداد بن عيسى المسمّعيّ، يعرف بزرقان، كان أحد المتكلّمين على مذاهب المعتزلة، حدّث عن يحيى بن سعيد القطان، وأبي زكير المدائني، وعبد بن صهيب، وأبي عاصم النبيل، وعون بن عمارة، وأبي عامر العقدي، وروح بن عمارة، وجعفر بن عون، وعبيد الله بن موسى. روى عنه الحسين بن صفوان البرذعي، ومكرم بن أحمد القاضي، وأبو بكر محمّد بن عبد الله الشافعي. قال الدارقطني: لا يكتب حديثه، وقال مرّة: ضعيف، وضعفه البرقاني. مات سنة 278هـ/891م. ينظر: السمعاني، الأنساب، ج11، ص318. الذهبي، ميزان الاعتدال، ج6، ص184.

عن النَّجْدَات¹ أنهم يقولون أنهم لا يحتاجون إلى الإمام وإنما عليهم أن يعلموا كتاب الله فيما بينهم².

وقالت الثَّوْبَانِيَّة³ يجوز أن لا يكون الإمام قرشياً⁴.

ومن أسماء الخوارج: النَّوَاصِب وهي جمع ناصب، وقد يقال: ناصبي، وهو الغالي في بغض سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والذي يَجْمَعُ الخوارج إكفار سادتنا عليّ، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم وصوّب الحكمين أو أحدهما، والخروج على السلطان الجائر⁵. وظهرت بدعهم في مواضع متفرقة وبقيت إلى اليوم⁶.

وقد كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رحمه الله (ت 98هـ/716م) أستاذاً لعمر بن عبد العزيز⁷، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة، إذ روى عن السيِّدة عائشة

¹ _ النَّجْدَات: النجدات العاذرية أصحاب نجدة بن عامر الحنفي، وقيل عاصم، وكان من شأنه أنه خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللُّحوق بالأزارقة فاستقبله أبو فديك، وعطية بن الأسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق، فأخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف، بتكفير القعدة عنه، وسائر الأحداث والبدع، وبايعوا نجدة وسموه أمير المؤمنين، ثم اختلفوا على نجدة فأكفره قوم منهم لأمر نَقَمَوا عليه، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص141.

² _ أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص125.

³ _ الثَّوْبَانِيَّة: أصحاب أبي ثوبان المرجئي، الذين زعموا أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله تعالى، ورسله عليهم الصلاة والسلام، وبكلّ ما لا يجوز في العقل أن يفعله، وما جاز في العقل تركه فليس من الإيمان، وأخّر العمل كلّهُ عن الإيمان. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص164.

⁴ _ الإيجي، المواقف، ص428.

⁵ _ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ص 72-73.

⁶ _ الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص ص 135-136.

⁷ _ سَيِّدُنَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَمْوِي: الْمُحْتَصِنُ الْحَرِيز، ذُو الشَّجْحَى وَالْأَزِيزُ الْمَوْلَى عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، كَانَ وَاحِدَ أُمَّتِهِ فِي الْفَضْلِ، وَنَجِيبَ عَشِيرَتِهِ فِي الْعَدْلِ، جَمَعَ زُهْدًا وَعِفَافًا، وَوَرَعًا، وَكِفَافًا، شَغَلَهُ أَجَلُ الْعَيْشِ عَنْ عَاجِلِهِ، وَأَلْهَاهُ إِقَامَةُ الْعَدْلِ عَنْ عَازِلِهِ، كَانَ لِلرَّعِيَّةِ أَمْنًا وَأَمَانًا، وَعَلَى مَنْ خَالَفَهُ حَجَّةٌ وَبِرْهَانًا، كَانَ مَفْوَّهًا عَلِيمًا، وَمَفْهَمًا حَكِيمًا، قَالَ سَالِمُ الْأَغَطْسِ: كَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ أَلْبَسِ =

أم المؤمنين وابن عباس رضي الله عنهم، وكان له أثر شديد في تفكير عمر بن عبد العزيز واتّجاهه¹، حيث التزم أمير المؤمنين منهج الإسلام في معاملة المخالفين، بمناظرتهم قبل قتالهم، ومحاورتهم بالعلم مع اعتبارهم أعنف المخالفين، وكذلك غزارة علم عمر بالكتاب والسنة والتاريخ، حيث دخل في حوار مع قوم قد كانوا فرغوا أنفسهم لقضايا علمية محدّدة، خالفوا فيها السواد الأعظم من المسلمين واستعدّوا للجدل والمناظرة حولها، فأفحّمهم، وقطع حُجَجَهُمْ².

=الناس، وأعطّر الناس، فلما سلّم عليه بإمرة المؤمنين وعلم استقرار أمره أدخل رأسه بين ركبتيه وبكى بكاء شديداً، فقال الناس يبكي فرحاً بالخلافة، ثم رفع رأسه ومسح عينيه ثم قال: "اللهم ارزقني عقلاً ينفعني، واجعل ما أصير إليه أهم مما يزول عني"، ثم دخل منزله فألقى تلك الثياب عنه، وغسل ذلك الطيب، ودعا الحجام فأخذ من شعره ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب بيده: "من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى الحسن بن أبي الحسن البصري، ومطرف بن عبد الله الشخير، سلام عليكما فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على سيّدنا محمّد عبده ورسوله، أما بعد فإني أوصيكما بتقوى الله، فإن من يقولها كثير، ومن يعمل بها قليل، فإذا أتاكما كتابي فعِظاني ولا تركياني والسلام"، قالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك: قال عمر: "قد وليت أمر هذه الأمّة، فخفت أن لا يقبل الله مني معذرة فيهم، ولا تقوم لي مع سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة. ينظر: الحلية لأبي نعيم، ج5، ص 253/أبو محمّد عبد الله بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك وأصحابه، رواية ابنه أبي عبد الله، نسخ وتعليق وتصحيح أحمد عبيد، ط6، بيروت، 1404هـ/1984م، ص ص 127-128، 151.

¹ - محمّد أبو زهرة، محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية، ص43.

² - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص ص 317-319/عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، ط1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1419هـ/1998م، ص ص 111-112.

2_ الرواية التاريخية عند الخوارج

فأما الخوارج كلها أَكْفَرَتْ عليّاً وابن عباس وأبا أيوب الأنصاري¹ والحسن والحسين وسائر أتباع سيّدنا عليّ من الصحابة، وأكفرت عثمان وطلحة² والزبير³ وعائشة رضي الله

¹ _ سيّدنا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: خالد بن زيد النّجاري الخزرجي، وأمّه هند بنت سعيد الخزرجيّة. "شهد العقبة"، وبدرا، وأحدا، والمشاهد كلها مع سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما قدم سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة مهاجرا نزل عليه، وأقام عنده حتى بنى حُجْرَهُ ومسجده، وكان أبو أيوب ممن شهد مع سيّدنا عليّ حروبه كلها، ولزم الجهاد، روى عنه من الصحابة ابن عباس، وابن عمر، والبراء بن عازب، وأبو أمّامة، وزيد بن خالد الجهني، والمقدم بن معد يكرب، وأنس بن مالك، وجابر بن سمرة، وعبد الله بن يزيد الخطمي، ومن التابعين: سعيد بن الـ...، وعروة، وسالم بن عبد الله، وأبو سلمة، وعطاء بن يسار، وعطاء بن يزيد، وغيرهم. توفي رضي الله عنه مجاهداً، ودفن بالقرب من القسطنطينية وقبره بها يُسْتَسْقَوْنَ به. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج2، ص 121.

² _ سيّدنا طلحة رضي الله عنه: بن عبيد الله التميمي القرشي، يعرف بطلحة الخير، وطلحة الفيّاض، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وأحد أصحاب الشورى، ولم يشهد بدرا لأنه كان بالشام، وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وبابع بيعة الرضوان، وأبلى يوم أحد بلاء عظيماً، ووقى سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، واتقى عنه النّبْلَ بيده، وحمل سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى صعد الصخرة، وعن سيّدنا عليّ قال: سمعت أذني سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «طلحة والزبير جاراي في الجنة». الحديث. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص ص 84-88.

³ _ سيّدنا الزبير بن العوّام رضي الله عنه: بن خويلد الأسدي القرشي، أمه صفية بنت عبد المطلب عمّة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن أخي خديجة رضي الله عنها أمّنا وسيّدتنا، كان رابعاً أو خامساً في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، عن سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لكل نبيّ حوّارياً وحوّاريّ الزبير بن العوّام»، وكان الزبير أول من سلّ سيفاً في الله عز وجل، وشهد المشاهد كلها مع سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفتح مصر، وجعله سيّدنا عمر رضي الله عنه في السنّة أصحاب الشورى للخلافة بعده وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومات سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راضٍ عنه. ينظر: ابن الأثير، أسد الغاية، ج2، ص ص 307-311.

عنهم وأصحاب الجمل، ومن يكون على سمت¹ الصحابة، وهم لا يقبلون شيئاً من الآثار المروية منهم لقولهم بتكفير رواة الحديث كلهم، وكيف يكون على آثارهم من لا يرى إجماعهم، ولا إجماع من بعدهم حجة².

وعن ابن لهيعة³ قال: "سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإننا كنا إذا هَوَيْنَا أمراً صيرناه حديثاً"⁴.

وعن عبد الله بن يزيد المقرئ⁵ قال: "رجع رجل من أهل البدع عن بدعته فجعل يقول: "أنظروا هذا الحديث عمن تأخذونه فإننا كنا إذا تراءَيْنَا رأياً جعلناه حديثاً"¹.

¹ _ السَّمْتُ: الطريق، وهيئة أهل الخير، والسير على الطريق بالظنّ، وحُسن النّحو، وقصد الشيء. وسَمَتَ لهم يَسْمِتُ: هيأ لهم وجه الكلام والرأي. والتَّسْمِيتُ: ذكر الله، ويونس بن خالد السَّمْتِي: مُحدِّث، والتَّسْمِيتُ: الدعاء للعاطس، ولزوم السَّمْت. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص154.

² _ البغدادى، الملل والنحل، ص155.

³ _ أبو لهيعة: عبد الله بن لهيعة ابن عقبة بن فُرْعان بن ربيعة بن ثوبان، القاضي، الإمام، العلامة، محدِّث ديار مصر مع اللّيث، أبو عبد الرحمن الحضرمي، الأعدولي، طلب العلم في صباه، ولقي الكبار بمصر والحرمين. سمع من عبد الرحمن بن هرمز صاحب أبي هريرة رضي الله عنه، وعطاء بن رباح، وعمرو بن دينار، وعكرمة مولى ابن عباس، ومحمد بن عبد الرحمن يتيماً عروة، ومحمد بن المنكدر، وأبي يونس مولى سيّدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وشرحبيل بن شريك، وعمرو بن جابر الحضرمي، وخلق كثير. روى عنه حفيده أحمد، والأوزاعي، وشعبة، والثوري، ومالك، والليث، ابن المبارك، وابن وهب، وأشهب، ومحمد بن الحارث، وخلق كثير. وكان من بحور العلم على لين في حديثه. قال روح بن صلاح: "لقي ابن لهيعة اثنين وسبعين تابعياً". أخرج له: أبو داود، والترمذي، والقزويني. ينظر: الذهبي، السير، ج8، ص11.

⁴ _ السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ج2، ص468.

⁵ _ عبد الله بن يزيد المقرئ: العدويّ مولاهم أبو عبد الرحمن القصير البصريّ نزيل مكّة روى عن شعبة، والليث، والثوري، والحماديين، وخلق. وعنه: أحمد، وإسحاق، وابن المديني، والبخاري، وخلق، مات سنة (212 أو 213هـ/827 أو 828م) وكان إماماً كبيراً في الحديث ومشهوراً في القراءات لقن القرآن سبعين سنة، ثقة. روى الحروف عن نافع وعن البصريين، وله اختيار في القراءة. روى عنه ابنه محمد شيخ أبي بكر الأصبهاني. قال النّقاش: كان بعد أبي عمرو في البصرة يُقرئ أبو عبد الرحمن القصير. ينظر: =

وفي رواية الخطيب البغدادي قول ابن لهيعة: "سمعت شيخا من الخوارج وهو يقول: إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإننا كنا إذا هوبنا أمرا صيرناه حديثا"²، وفي سند متصل إلى الخطيب البغدادي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا ابن عمر دينك دينك إنما هو لحمك ودمك فانظر عمن تأخذ، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا»، وفي سند متصل أيضا قوله عن سيدنا عليّ: رضي الله عنه وهو بمسجد الكوفة قال: "أنظروا عمن تأخذون هذا العلم فإنما هو الدين"³.

واختلف العلماء في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر في بدعته فمنهم من ردّ روايته مطلقا، لأنه فاسق ببذعته، وكما استوى في الكفر المتأول وغير المتأول يستوي في الفسق المتأول وغير المتأول، ومنهم من قبل رواية المبتدع إذا لم يكن ممن يستحلّ الكذب في نصرته مذهبه أو لأهل، سواء كان داعية إلى مذهبه أو لم يكن. وعزا هذا بعضهم للإمام الشافعي رضي الله عنه، وقال قوم: تقبل روايته إذا لم يكن داعية، ولا تقبل إذا كان داعية إلى بدعته، وهذا مذهب الكثير أو الأكثر من العلماء، وحكى بعض أصحاب الشافعي رضي الله عنه، خلافا بين أصحابه في قبول رواية المبتدع إذا لم يدع إلى بدعته، وقال: "أما إذا كان داعية فلا خلاف بينهم في عدم قبول روايته"⁴.

=السيوطي، طبقات الحفاظ، ص160. شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي الشافعي، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ/2006م، ص ص 413-414.

¹ _ السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ج2، ص468.

² _ الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص123.

³ _ الخطيب البغدادي، الكفاية، ص121.

⁴ _ أبو حفص عمر السراج البلقيني، مقدّمة ابن الصّلاح ومحاسن الاصطلاح، تحرير عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، د.ط، دار المعارف، مصر، 1411هـ/1990م، ص - ص 297-298.

وقال أبو حَبَّان البُسْتِي، أحد المُصَنِّفِينَ من أئمة الحديث: "الداعية إلى البدع لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبة، لا أعلم بينهم فيه خلافاً". وهذا المذهب الثالث أعدلها وأولها¹.

قال الإمام مسلم رضي الله عنه: "حدثنا أبو جعفر بن الصباح، حدثنا إسماعيل بن زكرياء، عن عاصم الأحول، عن ابن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فَيُنْظَرُ إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم².

قال القاضي عياض رحمه الله: "لا يؤخذ الحديث عن صاحب هوى يدعو إلى هواه"، فانظر اشتراطه الدعاء إلى البدعة، هل هو ترخيص في الأخذ عنه إن لم يدع، أو أن البدعة سبب لتهمته أن يدعو الناس إلى هواه، أي لا تأخذوا عن ذي بدعة فإنه ممن يدعو إلى هواه؟ أو أن هواه يحمله أن يدعو إلى هواه فاتّهمه لذلك، وهذا المعروف عن مذهبه، وقد تأول الباجي أن معنى يدعو يُظهرها ويحقّق عليه، وأما من دعا فلم يُختلف في ترك حديثه، وقد ذمّ الإمام مسلم بعد هذا الرواية عنهم. وأما القاضي أبو بكر الباقلاني في طائفة من المحقّقين من الأصوليين والفقهاء والمحدّثين من السلف والخلف فأبوا قبول خبر المبتدعة والفساق والمتأولين، ولم يعذروهم بالتأويل، وقالوا: هو فاسق بقوله، فاسق بجهله، فاسق ببدعته، فتضاعف فسقُهُ، قال الإمام مالك رضي الله عنه: "لا يؤخذ الحديث عن أربعة، ويؤخذ عن سواهم: رجل معلن بفسقه - وإن كان أروى الناس - ورجل يكذب في أحاديث الناس - وإن كنت لا تتهمه على حديث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم -، وصاحب

¹ - عمر السراج البلقيني، مقدّمة ابن الصّلاح ، ص299.

² - القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، ج1، ص- ص 124-125.

بدعة يدعو إلى بدعته، ورجل له فضل لا يَعْلَمُ ما يُحَدِّثُ به". وذكر مسلم عن طاوس: "إن كان صاحبك مليئاً فخذ عنه": يريد: ثقة يعتمد على ما عنده¹.

ومن أمثلة الكذب والتحريف² والتزييف في الرواية قول الغسانية من الخوارج: قد فرض الله الحجّ ولا أدري أين الكعبة؟ ولعلّها بغير مكّة!، وبعث الله محمّداً ولا أدري أهو الذي بالمدينة؟ أم غيره؟، وغسّان الذي تنسب إليه الغسانية كان يحكيه عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وهو افتراء³.

¹ _ القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، ج1، ص- ص 125-126./الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص120.

² _ **التحريف:** الإمالة، وتحريف الشيء إمالته كتحريف القلم، وتحريف الكلام أن تجعله على حروف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين. ينظر: المناوي، التوفيق على مهمّات التعريف، ص92.

³ _ **الغسانية:** أصحاب غسان الكوفي، قالوا: الإيمان المعرفة بالله ورسوله وبما جاء من عندهما إجمالاً؛ وهو يزيد ولا ينقص، وقد ذهب غسان الكوفي المرجئ إلى القول في الإيمان بمقالة ظنّ أنه بها على منوال أبي حنيفة، وكان بعض أهل الإرجاء يظنون الإمام الأعظم أبا حنيفة من المرجئة، وقال غسان الإيمان بما جاء من عند الله ورسوله في الجملة دون التفصيل، وهذا القول خلاف ما ذكره الإمام أبو حنيفة من أن الإيمان: هو المعرفة والإقرار بالله تعالى، وبرُسُلِهِ، وبما جاء من عند الله ورسوله، والتصديق بما علّم مجيء سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم به ضرورة، تفصيلاً فيما علّم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علّم إجمالاً، ثم إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضل الناس فيه، وكان غسان يقول: كل خصلة من خصال الإيمان بعض الإيمان، بخلاف أبي حنيفة الذي كان يرى أن الإيمان لا يَبْعَضُ. ينظر: الإيجي، المواقف، ص427./عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفرق، ص ص 304-305./الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 139./الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 164.

ومن العلماء الإمام سُحنون¹ الذي كان لهم دور هام في النهضة المالكية السنية التي تصدّت للخوارج الذين شكلوا خطراً، وهدّدوا كيان السنة الشريفة²، والإمام سحنون أول القضاة فرّق حلق أهل البدع من الجامع، وشرّد أهل الأهواء منه، وكانوا فيه حلقاً من الصُّفوية والإباضية والمعتزلة، يُظهرون زيغهم، وأدّب جماعة منهم بعد هذا خالفوا أمره، وتوّب جماعة منهم³.

3_ الأغاليط المذهبيّة التاريخية عند الخوارج

الخوارج يدّعون⁴ من السّلف: جابر بن زيد⁵،

¹ _ الإمام سحنون: الإمام أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التتوخي: من العرب، أصله شامي من حمص، وقَدِم أبوه سعيد في جند حمص، أخذ سحنون العلم بالقيروان عن مشائخها أبي خارجة، وبهلول، وعلي بن زياد، وابن أبي حسان، وابن غانم وابن أشرس وابن أبي كريمة، وأخيه حبيب ومعاوية الصمادحي، وأبي زياد الرعيني، سمي "سحنون" باسم طائر حديد، لحدثه في المسائل، وكان حافظاً للعلم فقيهاً، اجتمعت فيه خِلال قَلَمًا اجتمعت في غيره، الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحقّ، والزّهادة في الدنيا، والتخشّن في الملبس والمطعم، والسماحة، وكان لا يقبل من السلاطين شيئاً، توفي سنة 240هـ/854م. ينظر: القاضي عياض السبتي، كتاب المدارك، ج4، ص 45.

² _ محمّد زينهم محمد عزب، الإمام سحنون، تقديم حسين مؤنس، د.ط، دار الفرجاني، القاهرة - طرابلس، - لندن، 1992م، ص52.

³ _ القاضي عياض، المدارك، ج4، ص60.

⁴ _ الادّعاء: ادّعى كذا: زعم أنه له حقّاً أو باطلاً. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1283.

⁵ _ أبو الشعثاء جابر بن زيد: اليحمدي، أبو الشعثاء، البصري، الجوفي. روى عن الحكم بن عمرو الغفاري، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعكرمة مولى ابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين. روى عنه أميّة بن زيد الأزدي، وأيوب السختياني، وحيّان الأعرج، وسليمان بن السائب، وأبو حفص عبيد الله بن رستم إمام مسجد شعبة، وعمرو بن دينار، وقتادة بن دعامة، ومزید بن هلال، والمهلب بن أبي حبيبة، وغيرهم. قال سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد، لأوسعهم علماً من كتاب الله" وكان يقول: "هو أحد العلماء". وكان جابر يبرأ إلى الله من الإباضية الذين يَنْجِلُونَهُ، وكان من النّقّات، =

و"عكرمة"¹، و"مجاهد"² و"عمرو"³

=مات رحمه الله سنة 93هـ/711م أو 103هـ/721م أو 104هـ/722م، ينظر: يوسف المزي، تهذيب الكمال، ج4، ص434.

¹ - **عِكْرَمَةُ**: القرشي الهاشمي، أبو عبد الله المدني، مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أصله من البربر من أهل المغرب، روى عن جابر بن عبد الله، والحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وصفوان بن أمية، ومولاه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، والسيدة عائشة، وأم عُمارة رضي الله عنهم أجمعين وآخرون. روى عنه: أبان بن صمعة، وأرطاة بن أبي أرطاة، واسماعيل بن شروس الصنعاني، وأيوب السختياني، وبدر بن عثمان، وتوبة العنبري، وأبو الشعثاء جابر بن زيد وهو من أقرانه، وجعفر بن إياس، والحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن سيرين، وخلق غيرهم. قال عكرمة: "طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار، وقال: كان ابن عباس يصنع في رجلي الكبل على تعليم القرآن والسُنن، مات ابن عباس ولم يعتق عكرمة، فباعه علي بن عبد الله بن عباس، فقيل له: "تبيع علم أبيك؟! فاسترده. ينظر: يوسف المزي، تهذيب الكمال، ج20، ص264.

² - **مُجَاهِد**: بن جبر، الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب، ويقال: مولى عبد الله بن السائب، روى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وعن أبي هريرة، وعائشة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، ورافع بن خديج، وأمّ كرز، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأم هانئ، وأُسَيْد بن ظهير، وعدة رضي الله عنهم أجمعين. تلا عليه جماعة: منهم ابن كثير الداري، وأبو عمرو بن العلاء، وابن محيصن، وحدث عنه: عكرمة، وطاووس، وعطاء، وهم من أقرانه، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير، وأيوب السختياني، وقتادة، وبكير بن الأخنس، والتّضير بن عربي، وخلق كثير. قال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، أَقْفُهُ عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت. وكان من الثقات، وكان يقول: "لا تتوهوا بي في الخلق. مات رضي الله عنه سنة 100هـ/718م أو 102هـ/720م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص449.

³ - **عمرو بن دينار**: المكي، أبو محمد الأكرم الجُمحي، روى عن: بجاله بن عبدة التميمي، وأبي الشعثاء جابر بن زيد، وجابر بن عبد الله الأنصاري، والحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، وذكوان، وسالم بن عبد الله بن عمر، وسعيد بن أبي بُردة، وسعيد بن جبير، وطاووس بن كيسان، وعبد الله بن الزبير، وعامر بن سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والقعقاع بن حكيم، =

بن دينار¹، و"إسماعيل بن سميع"². هذا ما ذكره الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه الجليل مقالات الإسلاميين³

ومما تَزَعَّمُهُ الخوارج وتطفح به كتبهم نِسْبَةُ الإباضية إلى أبي الشعثاء جابر بن زيد رحمه الله⁴، بينما يؤكد علماء السير وأئمة الجرح والتعديل، والمؤرخون من أهل التحقيق أن هذا الأمر لا أساس له من الصحة حيث قال الإمام البخاري رحمه الله: في "التاريخ الكبير": "قال لنا عليّ حدثنا سفيان: قلت لعمر: سمعت من أبي الشعثاء من أمر الإباضية شيئاً مما يقولون؟ فقال: ما سمعت منه شيئاً قط، وما أدركت أحداً أعلم بالفنّيا من جابر بن زيد"⁵،

ومجاهد بن جبر المكي، ومحمد بن علي بن الحسين، وأبي هريرة، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. روى عنه: أبان بن يزيد العطار، وإبراهيم بن يزيد الخوزي، وإسماعيل بن مسلم المكي، وأيوب السختياني، وجعفر بن محمد الصادق، وحماد بن زيد، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وشعبة بن الحجاج، ومحمد بن شريك المكي، وآخرون. قال البخاري: "عن عليّ له نحو أربع مئة حديث". "وكان ثَبَتًا" قاله أحمد بن حنبل، وقال: وكان مولى ولكن الله شرفه بالعلم، وكان من أفقه وأعلم الناس، وأتقنهم للحديث الشريف، وكان ثقة". مات رحمه الله سنة 125هـ/742م أو 126هـ/743م. ينظر: يوسف المزي، تهذيب الكمال، ج22، ص5.

¹ _ الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص - ص 104 - 109.

² _ إسماعيل بن سميع: الحنفي، أبو محمد الكوفي، بيّاع السابري، روى عن أنس بن مالك، ويكير بن عبد الله الطويل، وحكيم بن جبير، وسليمان بن أبي هند مولى زيد بن الخطاب، وعليّ بن أبي كثير، وولان الحنفي صاحب ابن مسعود. روى عنه: إبراهيم بن محمد الفزاري، وإسماعيل بن يونس، وحفص بن غياث، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، والقاسم بن غصن الليثي، وأبو أمية عمرو بن صالح، وهاشم بن البريد. ولم يكن به بأس في الحديث الشريف، وكان من الثقات، صدوق صالح، روى له مسلم، وأبو داود، والنسائي. ينظر: يوسف المزي، تهذيب الكمال، ج3، ص107.

³ _ أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص - ص 104 - 106.

⁴ _ أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص ص 109-120. البغطوري، سير نفوسة، ج1، ص25/الدرجيني، الطبقات، ج1، ص7. الشمّاخي، السير، ص67. الأزكوي، ج2، ص320.

⁵ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق هاشم الندوي وآخرون، د.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباء، الهند، 1362هـ، ج2، ص204.

وقال أبو نعيم الأصبهاني في "الحلية" بسند متصل: "حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن رسته قال ثنا محمد ابن عبيد بن حساب قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا حجاج بن عينية عن هند بنت المهلب¹، - وذكروا عندها جابر بن زيد-؛ فقالوا إنه كان إباضياً، فقالت: "كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إليّ وإلى أمي فما أعلم شيئاً كان يُقَلِّبُنِي إلى الله إلا دعائي إليه، ولا شيئاً يباعدي عن الله عزّ وجلّ إلا نهائي عنه، وما دعائي إلى الإباضية قطّ ولا أمرني بها، وإن كان ليأمرني أن أضَعَ الخمار². وذكر ابن أبي حاتم في كتابه: "الجرح والتعديل: قوله: "حدثنا عبد الرحمن نا أحمد بن سنان نا عبد الرحمن بن مهدي عن أبي هلال عن داود عن عذرة قال: دخلت على جابر بن زيد فقلت إن هؤلاء القوم ينتحلونك - يعني الإباضية - قال: أبرأ إلى الله عزّ وجلّ من ذلك"³. وذكر نحو هذا ابن حجر في "تهذيب التهذيب"⁴.

¹ _ هند بنت المهلب بن أبي صفرة: حدثت عن أبيها، والحسن البصري، وأبي الشعثاء، جابر بن زيد. حكى عنها: ابن أخيها حجاج ومحمد ابنا أبي عتبة بن المهلب، وزيايد بن عبد الله القرشي، وأبو وسلة مولى العتيك، ووفدت على عمر بن العزيز، قال أيوب السختياني: "ما رأيت امرأة أعقل من هند بنت المهلب، وكانت تسبح باللؤلؤ فإذا فرغت ألقتُهُ إلى النساء يفتسمنهُ بينهنّ، وكانت تقول: "إذا رأيتم النعم مُستدرة فبادروا بتعجيل الشكر قبل حلول الزوال، وقالت: ما تحلّين النساء بحلية أحسن عليهنّ من لبّ طاهر تحت أدب كامل، وقالت: الطاعة مقرونة بالمحبة، فالمطيع محبوب، وإن نأت داره، وقَلت آثاره، والمعصية مقرونة بالبغض، فالعاصي ممقوت، وإن مستك رحمه، ونالك معروفه. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج70، ص189.

² _ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج3، ص89/ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج70، ص- ص191-192.

³ _ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي، الجرح والتعديل، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباء، الهند، 1371هـ/1952م، ج2، ص495.

⁴ _ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج2، ص38.

قال الإمام علاء الدين مغلطاني في كتابه: "إكمال تهذيب الكمال": "قال: أبو عمر ابن عبد البر: كان جابر بن زيد أحد الفقهاء العلماء الفضلاء أثنى عليه ابن عباس رضي الله عنهما بالعلم، وحسبك بذلك، انتحلته الإباضية وأدعته وأسندت مذهبها إليه، وهذا لا يصح عليه. قال ابن سيرين: "قد برأه الله تعالى منهم"¹. وقال ابن حبان في "الثقات": "جابر بن زيد أبو الشعثاء... وكانت الإباضية تنتحله، وكان هو يتبرأ من ذلك"².

ومن الأغاليط التاريخية الخطيرة عند الخوارج نسبة الإباضية منهم مذهبهم إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ويزعمون أنه وصل إليه عن طريق جابر بن زيد "أبو الشعثاء"، وابن أبي كريمة المقصود هنا شخص آخر غير بن أبي كريمة الذي روى عن جابر، إذ نجد دليل ذلك في كتب أئمة الجرح والتعديل، فلقد جاء عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في كتاب "العلل ومعرفة الرجال" قوله: قلت ليحي - يعني يحي بن معين - شيخ حدث عن معتمر³ يقال له أبو عبيدة عن ضمام عن جابر بن زيد: "كره أن يأكل متكئا" من أبو عبيدة هذا؟ قال: رجل روى عنه معتمر ليس به بأس يقال له: عبد الله بن القاسم⁴، قلت: من حدث

¹ - أبو عبد الله علاء الدين بن قليخ بن عبد الله البكجري المصري الحنفي مغلطاني، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عادل بن محمد أبو عبد الرحمن وأسامة بن إبراهيم أبو محمد، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1422هـ/2001م، ج3، ص121.

² - ابن حبان، الثقات، ج4، ص101.

³ - **مُعْتَمِر بن سليمان**: بن طَرْخان، الإمام الحافظ القدوة، أبو محمد التميمي البصري ابن الإمام أبي المعتمر، حدث عن أبيه، وأيوب، وحמיד، وعمرو بن دينار القهرمان، وخالد الخذاء، ومحمد بن عمرو، وخلق كثير، كان من كبار العلماء، حدث عنه ابن المبارك، وعبد الرزاق، والقعنبي، ويحي بن يحي، وخليفة الخياط، وعمرو الناقد، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني، وخلق عظيم. قال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: ثقة صدوق. وقال ابن سعد: ثقة. مات رحمه الله سنة 187هـ/806م، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص477.

⁴ - **أبو عبيدة عبد الله بن القاسم**: ذكره ابن ماكولا في باب كورين وكُرْدِين؛ فقال: أما كورين بعد الكاف المضمومة واو ثم راء؛ فقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن أبي عبيدة الذي روى عنه=

عنه غير المعتمر قال: البصريون يحدثون به عنه، قلت ليحي: فضمام هذا الذي روى عنه أبو عبيدة من هو؟ قال: شيخ روى عن جابر بن زيد روى عنه أبو عبيدة هذا وروى عنه معمر يعني ضماماً¹، يقول عبد الله² بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن أبي عبيدة هذا قال: اسمه عبد الله بن قاسم يقال له كورين³.

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: سألت يحيى قلت معتمر عن أبي عبيدة عن عمارة بن حيان⁴ عن جابر بن زيد من هذا عمارة بن حيان؟ قال: رجل روى عنه أبو عبيدة هذا، من

=معتمر، يحدث عن جابر بن زيد؛ فقال: اسمه عبد الله بن القاسم يقال له: كورين. ينظر: ابن ماكولا، الإكمال، ج7، ص181.

¹ _ أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، كتاب العِلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصيّ الله بن محمد عباس، ط2، دار الخاني، الرياض، 1422هـ/2001م، ج3، ص11.

² _ عبد الله بن أحمد بن حنبل: الإمام الحافظ، الناقد، محدث بغداد، روى عن أبيه شيئاً كثيراً، من جملته "المسند" كلّه، و"الزهد"، وعن يحيى بن عبد الوهّاب، ويحيى بن معين ومحمد بن الصباح الدولابي، وأبي خيثمة، ومحمد بن عباد المكي، وخلق كثير، حدث عنه النسائي، والبخاري، وابن صاعد، وأحمد بن كامل، وأبو بكر الشافعي، وخلق كثير. قال عنه أبوه: لقد وعى علماً كثيراً، وكان يكتب إلى ابن أبي حاتم بمسائل أبيه، وعَلّل الحديث. قال بدر البغدادي: هو جَهْدُ بن جَهْد. قال الخطيب: كان ثقة ثبّتاً فهماً، وأوصى أن يدفن بمقابر باب النّبن لوجود قبر نبي بها، وله كتاب: الردّ على الجهمية وكتاب "الجمال" وكان صيّناً ديناً صادقاً، صاحب حديث وإتباع وبصر بالرجال. مات رحمه الله سنة 209هـ/824م. ينظر: الذهبي، السير، ج13، ص516.

³ _ أحمد بن حنبل، كتاب العِلل ومعرفة الرجال، ج3، ص11.

⁴ _ عمارة بن حيان: قال الإمام البخاري: روى عن عكرمة، وروى عنه: حسين بن واقد، وذكر ذلك أيضاً بن أبي حاتم وقال: سمعت أبي يقول ذلك. قال الذهبي: روى عن جابر بن زيد، قال يحيى ليس بشيء. ينظر: البخاري التاريخ الكبير، ج6، ص503. /ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج6، ص365. /يحيى بن معين، التاريخ، ج4، ص199. /الذهبي، ميزان الاعتدال، ج5، ص211.

أصحاب جابر بن زيد وقد حدّث أبو عبيدة عن صالح الدهان¹، سمعت يحي يقول: أبو عبيدة لم يسمع من جابر بن زيد عن رجل عنه².

قال الإمام الدوري³ سمعت يحي يقول: سمع معتمر من أبي عبيدة، وأبو عبيدة هذا بصري هو عبد الله بن القاسم وروى أبو عبيدة عن ضمام، وضمام هذا بصري قلت له من روى عن ضمام هذا سوى أبي عبيدة قال معمر وغيره من البصريين⁴.

قال الدولابي⁵ في كتابه: "الكنى والأسماء": أبو عبيدة عبد الله بن القاسم، حدّث عنه: معتمر بن سليمان، ويقول: حدثنا محمد بن زياد الزيادي يؤيؤ، قال: حدثنا أبو عبيدة عبد

¹ _ صالح الدهان: بصريّ، ذكره ابن عديّ وقال: ليس هو بمعروف، ونقل عن ابن معين أنه قال فيه: كان قدرياً، ويرضى بقول الخوارج. ينظر: ابن حجر، لسان الميزان، ج4، ص299.

² _ أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج3، ص12.

³ _ الإمام الدوري: "المقرئ" حفص بن عبد العزيز بن عمر بن صهبان، ويقال: صهيب أبو عمر والأزدي المقرئ الضرير النحوي، شيخ المقرئين بالعراق، صدّقه أبو حاتم، وصنّف كتاباً في القراءات، وهو ثقة في جميع ما يرويه. توفي سنة 246هـ/860م، قرأ على الكسائي، واسماعيل بن جعفر ويحي اليزدي، وسليم وشجاع بن أبي نصر، وحمزة بن القاسم الأحول صاحب حمزة الزيات، وسمع الحروف من أبي بكر بن عيَّاش، ويقال أنه كان أول من جمع القراءات وألفها، حدّث عن اسماعيل المؤدّب، واسماعيل بن جعفر، واسماعيل بن عيَّاش، وسفيان بن عينية، وأبي معاوية الضرير، ومحمّد بن مروان السديّ، وعثمان بن عبد الرحمن الوقاصي، ويزيد بن هارون، وعدّة، حتى أنه روى عن أحمد بن حنبل وروى أحمد عنه، وطال عمره وقُصد من الآفاق، وازدحم عليه الحُذّاق لِعُلُوّ سنده وسعة علمه، وحدّث عنه ابن ماجة في سننه، وأبو زرعة الرازي، وحاجب بن أركين، ومحمد بن حامد خال ولد السنّي. ينظر: الصدفي، الوافي بالوفيات، ج13، ص65.

⁴ _ أبو زكريا يحي بم معين البغدادي، تاريخ ابن معين - رواية الدوري-، تحقيق أحمد محمد نور سيف، ط1، مركز البحث وإحياء التراث الإسلامي، مكّة المكرمة، 1399هـ/1979م، ج4، ص199.

⁵ _ الإمام الدولابي: الحافظ أبو بشير الدولابي، محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم، الأنصاري الحافظ الوراق من أهل الرّيّ، سمع الكثير ببلده، وبالكوفة، وبالبصرة وبغداد، ودمشق والحرمين، وصنّف التصانيف، قال الدارقطني: تكلموا فيه وما تبيّن من أمره إلا خير. توفي سنة 310هـ/922م رحمه الله، ينظر: الصدفي، الوافي بالوفيات، لا ج2، ص28.

الوارث بن سعيد، حدثني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت ليحي بن معين: شيخ يقال له: أبو عبيدة، حدث عنه معتمر، عن جابر بن زيد، أنه كره أن يأكل مُتَكَّنًا، قال: رجل روى عنه المعتمر، ليس به بأس، يقال له: عبد الله بن القاسم¹، قال محمد بن حبان في كتابه: "الثقات": مسلم بن عقال، ومسلم بن عمار، ومسلم بن أبي كريمة، ومسلم بن هرمز، ومسلم مولى عليّ، روى هؤلاء عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أي يذكرون رواياتهم إلى سيدنا علي رضي الله عنه وليس الرواية المباشرة، يقول: إلا أنّي لا يعجبني الاحتجاج بهم لما كانوا فيه من المذهب الرديّ، وهذا هو مسلم بن أبي كريمة المذكور عند الإباضية، والوارد اسمه في هؤلاء².

ويقول ابن أبي حاتم في كتابه: "الجرح والتعديل": مسلم بن أبي كريمة روى عن سيدنا عليّ رضي الله عنه روى عنه... سمعت أبي³ يقول ذلك ويقول: هو مجهول⁴، يقول الإمام

¹ _ محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، الكنى والأسماء، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/2000م، ص ص 875-877.

² _ ابن حبان، الثقات، ج5، ص401.

³ _ **والد بن أبي حاتم:** وهو أبو حاتم الرازي، محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بم مهران، الحافظ أبو حاتم الرازي أحد الأئمة الأعلام، سمع الكثير أول سماعه، سمع عبد الله بن موسى وأبا نعيم وطبقتهما بالكوفة، ومحمد بن عبد الله الأنصاري والأصمعي وطبقتهما بالبصرة، وعفان وهوذة بن خليفة وطبقتهما ببغداد، وأبا مسهر وأبا الجماهر محمد بن عثمان وطبقتهما بدمشق، وأبا اليمان ويحي الوحاظي وطبقتهما بحمص، وسعيد بن أبي مريم وطبقته بمصر، وخلقا بالنواحي والشغور وتردد في الرحلة زمانا، وحدث عنه من شيوخه الصغار جماعة، ومن أقرانه أبو زرعة الرازي، وأبو زرعة الدمشقي، ومن أصحاب السنن أبو داود والنسائي، وابن أبي الدنيا وابن صاعد وابن عوانة وغيرهم. قال النسائي: ثقة، وتوفي رحمه الله في شعبان سنة 277هـ/890م. ينظر: الصديقي، الوافي بالوفيات، ج2، ص128.

⁴ _ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، الجرح والتعديل، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، 1371هـ/1952م، ج8، ص193.

ابن حجر العسقلاني في ذلك: مسلم بن أبي كريمة، عن علي رضي الله عنه، مجهول، انتهى¹.

ويقول ابن حجر العسقلاني: مسلم غير منسوب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه²، وقال الإمام الذهبي: مسلم بن أبي كريمة عن علي رضي الله عنه مجهول³. قال الإمام البخاري رحمه الله في "التاريخ الكبير": مسلم بن أبي كريمة: يذكر عن علي رضي الله عنه⁴، وقال: ابن حجر في لسان الميزان: مسلم بن أبي كريمة عن علي رضي الله عنه مجهول⁵، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: مسلم بن أبي كريمة، عن علي رضي الله عنه مجهول⁶. قال ابن حبان في كتابه "الثقات" عبد الله بن القاسم، أبو عبيدة، بصري يروي عن بنت أبي بكر⁷ عن أبيها، روى عنه معتمر بن سليمان⁸.

ومما لا تذكره الخوارج في تواريخها هو رجوع بعض رؤوسها عما كانوا يعتقدونه، ويقولون به كعبد الله بن إياض الذي تنسب إليه فرقة الإباضية من خوارج المغرب المنسوبون

¹ ابن حجر، لسان الميزان، ج2، ص55.

² ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج10، ص142.

³ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج6، ص419.

⁴ البخاري، التاريخ الكبير، ج7، ص271.

⁵ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج8، ص55.

⁶ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج6، ص419.

⁷ سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه: نفع أبو بكر، وقيل مسروح، وهو من عبيد الحارث بن كلدة، وهو ممن نزل يوم الطائف إلى سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عن سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث شريفة، روى عنه أبو عثمان النهدي، والأحنف، والحسن البصري، وكان من فضلاء الصحابة وصالحهم رضي الله عنهم أجمعين. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج5، ص ص 334-335.

⁸ ابن حبان، الثقات، ج7، ص45.

إلى عبد الله بن يحيى بن إياض التميمي الذي خرج في أيام مروان الحمار¹، وانتشر أتباعه بالمغرب، يقول: أفعالنا مخلوقة لنا، ويكفر بالكبائر، ويقول: ليس في القرآن خصوص، ومن خالفه حلّ دمه².

قال ابن حجر في كتابه "لسان الميزان: "عبد الله بن إياض التميمي الإباضي، رأس الإباضية من الخوارج، وهم فرقة كبيرة، وكان هو فيما قيل رجع عن بدعته، فتنبراً أصحابه منه، واستمرت نسبتهم إليه، ومن مقالته: "إن من أتى كبيرة فقد جهل الله، فهو كافر لجهله بالله، لا لإتيانه الكبيرة"³.

ومن المجهولين أيضاً عند الخوارج الربيع بن حبيب تزعم الإباضية أن له مسنداً وهو عندهم أصح الكتب بعد كتاب الله، وأنه أعلى الكتب إسناداً في الحديث فيما يزعمون "المسند الصحيح" وغالب أحاديثه مروية عن ابن كريمة المجهول. والربيع بن حبيب المعروف عند أئمة الجرح والتعديل لم يكن لا خارجياً ولا إباضياً، بل ذكره أهل المعرفة بالرجال وعدّوا أسماء في ذلك، ومنهم الإمام البخاري رحمه الله حيث ذكر في كتابه "التاريخ الكبير": ربيع بن حبيب، سمع الحسن وابن سيرين، روى عنه موسى البصري، وذكر الامام البخاري ربيعاً آخر هو: ربيع بن حبيب أبو سلمة الحنفي، سمع عبد الله بن عبيد بن عمير، وأبا سعيد الرقاشي، روى عنه أبو داود الطيالسي وعبد الصمد، كتّاه أبو داود ويحيى بن سعيد، وربيعة بن حبيب عن نوفل بن عبد الملك، سمع منه عبيد الله بن موسى، مُنكر الحديث، قال ابن معين: هو أخو عائذ⁴.

¹ _ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص216.

² _ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص153.

³ _ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج4، ص418.

⁴ _ البخاري، التاريخ الكبير، ج3، ص277.

قال ابن أبي حاتم في كتابه "الجرح والتعديل": ربيع بن حبيب أبو سلمة، قال عنه أحمد بن حنبل لا بأس به، ووثقه يحيى بن معين، وعلي بن المديني، قال ابن أبي حاتم: وأحاديثه عن نوفل بن عبد الملك عن أبيه عن سيدنا علي رضي الله عنه عن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم مناكير ونوفل مجهول، والإنكار على نوفل وليس على ربيع بن حبيب هذا¹، وذكر ابن أبي حاتم ربيع بن حبيب أخو عائذ ويقول سمعت أبي يقول: هو منكر الحديث، وقال هو ضعيف، وسئل أبو زرعة عنه فقال: كان شيعياً² قال ابن حبان في كتابه "الثقات": الربيع بن حبيب يروي عن الحسن وابن سيرين، روى عنه موسى بن اسماعيل³، قال يوسف المزي في كتابه: "تهذيب الكمال": الربيع بن حبيب بن ملاح العبسي، مولاهم، أبو هشام الكوفي الأحول، وهو أخو عائذ بن حبيب في قول ابن معين، وغيره. روى عن نوفل بن عبد الملك ويحيى بن قيس الطائفي، روى عنه عبد الله بن موسى، ووکیع بن الجراح. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: حدث عن عبيد الله بن موسى أحاديث مناكير. قال يحيى بن معين: "الربيع بن حبيب وأخوه ثقتان"، وكذلك قال يعقوب بن شعبة، وقال البخاري والنسائي: منكر الحديث. وقال أبو زرعة: كان شيعياً، وقال عبد الرحمن ابن أبي حاتم عن أبيه: منكر الحديث. قلت يكتب حديثه؟ قال: من شاء كتب، هو ضعيف. روى له ابن ماجة حديثاً واحداً، وقد وقع لنا عالماً من روايته يقول المزي⁴. وذكر شيخاً آخر الربيع بن حبيب الحنفي، أبو سلمة البصري، يروي عنه: بهز بن أسد، وحجاج بن المنهال، وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي، وعبد الصمد بن عبد الوارث، وموسى ابن اسماعيل، ويحيى بن سعيد القطان، وهو ثقة، وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني،

¹ _ محمد بن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج3، ص457.

² _ نفسه، ج3، ص458.

³ _ أبو حاتم بن حيان بن أحمد بن حبان التميمي البستي السجستاني، كتاب الثقات، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، 1393هـ/1973م، ج6، ص299.

⁴ _ يوسف المزي، تهذيب الكمال، ج9، ص ص 67-69.

وغير واحد، يقول الإمام يوسف المزي: ذكرناه للتمييز بينهما، وقد خلط بعضهم إحدى هاتين الترجمتين بالأخرى، والصواب التفريق، والله أعلم¹.

ليس في الروايات هذه كلها إشارة إلى مسند الربيع بن حبيب ولا إلى روايته عن ابن أبي كريمة، وعند تصفّح مصادر الإباضية فإن المعلومات حول الربيع بن حبيب شحيحة جداً، بل وتفتقر إلى المتّقق عليه من أصول التعريف بالرجال خاصة إذا كان من أعلى رجال الإسناد عندهم، واكتفى الدرجيني بذكر كنيته واسمه، وبعض الأحداث والأوصاف القليلة جداً المتعلقة به² وأما الشماخي فيكتفي بقوله: "... صحب أبا عبيدة ... وتصدّر بعده..." في كلام يسير لا يبيّن عن ماهية الرجل³.

ويروي الربيع بن حبيب في كتاب المسند عن ابن أبي كريمة حديثاً موضوعاً مختلفاً مكتوباً عن سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم في باب الاختلاف والافتراق⁴، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صَغُرَ ولا كَبُرَ، وقال: وهذه أيضاً رواية منقطعة عن رجل مجهول⁵.

¹ _ يوسف المزي، تهذيب الكمال، ج9، ص ص 69-70.

² _ أبو العباس بن سعيد الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة - الجزائر، 1394هـ/1974م، ج1، ص ص 49. 55. 66.

³ _ أبو العباس بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، ط1، دار الأبحاث، الجزائر، 2011، ص107.

⁴ _ الربيع بن حبيب الفراهيدي، الجامع الصحيح، شرح عبد الله بن حميد السالمي، د ط، نشر مسعود بن حمد السالمي، المكتبة السعيدية، عمان، 1993م، ج1، ص66.

⁵ _ محمد بن إدريس الشافعي المطلبّي، كتاب الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط1، نشر مصطفى البابي الحلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1357هـ/1938م، ص125.

ثالثاً: منهج الشيعة والخوارج في المَسَانِيد والمؤَلَّفَات التاريخية

1_ مغالطات الشيعة والخوارج في السند والتاريخ

1_1 مغالطات الشيعة:

من مكايدهم: أن جماعة من علمائهم اشتغلوا بعلم الحديث أولاً، وسمعوا الأحاديث من ثقات المحدثين من أهل السنة فضلاً عن العوام، ولكن الله سبحانه وتعالى تفضل على أهل السنة يتميز الطيب والخبث، والصحيح من الحديث والموضوع¹، ومن مكايدهم: أنهم ينظرون في أسماء الرجال المُعْتَبَرِينَ عند أهل السنة، فمن وَجَدوه موافقاً لأحدٍ منهم في الاسم واللقب أَسَدُوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، كالسُّدِّي فإنهما رجلا ن أحدهما: السدي الكبير رحمه الله (ت 127هـ/744م) والثاني: السدي الصغير (ت 181هـ/787م)؛ فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضّاعين الكذّابين وهو رافضي غال. وعبد الله بن قتيبة رافضي غال وعبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله (ت 276هـ/889م) من ثقات أهل السنة وقد صنف كتاباً سماه: "المعارف"، فصنف ذلك الرافضي كتاباً وسماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال².

ومن مكايدهم: أنهم يذكرون أحد علماء المعتزلة أو الزيدية أو نحو ذلك ويقولون إنه من مُتَعَصِّبِي أهل السنة، ثم ينقلون عنه ما يدلّ على بطلان مذهب أهل السنة وتأييد مذهب الإمامية الإثني عشرية تروّجاً لضلالهم، كالزمخشري (ت 538هـ/1143م) صاحب "الكشاف" الذي كان معتزلياً، والأخطب الخوارزمي (ت 568هـ/1133م) فإنّه زَيْدِيٌّ غال، وابن قتيبة صاحب "المعارف" الذي هو رافضيّ عنيد، وابن أبي الحديد (ت 656هـ/1258م) الذي شارح نهج البلاغة الذي هو من الغلاة على قول ومن المعتزلة على قول آخر، وهشام الكلبي (ت

¹ _ محمود شكري الألوسي وآخرين، مختصر التحفة الإثني عشرة، د ط، المطبعة السلفية، القاهرة،

1373هـ، ص32.

² _ نفسه، ص32.

206هـ/821م) الذي هو من الغلاة، وكذلك المسعودي صاحب مروج الذهب، وأبو الفرج الأصفهاني (ت 356هـ/967م) صاحب كتاب الأغاني وغيرهم، وقصدوا بذلك إلزام أهل السنة بما لهم من الأقوال، مع أن حالهم لا تخفى حتى على الأطفال¹.

ومن مكايدهم: ادعاء إتباع أهل البيت، وأين هم بعقائدهم الفاسدة من أئمة أهل السنة الذين هم بحق أتباع آل بيت سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم².

ومن مكايدهم: أنهم يؤلفون في الفقه كتابا وينسبونه إلى أحد أئمة أهل السنة "كالمختصر" المنسوب إلى الإمام مالك رضي الله عنه³.

ومن مكايدهم: أنهم ينسبون بعض الكتب لكبار علماء السنة مشتملة على مطاعن في ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم وبطلان مذهب أهل السنة، وذلك مثل كتاب: "سر العالمين" فقد نسبوه إلى حجة الإسلام الإمام محمد أبو حامد الغزالي رحمه الله وشحنوه بالهذيان⁴.

ومن مكايدهم: أنهم يذكرون في كتب التواريخ حكايات موضوعة وخرافات شنيعة مما يؤيد عقائدهم الفاسدة ويروج مذاهبهم الكاسدة⁵.

ومن كذبهم على أهل العلم والحديث والتاريخ نجد كذلك:

¹ _ الألويسي، مختصر التحفة، ص33.

² _ نفسه، ص34.

³ _ نفسه، ص34.

⁴ _ نفسه، ص33.

⁵ _ نفسه، ص39.

محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر، صاحب التصانيف الباهرة، ثقة صادق، من كبار أئمة المسلمين المعتمدين¹، ومحمد بن جرير بن رستم، أبو جعفر الطبري، رافضي له تواليف منها كتاب "الرواة عن أهل البيت" وروى عنه أبو الفرج الأصبهاني، ولعل ما حكى عن محمد بن جرير الطبري من الاكتفاء في الموضوع بمسح الرجلين، إنما هو هذا الرافضي، فإنه مذهبهم².

يقول الذهبي عن الطبري رحمه الله: "الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، صاحب التصانيف البديعة، وكان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقرآن وباللغة، وغير ذلك، ويضيف الذهبي قائلاً: وكان ابن جرير من رجال الكمال، وشنع عليه يسير تشيع، وما رأينا إلا الخير، وبعضهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح الرجلين في الموضوع، ولم نر ذلك في كتبه"³.

ومن كذبهم وتلبسهم على أهل العلم والرواية أيضاً وكمثال آخر على اغتنام تشابه الكنى والأسماء لقصد الإخلال نجد اثنين ممن يُعرفان بابن بطّة، الأول: الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث، شيخ العراق، أبو عبد الله، عبيد الله بن محمد بن حمدان العُكْبَرِيُّ الحنبليّ، مصنف كتاب "الإبانة الكبرى" قال الخطيب البغدادي: "لما عاد من رحلته لازم بيته أربعين سنة، لم يُر في سوق ولم يُر مُفطراً إلا في عيد، وكان أماراً بالمعروف، لم يبلغه خبر مُنْكَر

¹ _ ابن حجر، لسان الميزان، ج7، ص25.

² _ نفسه، ج7، ص ص 29-30.

³ _ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، ص267.

إلا غيرَه، وكان من أهل الفَراسة¹ كان يناديه مُستمليه: "تَبَّتْ الإسلام"، رحمه الله (ت 387هـ/997م)².

والثاني: ابن بطة السلمي ذكره ابن بانويه في "تاريخ الري"؛ فقال: "كان عظيم المنزلة عند الشيعة، وكان ضعيفا في الحديث عندهم، وفي إسناد حديثه عندهم أغلاط كثيرة. وقال محمد بن الحسن بن الوليد: وكان من شيوخهم: بن بطة ضعيفا مُخَلَّطاً، معروفا بذكر سبّ السلف-والعياذ بالله-³.

1_2 مغالطات الخوارج:

مسند الربيع بن حبيب: وللربيع بن حبيب مسند سماه "الجامع الصحيح" وهو عند الإباضية أصح كتب الحديث سندا وأعلها مستندا⁴، حتى أنه عندهم أصح من صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد رحمهما الله⁵، ويروي الربيع بن حبيب غالب أحاديث هذا المسند عن ابن أبي كريمة المجهول المذكور آنفا، وبهذا المسند أحاديث يرونها عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا سند متصل⁶.

¹ _ **الفَراسةُ:** إذا كان الرَّجل فارسا بعينه ونظره، فهو بَيِّنُ الفَراسة، ويقال: إن فلانا لفارس بذلك الأمر إذا كان عالما به. ويقال: اتَّقُوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. ورجل فارس بالأمر، أي عالم به بصير، وتَقَرَّس فيه الشيء: تَوَسَّمَهُ، والاسم: الفَراسة في الحديث: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ». قال ابن الأثير: ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض النَّاسِ بنوع من الكرامات، وإصابة الظنِّ والحدس، وهذا معنى أول، والثاني: نوع يُتَعَلَّمُ بالدلائل والتجارب والخُلُقِ والأخلاق، فتُعرف به أحوال النَّاسِ، وللناس فيه تصانيف كثيرة قديمة وحديثة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج 3، ج 38، ص 3379.

² _ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 16، ص 529.

³ _ ابن حجر، لسان الميزان، ج 7، ص 36.

⁴ _ الربيع بن حبيب الفراهيدي، الجامع الصحيح، ج 1، ص 3.

⁵ _ نفسه، مقدِّمة الكتاب، ص، "و".

⁶ _ مسند الربيع بن حبيب، ج 1، ص 15، ص 28، ص 33.

ويروي عن ساداتنا الصحابة رضي الله عنهم بلا سند أيضاً¹، ويحدث الربيع بن حبيب بأحاديث عن أمهات المؤمنين لا سند ولا أصل لها².

والأخطر من هذا كله أن الربيع يذكر أحاديث موضوعة مكذوبة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث: "أنكم ستختلفون من بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فعنّي وما خالفه فليس عني"، ويذكر هذا الحديث في باب افتراق الأمة واختلافها³.

وهذا فيه إشارة إلى تأول كتاب الله في تفسير الأحاديث، وذلك ما انتهجته الخوارج في انتصارها لمذهبها، وسئل الإمام الشافعي رضي الله عنه عن هذا الحديث فقال: "ما روى هذا أحدٌ يَنْبُتُ حديثه في شيء صَعُرَ ولا كَبُرَ"⁴، وحقق روايته الإمام الهيثمي رحمه الله (ت 807هـ/1405م) وقال: "فيه أبو حاضر عبد الملك بن عبد ربّه، وهو منكر الحديث"⁵، وقال الإمام ابن حجر في لسان الميزان: "عبد الملك بن عبد ربه الطائي، عن خلف بن خليفة وغيره، منكر الحديث"⁶، وعلّق الإمام الشافعي رحمه الله على رواية هذا الحديث فقال: "وهذه أيضاً رواية منقطعة عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء"⁷، وقال فيه الإمام البيهقي رحمه الله عن رؤاته: "خالد بن أبي كريمة مجهول، وأبو جعفر ليس بصحابي فالحديث منقطع، وقد روي الحديث من أوجه أخر كلها ضعيفة"، وقال فيه: "هذا باطل..."

¹ _ مسند الربيع بن حبيب ، ج1، ص، ص، 31 ، 159.

² _ نفسه، ج1، ص167.

³ _ نفسه، ج1، ص66.

⁴ _ الإمام الشافعي، الرسالة، ص224.

⁵ _ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مَجْمَعُ الزوائد ومنبع الفوائد، تحرير الحافظين: العراقي وابن حجر، تحقيق مسلم الدين القدسي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج1، ص170.

⁶ _ ابن حجر، لسان الميزان، ج5، ص268.

⁷ _ الإمام الشافعي، الرسالة، ص225.

ومرسل فاحش"، واستشهد في ذلك بأقوال أئمة الجرح والتعديل¹، وقال عنه الإمام السيوطي رحمه الله أن قائله رافضي زنديق - يعني واضع هذا الحديث².

الدليل والبرهان للورجلاني: وفي كتاب "الدليل والبرهان" للورجلاني³ الذي يعتبر سفراً مهماً عند الخوارج في علم الكلام والفقه والتاريخ والفلسفة والمنطق، يسير فيه صاحبه على نفس المنهج في إيراد الأحاديث والروايات دون سند، بل وأكثر من ذلك فإنه يتهم ساداتنا عثمان وعلي رضي الله عنهما بالزلل، فأما سيّدنا عثمان فقد اتّهمه بالخيانة فيما استعمله من العمال ووصفهم بالخونة أيضاً وفيهم ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم وكبار التابعين، ويستدل بآيات وأحاديث يتأولها في تكفير سيّدنا عثمان والعياذ بالله - وأما سيّدنا علي فيتهمه بالكفر - والعياذ بالله - في مسألة التحكيم، وأنه قتل أصحاب سيّدنا معاوية رضي الله عنه، وقتل أهل النهروان ويصفهم بالأوابين وأنّ من وصفهم بهذا سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ولم يورد ردّ سيّدنا عليّ على وصف سيّدنا عبد الله بن العباس للخوارج بذكره حديث سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم: «الخوارج كلاب النار». ثم يعدّد الورجلاني زلات الخوارج من الأزارقة والمعتزلة، ويتهم أهل السنة والجماعة ببدعة خلق القرآن الكريم، ويتهم الإمام الزهري أحد أكابر التابعين من هذه الأمة. يتهمهم بمخالطة الأمراء، وأن كبار الفقهاء لاموه على ذلك، ويذكر بعضاً منهم دون دليل أو سند. ويذكر حديثاً في الكذب على سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سند ولا حتى الصحابي الذي روى هذا الحديث، ويتهم العباد

¹ - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ط1، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 1347هـ، ص ص 15 - 16.

² - الإمام السيوطي، مفتاح الجنة، ص2.

³ - الورجلاني: أبو يعقوب يوسف إبراهيم الورجلاني من رؤوس الخوارج ومُصنفيهم في المذهب، عاش بورجلا بالجزائر، وله رحلة إلى الأندلس. توفي سنة 570هـ/1174م. ينظر: مقدّمة كتاب الدليل والبرهان للورجلاني، ج1، ص ص 9-11.

والزُّهاد بالرهبانية¹، والابتداع في العبادات، ولا يُعطي لذلك أمثلة بل يجعل كلامه على الإطلاق².

وعند الحديث عن الخوارج فإنّه يقتصر في كلامه على ذكر حديث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: "هم قليلون لا يُعبأ بهم"، وينسبُ بعد ذلك مباشرة فرقة المرجئة إلى أهل السنة ويقول "فهم كثير"، ويذكر الشيعة، ويخلطُ بينهم وبين المُشَبَّهة والمُجَسِّمة ويجعلهم فرقة واحدة³.

ويُضللُ أهل السنة والجماعة من الأشاعرة ويدّعي أن اعتقاده ومذهبه أصحّ المذاهب، وهذا في ردوده على المذاهب الأخرى⁴.

ثم يذكر آراء أئمة الخوارج ويدّعي أن منهم جابر بن زيد رحمه الله⁵.

2_ أشهر المؤرخين الشيعة ومناهجهم في الكتابة التاريخية

الكليني⁶ وله كتاب "الكافي" وهو عند الإمامية بمثابة صحيح البخاري عند أهل السنة، وفيه من المعتقدات الباطلة المُفتراة على الأئمة مما لا يقول به مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر¹،

¹ _ الرهبانية: رَهَب: خاف، والاسم: الرّهبي، واسترّهَبه: أخافه، وتَرَهَّبَه: توعّده، والتَرَهَّبُ: التّعبد. والزّاهب: واحد رهبان النصراني، ومصدره: الرّهْبَةُ والرّهْبَانِيَّة، أو الرّهْبَان: قد يكون واحداً، رهابيُّن ورهبانِيَّة ورهبانيون، و"لا رهبانية في الإسلام": هي كالاختصاء، واعتناق السلاسل، ولبس المسوح، وترك اللحم ونحوها. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص92.

² _ أبو يعقوب يوسف إبراهيم الورجلاني، الدليل والبرهان، تحقيق سالم بن حمد الحارثي، ط2، وزارة التراث والثقافة، مسقط، عمان، 1427هـ/2006م، ج1، ص ص 27-31.

³ _ نفسه، ج1، ص- ص 24-25.

⁴ _ الورجلاني، الدليل والبرهان، ج1، ص ص 52-60.

⁵ _ نفسه، ج2، ص95.

⁶ _ الكليني: أبو جعفر محمد ابن يعقوب الكليني الرازي من فقهاء الشيعة والمصنّفين في مذهبهم، روى عنه أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم الصّيمري وغيره، وكان ينزل بباب الكوفة في درب السلسلة في بغداد=

ويعتبر مُقدّم كتاب الكافي أن هذا المصنف من أجل المصنفات في الحديث، وأنه كتاب تفسير كبير، وأنه عمدة الشيعة في الشريعة والأخبار، وبألف مقدّم الكتاب كثيرا في مدح الكليني صاحب الكافي². ويزعم الكليني في كتابه هذا، ومن الأباطيل التي رواها قوله بأنه لم يجمع القرآن الكريم كلّهُ إلا الأئمة من آل البيت، وأنهم يعلمون علمه كله، وأن باقي الناس ممن جمعوا القرآن الكريم كاذبون في جمعهم وحفظهم لكتاب الله، وأن الأئمة هم وأوصياؤهم أعلم الناس بالقرآن ظاهرا وباطنا، وساق في ذلك روايات واهية³.

وزعم أن الإمام المعصوم يوحى إليه بسماع الكلام دون رؤية الشخص⁴، وأوّل قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾⁵ الآية. أنها التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء عليهم السلام توارثها الأئمة من آل البيت يقرؤونها كما أنزلت دون تحريف⁶.

قال الإمام الطبري رحمه الله في تأويل قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ يعني بذلك أن الله اصطفى آل إبراهيم وآل عمران ذرية بعضها من بعض، وإنما جعل بعضهم من بعض في الموالاة في الدين، والمؤازرة على الإسلام والحق، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ

=وتوفي بها سنة 328هـ/939م. ينظر: الأمير الحافظ علي هبة الله بن جعفر ابن ماکولا، الإكمال في رفع الارتباب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تصحيح نايف العباس، ط1، دار الكتاب الإسلامي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1383هـ/1963م، ج7، ص 186.

¹ _ هامش سير أعلام النبلاء للذهبي، ج15، ص280.

² _ مقدمة أصول الكافي، ص- ص 5 - 39.

³ _ أبو جعفر الكليني، الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، ط5، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1388هـ، ج1، ص228.

⁴ _ الكليني، الكافي، ج1، ص 176.

⁵ _ الآية 34، سورة آل عمران.

⁶ _ الكليني، الكافي، ج1، ص 227.

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴿١﴾ الآية¹ وقال في موضع آخر: ﴿الْمُتَافِقُونَ وَالْمُتَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ الآية². يعني أن دينهم واحد، وطريقتهم واحدة، فكذلك قوله: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ إنما معناه: ذرية دين بعضها دين بعض، وكلمتهم واحدة، وملتهم واحدة في توحيد الله سبحانه وتعالى وطاعته، قال الإمام الطبري: كما حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ يقول: في النية والعمل والإخلاص والتوحيد له³.

وزعم الكليني أن الله جعل في سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم خمسة أرواح: روح الحياة، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان، وروح القدس، فإذا قبض النبي صلى الله عليه وسلم انتقل روح القدس فصار إلى الإمام⁴، وهذا ما يعرف بالتناسخ الذي قالت به الصابئة⁵ ويدّعي أن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورث علم النبيين عليهم السلام عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو أعلم منهم⁶ ويزعم أن العلم والحق كله خرج من آل بيت سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرهم على الجهل والخطأ⁷.

¹ _ سورة التوبة، الآية 71.

² _ سورة التوبة، الآية 67.

³ _ تفسير الطبري، ج5، ص ص 329 - 330.

⁴ _ الكليني، الكافي، ج1، ص 272.

⁵ _ الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص ص 222 - 223.

⁶ _ الكليني، الكافي، ج1، ص ص 222 - 223.

⁷ _ نفسه، ج1، ص ص 398 - 399.

وقد ملئ الكتاب بمثل هذه الأباطيل المزعومة عن آل بيت النبوة كعلمهم الغيب، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، إلى غيرها من المزاعم الباطلة التي ملأت كتاب الكافي، وأنهم لا يخفى عليهم شيء¹.

وزعم أن الأئمة هم خلفاء الله عز وجل في أرضه، وساق في ذلك روايات وأول الاستخلاف الوارد في القرآن الكريم أنه جاء في حق الأئمة².

اليقوي³: وقد طَفَحَ كتابه: "التاريخ" بما يدل على غُلُوِّهِ في التشييع وانتمائه للإمامة، ولو استعرضنا كتابه لانتضحت لنا ميوله بشكل جلي وواضح: فمن الملاحظات العامة على كتابه: أنه لا يعترف بخلافة أحد من الخلفاء سوى ساداتنا علي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما، فهو عندما يذكر بقية الخلفاء يبدأ خلافتهم بقوله: "أيام"، ثم يذكر اسم الخليفة، بما فيهم الخلفاء الراشدون الثلاثة ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم، ويُسهب في ذكر أقوال الأئمة من العلويين وخطبهم ويستفيض في سيرهم عند ذكر وفاتهم، وعرض لكثير من المسائل والروايات حول سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته عليهم رضوان الله، وعدد من الصحابة رضي الله عنهم، وبني أمية وغيرها من المسائل والأحداث،

¹ _ الكليني، الكافي، ج1، ص ص 256-262.

² _ الكليني، الكافي، ج1، ص ص 193-194.

³ _ اليقوي: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الأخباري العباسي: ذكره أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري الكندي المؤرخ في تاريخ له ابتدأه بسنة ثمانين ومائتين، قال: إن أحمد بن إسحاق بن واضح مولى بني هاشم توفي سنة أربع وثمانين ومائتين، وله تصانيف كثيرة منها: كتاب التاريخ الكبير، وكتاب أسماء البلدان مجلد، وكتاب في أخبار الأمم السالفة صغير، وكتاب مُشكلة الناس لزمانهم. ينظر: ياقوت الحموي الرومي، مُعجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ص557.

وكلّها تدل على غلوّه في الشيع، وهذا ما أدّى به إلى تحريف كثير من الروايات التاريخية المذكورة في كتابه¹.

المسعودي² عند الاطلاع على كتابه: "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وكتاب: "التنبيه والإشراف" فيمكن استخلاص دلائل على غلوّه في التشيع من خلال ما يذكره من الروايات المتعلقة منها بالأئمة الخلفاء من آل البيت، واهتم كثيرا بالأحداث المرتبطة بالبيت العلوي وأخبارهم، وعند ذكر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم والحسن بن عليّ وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم والخلفاء العباسيين يقول: "ذكر خلفه..." أما عند ذكر بقية خلفاء بني أمية فيقول: "ذكر أيام..."، وقد روى حديثاً في نصيّة اثنا عشر إماماً من آل البيت، وينعت أهل السنة بالحشوية وله من الطعون والتحريف في السيرة، وحول الصحابة رضوان الله عليهم وبعض عمّالهم الكثير³.

وكُتِبَتْ طافحة ودالة على أنّه كان شيعياً معتزليّاً، فقد تكلم في أمربيعة سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وتفضيل سيّدنا عليّ رضي الله عنه عن سائر الصحابة رضوان الله عليهم، وله في هذا وغيره مزاعم كثيرة⁴.

¹ - أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، تقديم محمّد صادق، د.ط، المكتبة الحيدرية، النّجف - العراق، ج2، ص ص 4-241.

² - المسعودي: صاحب "مروج الذهب" وغيره من التواريخ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، نزل مصر مدة وكان أخبارياً، صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون، أخذ عن أبي خليفة الجُمحي، ونفطويه، وغيره، مات سنة 345هـ/956م. ينظر: الذهبي، السير، ج15، ص569.

³ - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 345هـ/956م)، التنبيه والإشراف، د ط، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل، ليدن-هولندا، 1893م، ص397. /المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، 1425هـ/2005م، ج2، ص ص 217-333، ج3، ص ص 5-343.

⁴ - ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج5، ص532.

القاضي النعمان¹: يظهر من كتب مؤرخي الشيعة مدى التأثير بهذا المنهج، فعلى سبيل المثال لا الحصر في افتتاح كُتُبِهِ يذكر الأئمة من آل البيت ويُثني عليهم دون الصحابة رضوان الله عليهم، كما أنه يُظهر انتماءه إلى الباطنية من الشيعة كما في كتابه: "تأويل الدعائم" مخاطباً أتباع هذه الدعوة قائلاً: "... تُثقلون حالاً بعد حال في حدود الدين كانتقالكم في نشأة الخلق الظاهر وإن خُلِقَ الدين مثله في الباطن". ويضرب مثلاً بذكر بطون الأئمة في القرآن الكريم ويتأوله بأنه باطن العلم².

أي كما أن للإنسان ظاهر وهو خَلْقُهُ على صورته، وله باطن وهو في بطن أمه كذلك العلم له ظاهر وباطن. ويقول مادحا الأئمة من آل البيت في مفتتح كتابه "افتتاح الدعوة": "وأبقى الإمامة في ذريته وعقبه إلى يوم الدين... ولم يُخلِ الأرض من إمام فيها للأئمة، وقائل بالحق وقائم بالحجة، وإن تغلب فيها المتغلبون واستتر للنقية³ الأئمة المستحفظون، وإن لهم بكل جزيرة من جزائر الأرض داعياً إليهم، وبكل ناحية من نواحيها دليلاً "عليهم" ثم يشير إلى ذكر أمر الدعوة الباطنية بأرض المغرب والثناء على صاحبها المهدي واعتبار أن الأحاديث الشريفة قد وردت في حقه فقال: "ذكرُ أمر الدعوة بأرض

¹ _ القاضي النعمان: المارق، قاضي الدولة العبيدية، أبو حنيفة، النعمان بن محمد، بن منصور المغربي، ارتد إلى مذهب الباطنية، وصنف له أسس الدعوة، وتبذد الدين وراء ظهره، وألف في المناقب والمثالب ورد على أئمة الدين، وانسلخ من الإسلام، ووافق الدولة لا بل وافقهم، وكان ملازماً للمعز أبي تميم منشئ القاهرة. وكان علمه وبالا عليه. وانتصر لفقه أهل البيت، وله كتاب في اختلاف العلماء. مات سنة 363هـ/973م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص150.

² _ القاضي أبو حنيفة النعمان التميمي المغربي، تأويل الدعائم، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1426هـ/2006م، ج1، ص5.

³ _ النقية: اتقيت الشيء: حذرته، وتبعاً لروايات الشيعة فهي عندهم: الكذب المحض أو النفاق البين. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج55، ص4901. /محمد عبد الستار التونسي، بطلان عقائد الشيعة، د.ط، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، دار النشر الإسلامية العالمية، الباكستان، 1403هـ، ص77.

المغرب إلى المهدي صلوات الله عليه... وقد أفردنا كتاباً غير هذا في "معالم المهدي" وصفته وذكر قيامه وأيامه، وما تقدّم في ذلك من الآثار"، أي ما جاء من الأحاديث الشريفة التي ذكرها سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم في حقّ المهدي¹ الذي يظهر في آخر الزمان، ويزعم أنّها جاءت في حقّ عبيد الله المهدي².

¹ _ الحديث: حديث صحيح رواه الإمام أحمد بن حنبل قال: ثنا حمّاد بن سلمة، أخبرنا مطر والمعلّى، عن أبي الصديق، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تُمْلَأُ الأرضُ جَوْرًا وظلماً فيخرج رجل من عترتي يملك سبعا أو تسعا فيملاً الأرض قِسْطاً وعدلاً». ينظر مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 11223، ج17، ص 321./ورواه الإمام أحمد من طريق الحسن بن موسى، رقم: 11656، ج18، ص 205.

² _ القاضي أبو حنيفة النعمان التميمي المغربي، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1975م، ص ص 1-2.

3_ مسانيد الخوارج ومنهجهم في التأليف التاريخي

كتاب السير للوسيان¹: في كتاب السير للوسيان الذي يعتبر من أمّهات المصادر المعتمدة عند الخوارج سيما عند الإباضية والصفيرية منها؛ فيتّضح جلياً منهج هذا الكتاب من خلال ما قاله صاحبه في مُفْتَتَح كتابه: "فإنّي نظرت إلى الآثار قد امّحت، وإلى أخبار أهل دعوتنا قد انطمست، فأحببت أن أولف منها كتاباً مما بلغني وصحّ عندي وتخالجني فيه الشكوك، وأردت فيه السلوك لمناهجهم، مما قبلته ورويته عن شيخي العاصمي ثم اللواتي²، عن شيخي ماكسن الجرامي الوسياني³ عن أنصار أهل دعوتنا"، وهذه تزكية من الوسياني لشيوخ الدعوة الخارجية، ويصف في مقدّمة كتابه أيضاً عمران بن حطان⁴ وهو أحد رؤوس الخوارج بالعبد الصالح ويستدل بأقواله، وبن حطان هذا من الذين امتدحوا ابن ملجم قاتل سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ويُصَلّي الوسياني على سيّدنا رسول الله عليه وسلم دون الترضي

¹ _ الوسياني: عاش الوسياني بصحراء المغرب الأوسط بمنطقة محادية لورجلا، تتلمذ على العاصمي، والوارجلاني، كان يعقد حلقة في السير والآثار، والتواريخ والأخبار على مذهب الخوارج من الإباضية، ينظر: الوسياني، ج1، ص ص 121-122/الدرجيني، الطبقات، ج2، ص513.

² _ اللواتي (ت 528هـ/1133م): كان جده "مّيال" عاملاً للإمام الرستمي أفلح على نفزوة، كان يروي الأخبار وبقيد سير الإباضية. ينظر: الوسياني، السير، ج1، ص328./الدرجيني، الطبقات، ج2، ص470.

³ _ ماكسن الجرامي الوسياني اليفرنّي (ت 491هـ/1097م): أخذ عن الفرستائي النفوسي وابن ماتوج اللمائي، والعاصمي. ينظر: الوسياني، السير، ج1، ص229/الدرجيني، الطبقات، ج2، ص429.

⁴ _ عمران بن حطان: البصري الخارجي أحد رؤوس الخوارج، وشاعرهم البليغ روى عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبي موسى الأشعري، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم، روى عنه صالح بن سرج، وقتادة، ومحمد بن سيرين، ويحيى بن أبي كثير. قال يعقوب بن شيبة: أدرك جماعة من أصحاب سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصار في آخر أمره أن رأى رأي الخوارج وكان سبب ذلك فيما بلغنا أن ابنة عمّ له رأت رأي الخوارج فتزوّجها ليردّها عن ذلك فصرفتة إلى مذهبها. وعن عثمان البتي قال: كان عمران من أهل السنّة، فقدم غلام من أهل عمّان كأنه نصل، فغلبه في مجلس. روى له البخاري، وأبو داود، والنسائي، مات سنة 84هـ/703م. ينظر: يوسف المزي، تهذيب الكمال، ج22، ص322/ابن العماد، شذرات الذهب، ج1، ص347./الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص214.

على آل بيته الطاهرين وصحابته البررة الطيبين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ويشرع بعد ذلك في الرواية عن الرواة من الخوارج مع دعائه لهم بالرحمة والمغفرة¹.

سير مشايخ نفوسة للبغطوري²: والمتصفح لكتاب البغطوري يجد أنه بدأ فيه بسرد أصول المذهب الخارجي، وقام بنسبته إلى مجموعة من الأئمة دون إسناد للرواية، ويدخل ضمنهم من كان من الصحابة رضوان الله عليهم كسيدنا صحرار بن عباس العبدي³، ومن التابعين

¹ _ أبو الربيع الوسياني، سير الوسياني، دراسة وتحقيق حمود بوعصبانة، ط1، وزارة التراث والثقافة، مسقط-عمان، 1430هـ/2009م، ج1، ص ص 228-229.

² _ البغطوري: هو مقرين البغطوري نسبة إلى قرية بغطورة بالحراة، أخذ عن داود بن هارون، والجنائني. والبغطوري من مؤرخي الخوارج سيما الإباضية منهم. ينظر: البغطوري، مقدّمة كتاب: سير مشايخ نفوسة، ج1، ص- ص 14-16.

³ _ سيدنا صحرار بن عباس العبدي رضي الله عنه: صحرار بن عياش: وقيل: عباس، وقيل: صحرار بن صخر بن شرحبيل بن منقذ بن حارثة من بني ظفر بن الديل بن عمرو بن وداعة بن لكيز بن أقصى عبد القيس العبدي الديلي. روى عنه: ابنه عبد الرحمن وجعفر، ومنصور بن أبي منصور. روى صحرار عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يُخسف بقباثل، فيقال: من بقي من بني فلان». يقول: فعلمت أن بني فلان العرب، وأن العجم تنسب إلى قراها، وكان من أخطب الناس وأبينهم، وكان خيرًا، فاضلا، عابدا، وقد روى عن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم حديثين أو ثلاثة، قال: أبو عمر ابن عبد البر: له صحبه ورواية، يعد في أهل البصرة. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ج3، ص7. /أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت317هـ/م)، مُعجم الصحابة رضوان الله عليهم، تحقيق محمد الأمين بن محمد محمود أحمد الجنكي، ط1، مكتبة دار البيان، الكويت، 1421هـ/2000م، ج3، ص3709. /القاضي أبو المعالي أظهر المباركوري، العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ط2، دار الأنصار، القاهرة، 1388هـ/1969م، ص64.

جابر بن زيد أبو الشعثاء¹، وحيان الأعرج²، وهؤلاء الذين ذكرهم البغطوري لم يشر إليهم أئمة الجرح والتعديل والأخباريون والمؤرخون أنهم من الخوارج، بل وأكثر من هذا فإنه يمدح رؤوس الخوارج بروايات دون سند ويكتفي بقوله: "وَرُويَ... وقيل... يُروى... وذكروا" وهذا يتكرر في كل كتابه، وينسب أقوالاً غير موثقة لجابر بن زيد ويزعم أنه تمنى الموت لَوْلَدِيهِ حتى لا يَكْبُرَا ويعملا ذنوباً فيدخلان بفعلها النار³، وهذا قول الخوارج في مصير الأطفال وليس قولاً لجابر بن زيد⁴، ويتحدث عن أئمة المذهب الإباضي الذين نقلوا المذهب من المشرق إلى المغرب، ويبدأ كلامه بقوله: "وَرُويَ... وبلغنا... وذكر..."، ولا يُسند رواية مما يَذكر، ويتحصّر على ذهاب ملك الرستميين، ثم يشرع في سرد سير أهل نفوسه⁵ على نفس النسق والمنهاج أي دون التأصيل لكلامه ورواياته⁶.

¹ _ أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي: قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما: "لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم عمّا في كتاب الله عز وجل علماً". وقال عمرو: "وما رأيت أحداً أعلم من أبي الشعثاء". وعن مطر الوراق قال: "قال جابر بن زيد: لَأَن أَتَصَدَّقَ بَدْرَهْمٍ عَلَى يَتِيمٍ أَوْ مَسْكِينٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَجَّةٍ بَعْدَ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ"، وقال: "لو ابتليت بالقضاء لركبت راحلتي وهربت". وأسند أبو الشعثاء عن ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهما. توفي سنة 93هـ/711م. ينظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص626/الذهبي، سير الأعلام، ج4، ص481.

² _ حيان الأعرج: الجوفي، بصري، روى عن جابر بن زيد. روى عنه داود بن أبي القصاف، وسعيد بن أبي عروبة، وابن جريج، وقتادة، ومنصور بن زاذان. عن يحيى بن معين قال: "حيان الأعرج ثقة". ينظر: يوسف المزي، تهذيب الكمال، ج7، ص476.

³ _ مقرين بن محمد البغطوري، سيرة مشايخ نفوسة، تحقيق توفيق عياد شقروني، د ط، مؤسسة تاوالت، ليبيا، 2009م، ج1، ص ص 25-29.

⁴ _ الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص86.

⁵ _ نفوسة: جبال عالية في المغرب بعد إفريقية، وجميع أهل هذه الجبال شراً وهبيّة وإباضية متمردون عن طاعة السلاطين، وافتتح سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه نفوسة وكانوا نصارى، ومن جبل نفوسة رجع عمرو بن العاص بكتاب وَرَدَ عليه من سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص - ص 296-297.

⁶ _ البغطور، مشايخ نفوسة، ج1، ص ص 25-40.

طبقات المشايخ للدرجيني¹: أخذنا عن البغطوري خاصة فيما تعلّق بنسبة بعض الصحابة رضوان الله عليهم وسادات التابعين رحمهم الله إلى مذهب الإباضية يبدأ الدرجيني كتابه طبقات المشايخ بالمغرب بمن اشتملت عليه الخمسون الأخيرة من المائة الأولى من المحكّمة الأولى، ومؤسّس مذهب الإباضية عبد الله بن إباض، وعمران بن حطان، ويتدرّج في ذلك إلى أن يصل بهم إلى الخمسون الأولى من المائة السادسة، ويذكر في مقدمة كتابه حديثاً عن فضائل الفُرس لأن عبد الرحمن بن رستم² كان فارسياً، ويُوردُ بلا إسناد أن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل قول الله تعالى: ﴿كَذَٰبٌ مِّنْهُنَّ نَجَسٌ مُّثْقَلٌ يُضِلُّكَ يَوْمَ تَوُضِعُ كُوزُهُمْ فِي النَّارِ﴾ الآية³، أشار إلى سيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه وكان جالسا بين يديه قال: "لعلهم أن يكونوا من رهط هذا"⁴.

والدرجيني هنا يتأوّل هذه الآية فقد قال الإمام محمّد بن جعفر الطبري في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ﴿كَذَٰبٌ مِّنْهُنَّ نَجَسٌ مُّثْقَلٌ يُضِلُّكَ يَوْمَ تَوُضِعُ كُوزُهُمْ فِي النَّارِ﴾ أي صدّقوا الله ورسوله، وأقروا بما جاء به نبيّهم سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم⁵ من الله تعالى. وقال الإمام الثعالبي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰبٌ مِّنْهُنَّ نَجَسٌ مُّثْقَلٌ يُضِلُّكَ يَوْمَ تَوُضِعُ كُوزُهُمْ فِي النَّارِ﴾ خطاب للمؤمنين إلى يوم القيامة⁶.

¹ _ الدرجيني: أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف المزاتي الدرجيني، نسبة إلى قصر درجين من بلاد الجريد، أخذ عن أبي سهل الوارجلاني، وهو مشهور بكتاب الطبقات. توفي سنة 670هـ/1271م، ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ، مقدمة الكتاب، ص ص أ - ن.

² _ عبد الرحمن ابن رستم: مؤسس الدولة الرستمية، فارسي الأصل، وهناك من يرى أنه من الأشبان بالأندلس توفي سنة 171هـ/213م. ينظر: ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م، ص 26.

³ _ الآية 54، سورة المائدة.

⁴ _ أبو العباس الدرجيني، طبقات مشايخ المغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، د.ط، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م، ج 1، ص ص 7 - 12.

⁵ _ الطبري، تفسير القرآن الكريم، ج 8، ص 517.

⁶ _ الثعالبي، تفسير القرآن الكريم، ج 2، ص 394.

ويذكر الدرجيني رواية أخرى مُتَكَرِّرَةً عن فضل الفرس وتَوَلَّيْهِمْ لتاهرت¹، ويذكر الحديث بلا إسناد لسَيِّدِنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل الفرس، ويتأول قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ الآية²، يتأول الدرجيني هذه الآية على أَنَّهَا وَرَدَتْ في بني حنيفة³ وفارس⁴ قال الإمام الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أهل فارس، وعن ابن أبي ليلى قال: فارس والروم. وعن الحسن البصري مثله. وقال ابن زَيْدِهِم: فارس والروم. وقال آخرون من أهل العلم: هم هوازن بِحُنَيْنٍ⁵، وقال آخرون بل هم: بنو حنيفة¹.

¹ _ تاهرت: إسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحدهما: تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المُحَدَّثَةُ، بينهما وبين المسيلة سِتُّ مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد، وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار، لم تكن في طاعة صاحب إفريقية، ولا دخلت في سلطان بني الأغلب، وكان صاحب تاهرت ميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بن بهرام بن ملوك الفرس، وكان بتاهرت: بكر بن حماد أبو عبد الرحمن، من حفاظ الحديث وثقات المُحَدَّثِينَ المأمونين، سمع بالمشرق ابن مسدد، وعمر بن مرزوق، وبشير بن حجر، وبإفريقية ابن سحنون وغيرهم، رحمه الله. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص ص 7-9.

² _ الآية 16، سورة الفتح.

³ _ بنو حنيفة: قبيلة من بكر بن وائل، من العدنانية، تتفرع إلى بطون كثيرة، وكانت تقطن اليمامة، ثم تفرقت في كثير من البلدان، فسكنت الزوراء ورسافة هشام. وقَدِمَ وفد من بني حنيفة على سَيِّدِنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 9هـ/630م، وفيهم مسيلمة الكذاب، وكانت بنو حنيفة من أشد العرب شوكة في حروب الردة، فسار خالد بن الوليد رضي الله عنه إليهم وهزم مسيلمة شرَّ هزيمة. ينظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ص 374-376.

⁴ _ الدرجيني، الطبقات، ج1، ص11.

⁵ _ حُنَيْن: يجوز أن يكون تصغير الحنان وهو الرِّحمة، ويجوز أن يكون تصغير الحن وهو حي من الجن. قال السهيلي: سمي بحنين بن قانية بن مهلائيل، قال: وأظنه من العماليق، حكاه عن أبي عبيد البكري، وهو اليوم الذي ذكره جَلَّ وعَزَّ في كتابه الكريم: وهو قريب من مكة المكرمة، وقيل هو واد قبل الطائف، وقيل واد بجانب ذي المجاز، وهو يذْكَر ويؤنَّث، فإن قصدت البلد ذَكَرْتَهُ كقوله تعالى: ﴿هُوَ هَـ

قال قتادة وغيره هم هوازن ومن حارب سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم حنين، وقال الزهري وغيره: هم أهل الردّة وبنو حنيفة باليمامة². انتهى قول الإمام الثعالبي³.

ووجه الإنكار في روايات الدرجيني أنه يروي عن الوضّاعين والكذابين أمثال ابن داب⁴، وعن الجاحظ (ت 255هـ/868م) في فضل البربر، ويأوّل ورود تلك الروايات في أئمة مذهب الإباضية من الخوارج، ولا يسند روايةً من هذه الروايات بسند متّصل كما يفعل أئمة الحديث الشريف والرواة والأخباريين والمؤرخين فيما هو مُجمّع عليه من شروط صحة الرواية، كقوله: "وبلغنا أن رجلاً من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن بعض الخلفاء"، فلا يسمي الرجل من ذرية سيّدنا أبي بكر، ولا يذكر اسم الخليفة الراشد صاحب

بـ هـ التوبة. الآية 25. وإن قصدت به البلدة والبقعة أثنته كقول الشاعر: نصرُوا نبيَّهُم وشَدُّوا أزرَهُ *** بحُنَيْنٍ يوم تَوَاكَل الأبطال. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 313.

¹ _ الطبري، التفسير، ج21، ص ص 267-268.

² _ اليمامة: منقول عن اسم طائر يقال له اليمام، وأحدته يمامة. وقال بعضهم: يمامة كل شيء: فطُبه، وقد يكون من يَمَمْتُ الشيء: تعمدته. وكان فتَحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام سيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة 12هـ/633م وفتحها أمير المسلمين سيّدنا خالد بن وليد رضي الله عنه عنوة، ثم صولحوا. وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من "تجد" وقاعدتها، "حجر"، وكان اسمها القديم "جوا" فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 441.

³ _ الثعالبي، التفسير، ج5، ص 253.

⁴ _ ابن داب: عيسى بن يزيد بن داب، الليثي المدني، كان واهي الحديث. قال خلف الأحمر: كان يضع الحديث. وقال البخاري وعنترة: منكر الحديث. قال أبو حاتم: منكر الحديث. وقال عبد الواحد بن علي في "مراتب النحويين": كان يضع الشعر، وأحاديث السمر، كلاماً ينسبه للعرب، فسقط علمه، وخفيت روايته. وعن الأصمعي قال: قال لي خلف الأحمر: آفتنا بين المشرق والمغرب ابن داب يضع الحديث بالمدينة، وابن شوكر يضع الحديث بالسند. ينظر: ابن حجر، لسان الميزان، ج6، ص 287.

القول الذي يستدل به الدرجيني في تأوله للآية الرابعة والخمسين من سورة المائدة ويشير إلى أنها نزلت في البربر من المتبعين لرؤوس الإباضية¹.

بينما يفسر الإمام الطبري هذه الآية نقلاً عن أئمة العلم من المتقدمين، حيث قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية². قال: "هذا والله أبو بكر وأصحابه". وقال الإمام الضحاك: "هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام، جاهدتهم أبو بكر وأصحابه حتى ردّهم إلى الإسلام". قال ابن جريج: "ارتدوا حين توفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه". وعن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "أبو بكر وأصحابه"، وكل هذه الروايات بسند متصل إلى الإمام الطبري، وهي الراجح منها³.

قال الإمام الثعالبي رحمه الله، قال الفخر الرازي صاحب التفسير: وهذه الآية إخبار بغيّب، وقد وقع الخبر على وفقه، فيكون معجزاً، وقد ارتدت العرب وغيرهم أيام أبي بكر رضي الله عنه، فنصر الله الدين، وأتى بخير منهم⁴.

وقد أورد هذه الروايات أبو زكرياء⁵ في تاريخه وكاد يطابقه فيها الدرجيني حتى أن الأمر اختلط على بعض المؤرخين في نسبة الكتاب لأبي زكرياء أو الدرجيني⁶.

¹ _ الدرجيني، الطبقات، ج1، ص ص 12 - 21.

² _ الآية: 54 سورة المائدة.

³ _ الطبري، تفسير القرآن الكريم، ج8، ص ص 519-521.

⁴ _ الثعالبي، تفسير القرآن الكريم، ج2، ص395.

⁵ _ أبو زكرياء: لم يرد في التراجم القديمة غير الإباضية ذكر لأبي زكرياء، وهو يحيى بن أبي بكر من رؤوس الإباضية بالقرن الخامس الهجري، وكان قد دخل ورجلان ولم يمكث بها. توفي سنة 1175هـ/471م، ينظر: أبو زكرياء، سير الأئمة، ص23.

⁶ _ أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، ط1، 1399هـ/1979م، ط2، 1402هـ/1982م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ص 43-53.

والدرجيني يغض الطرف عن ذكر من عاش في الخمسين الأولى من المائة الأولى للهجرة، ثم يعمد إلى نفس الأسلوب الذي انتهجه البغطوري ويذكر أن من أئمة المذهب بالخمسين الثانية: جابر بن زيد الأزدي "أبو الشعثاء"، ومن بينهم أيضا: الأحنف بن قيس¹، وإياس بن معاوية²، ويعتبرهم من رؤوس الخوارج وأصول المذهب، وهذا بعيد عن الحقيقة تبعا لشهادة أئمة التحقيق والجرح والتعديل في هؤلاء ويسرد ذلك بلا ضبط للتواريخ ولا تأصيل وتثبيت للرواية³.

وقد عرض الامام الونشريسي رحمه الله (ت 914هـ/1508م) في نوازلہ المُنصَمَتَةِ بكتاب "المعيار" فساد مذهب الخوارج، وعلى السلطان استتابتهم وردّهم إلى مذهب أهل السنة

¹ _ **الأحنف بن قيس**: ابن معاوية بن حصين، الأمير الكبير، العالم النبيل، أبو بحر التميمي، أَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ وَسُودَدِهِ الْمَثَل. اسمه ضحّاك، وقيل: صخر. كان سيّد تميم، أسلم في حياة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم، ووَفَدَ على سيّدنا عمر رضي الله عنهما. حدّث عن عمر، وعليّ، وأبي ذرّ، والعبّاس، وابن مسعود، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وعدّة. وعنه: عمرو بن جاوران، والحسن البصري، وعروة بن الزبير، وطَلُقُ بن حبيب وعبد الله بن عميرة، ويزيد بن الشّخّير، وخُلَيْدُ العصري، وآخرون، وهو قليل الرواية. كان من قُواد جيش سيّدنا عليّ رضي الله عنه يوم صفّين. قال ابن سعد: كان ثقة مأمونا، قليل الحديث، دعا له سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم اغفر للأحنف" عندما أثنى خيرا على دعوة سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم قومه للإسلام. توفي رضي الله عنه سنة 67 أو 71هـ/686 أو 690م ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص86.

² _ **إياس بن معاوية**: قاضي البصرة العلامة أبو وائلة. يروي عن أبيه، وأنس رضي الله عنه، وابن المسيّب، وسعيد بن جبير. وعنه خالد الحذاء، وشعبة، وحماد بن سلمة، ومعاوية بن عبد الكريم الضائع، وغيرهم. وكان يُضْرَبُ به المثل في الذكاء والدهاء والسُودَدِ والعقل، قلّما رُوِيَ عنه، وقد وثّقه ابن معين. له شيء في مقدّمة صحيح مسلم، واستوعب شيخنا المزي أخباره في "تهذيبه"، وابن عساكر قبله. توفي رحمه الله سنة 121هـ/738م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص155.

³ _ **الدرجيني**، الطبقات، ج1، ص7.

والجماعة، وعدم ترك العزّابة¹ يخالطون النَّاسَ، وضَمَّ أو هدم مساجدهم أو إخلائهم منها، وعدم مصاهرتهم، وهذا في فتاوى صادرة عن أئمة أهل السُّنَّة والجماعة².

¹ _ العزّابة: تعرف بحلقة العزّابة ذات عدد محدود من أهل البلد، تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي المذهبية والسياسية والاجتماعية، وتشاور هذه الحلقة في زمن الظهور والدفاع، أما في زمن الشراء والكتمان فإنها تقوم بعمل الإمام، وتمثله في مهامه، ينظر: سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية، ط3، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، تشرين الثاني 2005م، ص207.

² _ أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن عليّ الونشريسيّ، المعيار المُعَرَّب والجامع المُعَرَّب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - المغرب، 1401هـ/1981م، ج10، ص - ص 149 - 150.

اتّسم كلّ من الشيعة والخوارج بمنهج خاص بهم مخالف تماماً لمنهج أهل السنة والجماعة بدءاً بتأويل النصوص الشريفة وفق أهوائهم ومرادهم، وهذا ديدنهم مع كلّ ما تعلّق بالمسلمين في مناحي حياتهم، وقد طال هذا التأويل شخصيات ووقائع لها وزنها وقدرها في تاريخ الإسلام، والغرض من ذلك هو إظهار فقهاء ومؤرخي هذه الفرق المنتمين إليها بمظهر الصحة في المواقف التي اتخذوها عبر التاريخ ولم يمنعهم الوازع أيّاً كان من الإبطال والتزييف والمغالاة، وقد شحذوا كتبهم بتعصّبهم لمذاهبهم حتى أنّهم لم يقبلوا مع ذلك حجة ولا برهاناً، والمتصفّح لكتبهم ومن له أدنى عقل يدرك المدى الذي وصل إليه هؤلاء في الطعن في مقدّسات المسلمين وتبديل الأوصاف الخاصة بالأحداث والوقائع المفصلية في حياة المسلمين؛ ومعها الطعن في محاور وأساطين وأعمدة الأُمّة التي شهد لها العدو قبل الصديق بالصدق والاتّزان، ولولا تقطّن عدول هذه الأُمّة من المحقّقين لذهبت رؤوس هذه المذاهب في مغالطاتها مذهباً لا تحمد عقباه من التشويش على أصحاب العقول الضعيفة وفتنتهم؛ فعمل العلماء المؤرّخون على تتبّع مقالاتهم وكشف ما تنطوي عليه من سوء المقصد؛ وأنقذوا بهذا منظومة علمية صحيحة أصيلة متكاملة عبر قرون من الزمان من أن تعبت بها مثل هذه الفرق، وكانوا بذلك مستحقين لشرف وراثة سيّدنا النّبّي صلّى الله عليه وسلّم.

خاتمة

في نهاية هذه الدراسة تمّ الخُلوَص إلى مجموعة من النتائج العلمية في مختلف جوانب هذا البحث الموسوم بـ: "الكتابة التاريخية عند الفرق الإسلامية من القرن الأول إلى السابع الهجريين السابع إلى الثالث عشر الميلاديين" وهي مُجْمَلَةٌ كالتالي:

1_ الافتراق في أمة المسلمين لم يكن هو الأول من نوعه في تاريخ البشرية، وإنما سبق المسلمين إلى ذلك أمم أخرى منها اليهود والنصارى كما يوضّحه النص الشريف من قرآن كريم وسنة شريفة.

2_ تعدّدت الفرق عند المسلمين فبلغت بذلك التعداد ثلاث وسبعون فرقة كلّ بأسمائها ومذاهبها وآرائها ومعتقداتها والجغرافية التي انتشرت فيها.

3_ إنقسم العالم إلى مجموعة من الحضارات القديمة المؤسّسة للمنظومة التاريخية التي نعرفها الآن، والتي نقلت إلينا نمط الكتابة التاريخية في هذه الحضارات الضاربة في القدم، ومنها الحضارة المصرية، وحضارتي بلاد فارس والروم، والقرن الإفريقي، والتي كان لها اتّصال مباشر بالحضارة العربية؛ وبالتالي حدوث التأثير والتأثر بين هذه الحضارات في مختلف المجالات ومنها كتابة التاريخ.

4_ ونصل إلى واحدة من أعمق الحضارات ذات التأثير الكبير على الكتابة التاريخية في العالم أجمع بصفة عامة وعلى المسلمين بصفة خاصة وهي الحضارة العربية ممثلة في أجزائها الجغرافية الكبرى ومنها أرض الحجاز، وبلاد اليمن، وبلاد الرافدين، وبلاد الشام، ثمّ الأصقاع والشعوب المستعربة فيما بعد.

5_ تميزت الحضارة العربية بانتشار الاهتمام بالتاريخ والأنساب وسير المتقدّمين وتداولها مشافهة بين أبناء هذه الحضارة، وحتى لا تضيع هذه الرواية الشفويّة عمَل العرب على نَظْم كلامهم وسجعه في أُرْجوزاتٍ حتى يسهل عليهم حفظه وهذا ما عرف عندهم بأيام العرب،

وهو حَسَنَةٌ علمية من حَسَنَاتِ الفترة التي سبقت الوحي عند المسلمين. حيث استعانوا بهذه الأيام في شروح العلوم النقلية والعقلية ومنها علم التاريخ.

6_ تُشكّل الكتابة التاريخية على العموم واحدة من أهمّ الآليات العلمية التي ساهمت بشكل كبير في حفظ التراث الإنساني من جهة، واستشراف المستقبل من جهة أخرى، ولم يكن العرب والمسلمون بِمَنَأَى عن هذا التراث وحفظه، بل على الأكثر من ذلك فقد أضفى العرب المسلمون إضافات لم يكن العالم لِيَعْرِفَهَا لولا الضوابط التي أَحَدَّثَهَا سكان الجزيرة العربية في حفظ الذاكرة البشرية.

7_ مثل شخص سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم الركيزة المَحَوْرِيَّة التي اعتمد عليها المسلمون في التأسيس لعلم التاريخ، وذلك تبعا لمكانة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم بين المسلمين، فاهتمّ أصحابه والتابعون رضوان الله عليهم بتدوين سَكَنَاتِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وتقاريراته وكل ما تعلّق بالجَنَابِ الشَّرِيفِ صلى الله عليه وسلم، واهتموا أيضا بتحقيق نَسَبِهِ الشريف ونسب ذرّيّته الشريفة من بعده، وانتقلوا إلى أنساب العرب الأخرى، كما اهتموا بذكر أزواجه سيّدات المؤمنين رضوان الله عليهن، والتعرّض لمعجزاته والخوارق التي أيّده الله بها لينتهي المسلمون إلى تدوين سيرته بدءا بمغازيه صلى الله عليه وسلم وهذا أوّل مُنْطَلَقُ كتابة التاريخ عند المسلمين.

8_ اهتم أوائل المؤرّخين بالتأليف حول بيئة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم التي عاش فيها، والتي هاجر إليها، وعُرِفَتْ هذه المصنّفات بتاريخ مَكَّة المكرمة والمدينة المنورة. نتج عن الكتابة في سيرة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم، الكتابة في سيرة أصحابه رضوان الله عليهم، ثم التابعين لهم، وهكذا حتى عصور المؤلّفين وإلى يوم النّاس هذا، وعُرِفَ هذا الفنّ في علم التاريخ بعلم السّير والتراجم ومنه أيضا الكتابة في الطبقات جيلا بعد جيل. يعتبر علم التاريخ فرع من علم الحديث النبوي الشريف ولذلك اهتمّ المحدثون والرّواة والأخباريون بإسناد رواياتهم إلى أصحابها انتهاء إلى سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

في علم الحديث الشريف، وانتهاء إلى أصحاب الأقوال في ذكر الخبر أو الحادثة، وأنشئوا لذلك علماً قائماً بذاته ألا وهو علم الجرح والتعديل الذي يبحث في عدالة الرواة من عدمها، فحفظوا بذلك الوحي وحفظوا معه التاريخ من أن يطأله التحريف والتزييف والغلو.

من نقاط القوة عند المسلمين انتماء السواد الأعظم إلى فرقة أهل السنة والجماعة التي بشر سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أن مآلها النجاة وأنها على النهج المستقيم، فعمل جهابذة وفطاحلة علمائها على حفظ الدين بحفظ حرمة مُرتكزاته ورموزه، واستعملوا التاريخ كآلة من آلات هذا الحفظ، وحددوا بذلك الضوابط والشروط التي يجب أن تتوافر فيمن يُنسب إلى أهل السنة والجماعة من جهة، والشروط والضوابط التي يجب أن تتوافر أيضاً في المُسندين والإخباريين والمؤرخين المُنتميين إلى هذه الفرقة من جهة أخرى، فحدّدوا بذلك المعنى الدقيق للانتماء والإتباع لمذهب أهل السنة والجماعة، واستدلّوا على ذلك بنصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين والفضلاء من هذه الأمة رضي الله عنه، وحدّدوا في الآن نفسه المُحدّثات التي تُخرِج صاحبها من مذهب أهل السنة والجماعة، وعمّموا ذلك على هذا المذهب وهذه الفرقة في جميع ما يشتغل بها من قول وفعل، أي من ناحيتي العلوم التي تكلموا بها والوقائع والأحداث التي شهدوها وأرخوا لها عن طريق كبار المؤرخين الذين تحقّق فيهم شرط المؤرّخ كما هو معروف عند أهل هذه الصنعة من العلم.

9_ عَرَفَ القرن الأول الهجري تحوّلاً كبيراً في ناحية التركيبة العامة لمجتمع المسلمين، خاصّة في أواخر عهد الخلافة الراشدة، في عصر أمير المؤمنين الخليفة الراشد سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، حيث ظهرت في عهده فرقتين كان لهما بالغ الأثر في إحداث تناقضات وتلبّيس فهُم النُصوص على المسلمين وهما فِرْقَتَا الشيعة والخوارج.

10_ أما فرقة الشيعة فقد عُرِفَت بالغلو في آل بيت سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصولاً إلى تأليههم -والعياذ بالله-، وبُعْضُ ساداتنا صحابته رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان لهم إلى يوم الدّين؛ فوصلوا إلى حدّ تكفير أخيار هذه الأمّة عن طريق تأويل النُصوص القرآنية الكريمة وأحاديث سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة، وإسقاط ذلك

على كُبْرَى الأحداث التي تعلّقت بالدَّوْحَةِ الشريفة، وتوصّلوا بهذه التّأويلات إلى الطّعن في ساداتنا الخلفاء الراشدين وأصحاب سيّدنا النّبيّ صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم وسيّداتنا أمّهات المؤمنين وطعنوا قبل ذلك في كتاب الله وفي سنّة سيّدنا النّبيّ صلى الله عليه وسلم وتعدّوا بذلك إلى الطّعن في كل مُخالفٍ لهم من أهل الاعتدال في مذهب أهل السنّة والجماعة. ولم يكن هذا الطعن والتحريف مشافهة فقط بل اجتازه إلى الكتابة، فبدؤوا بالتأسيس لمذهبهم من ناحية التزييف في العلوم الشرعية والفقهية، وعلم الكلام والتاريخ وغيرها، فحرّفوا وبدّلوا في الوقائع والأحداث وُفّق أهوائهم ومُرَادهم والمعتقدات التي كانوا يعتقدونها، ونَجَمَ عن ذلك مجموعة من التواريخ مُلئت بالمغالطات التاريخية التي اعتمدت على ما انتهجه الأوائل من أهل هذه الفرقة، وعناوين كتبهم مشهورة ومتداولة بين النّاس لشهرتها لا لفائدة فحواها، فالمتصفّح لها من أدنى الناس عقلا ورصيда يقف على التناقض واللّبس والكذب من ناحية الرواية والدراية في هذه الكتب.

11_ أما الخوارج فهي فرقة على النقيض من الشيعة إذ عُرِفَتْ كذلك بالطعن في القرآن الكريم وفي السنّة النبويّة الشريفة والخلفاء الراشدين وصحابة سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم والإجحاف والتفريط في حقّ آل بيت سيّدنا النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فبالغوا في بُغْضِهِم والخروج عليهم وترك الصلاة خلفهم، والتأوّل في النصوص الشريفة التي أفضت بهم إلى معاداة أئمة الهدى ومنهم سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، ووصلوا بغلوهم إلى حدّ إكفاره ومقاتلته رضي الله عنه، فخالفوا بذلك نصوص القرآن الكريم وسنّة سيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم وإجماع المسلمين، وترتّب عن ذلك انتقالهم من القول إلى إشحاذ كتبهم بما يعتقدونه، فتكلّموا في الشريعة والسّير والتاريخ عموما، فَهَيِّمَنَ بذلك على كتاباتهم الميّل والتعصّب إلى نُصرة مذاهبهم والكتابة وفق أهوائهم، وظهر ذلك جليّا باختلاقهم لكتب الحديث، وتأليف تواريخ مملوءة برواياتهم البعيدة كلّ البعد عن النّسق المعتدل في الرواية والدراية والتدوين عموما.

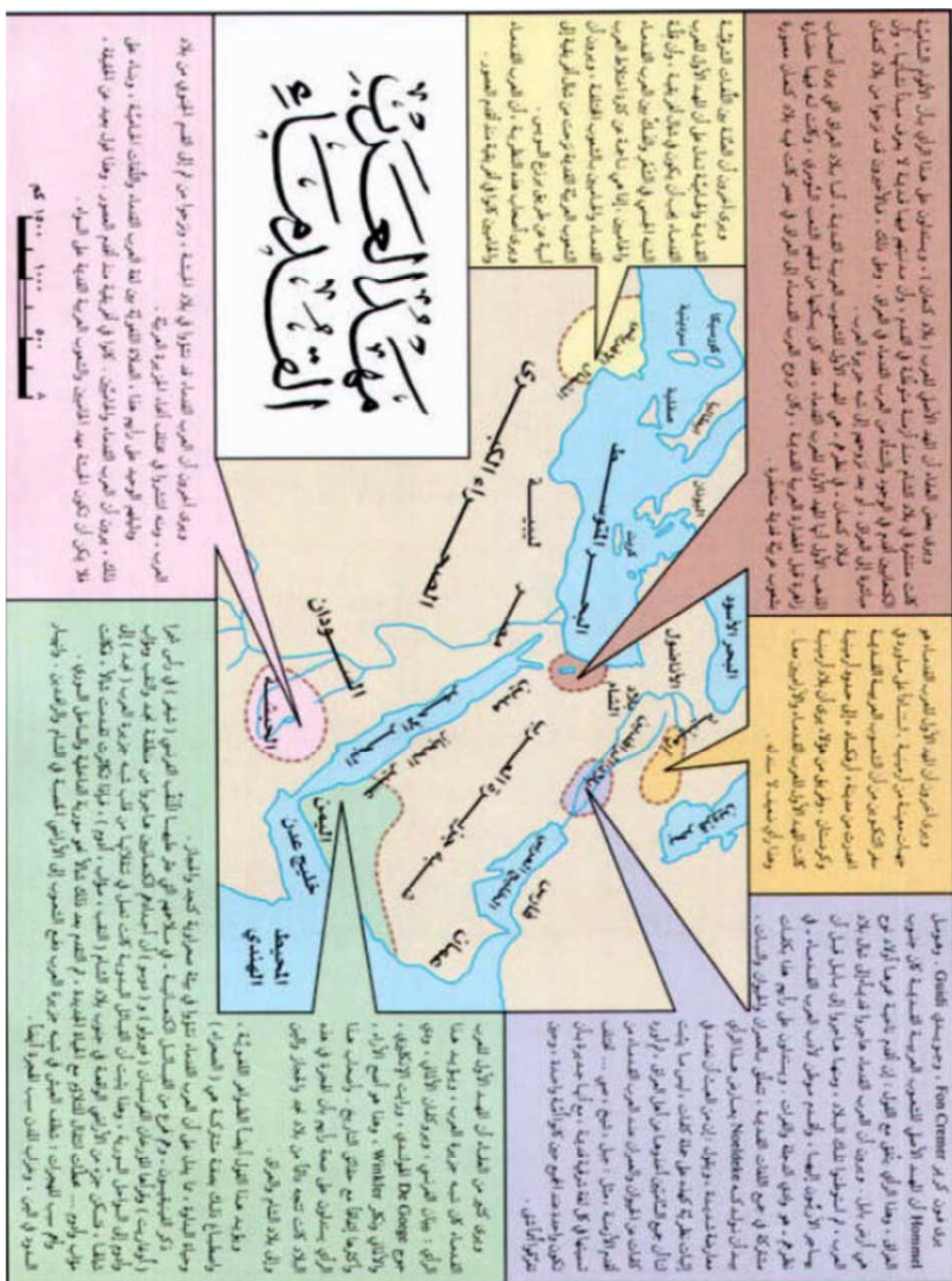
12_ توصيات البحث:

يمكن مواصلة البحث بالتعرّض للكتابات التاريخية في موضوع الفرق بنقدها عن طريق كتب ومؤلفات وردود أهل السنة والجماعة، ولا يُستثنى من ذلك كتابات المُتقدِّمين والمتأخّرين على حدّ سواء، حيث نجد بعض الكتابات المنسوب أصحابها إلى أهل السنة والجماعة تحوي عن قصد أو عن غير قصد مجموعة من الأفكار التي تؤيّد ما كانت عليه هذه الفرق، وحُجَّتهم في ذلك إطلاقهم بعض الشعارات التي تتنفّي مع منهج المؤرّخين المُحقّقين والضابطين للكتابة التاريخية منها التماس الأعذار لهذه الفرق؛ كالقول بأن مخالفة جمهور المسلمين الذي وقعوا فيه كان مخالفة سياسية وليس شيئاً آخر، أو وصف خروج بعض الفرق بالاجتهاد الفكري، أو تبرير الانحراف عن نهج أهل السنة والجماعة بحريّة الرأي.

وأخطر وأهمّ مجال يمكن التأريخ له هو أصول نشأة الفرق الإسلامية والعوامل المساهمة في ذلك وتدايعات ونتائج ظهورها مع إجراء عملية الإسقاط على وقتنا الحالي، حيث ظهرت فرق بيننا على نفس شاكلة الفرق المُتقدِّمة فاغترّ بهم كثير من النّاس واعتقدوا الحقّ في إتباعهم، ومنها فرقٌ محسوبة على أهل السنة والجماعة وهذا مَكْمُنُ الخطر، وأتباع هذه الفرق أبعد النّاس عن منهج أهل السنة والجماعة؛ فالواجب هَاهُنَا على المتعلّمين والمُسْتَتِيرين الأخيار فَضَحَ ملابسات هذه الفرق وتبيّن الحقيقة العلمية حمايةً لدين ومِلَّة وعلوم وتاريخ ومُسْتَقْبَل المسلمين.

ملاحق

الملحق رقم (01)¹: خريطة توضيحية لمهد العرب القُدّامي وأوطانهم الأصلية.



¹- شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط 12، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2005م، ص

الهجرة

(الأنفال ۸ / ۳۰)

(التوبة ٤٠/٩)

← طريق القوافل المطروقة

البحر الأحمر (القلزم)

الْحُثَّافُ

¹- شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ص 31.

طريق الهجرة

طريق الجادة (المعتلة)

الوصول إلى قباء يوم الإثنين
١٢ - ربيع أول سنة ١٣٨٢ هـ
الذوق ١٤ / ٢٤ - ربيع أول سنة ١٣٨٢ هـ
وأول الحرم سنة ١٣٨٢ هـ
سنة ١٣٨٢ هـ

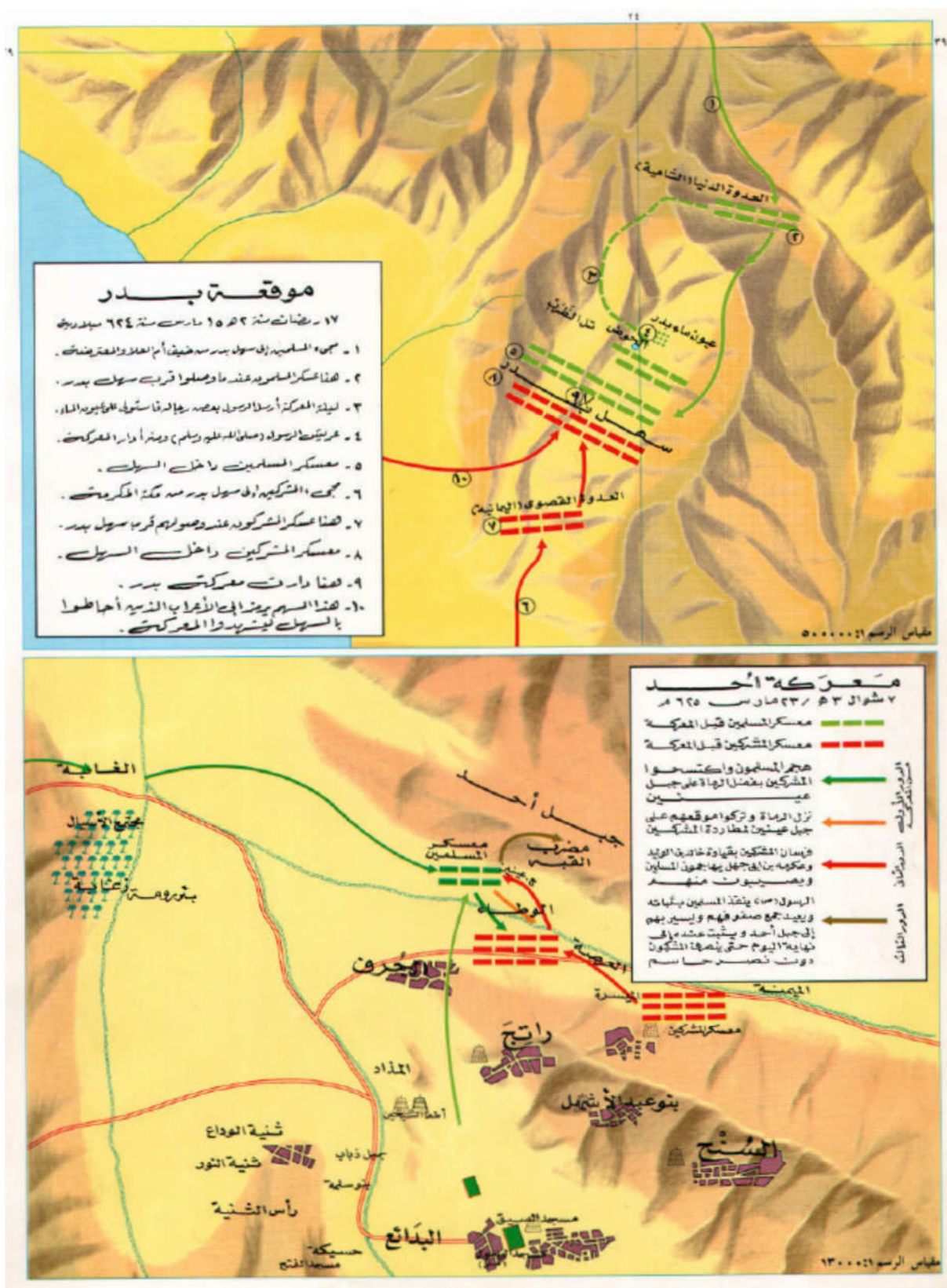
.63

الملحق رقم (04)¹: جانب من سيرة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته الملوك والأمراء للإسلام.



¹ - سامي بن عبد الله مغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، ط 06، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005، ص 265.

الملحق رقم (05)¹: مغازي سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وبداية الكتابة التاريخية عند المسلمين.



¹ - حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 68.

الملحق رقم (06): نظم في تعديل الرواة للإمام الحافظ العراقي.

والجَرْحُ والتَّعْدِيلُ قَدْ هَذَّبَهُ	ابن أبي حاتم إذ رَتَّبَهُ
والشَّيْخُ زادَ فِيهِمَا، وَزِدْتُ	ما في كلام أهله، وَجَدْتُ
فَأَرْفَعُ التَّعْدِيلُ: ما كَرَّرْتَهُ	كَثَّقَهُ ثَبَّتْ وَلَوْ أَعَدَّتْهُ
ثم يليه ثقة أو ثبت أو	مُتَّقِنٌ أو حُجَّةٌ أو إذا عَزَّوْا
الحِفْظَ أو ضَبْطًا لِعَدْلٍ ويلي	ليس به بأس صدوق، وَصِلِ
بذاك مَأْمُونًا خِيَارًا وتَلا	مَحَلَّهُ الصِّدْقَ، رَوَّاهُ عَنْهُ إِلَى
الصدقِ ما هو، وكذا شيخ وَسَطُ	أو وسط فحسب، أو شيخ فقط
وصالح الحديث أو مُقَارِبُهُ	جَيِّدُهُ، حَسَنُهُ، مُقَارِبُهُ
صُوِيْلِحُ صدوق إن شاء العليِّ	أرجو بأن ليس به، بأس تَلِي
وابن معين قال: مَنْ أَقُولُ: لا	بأس به؛ فَتَقَّةٌ، وَنُقْلًا
أن ابن مهديَّ أجاب من سأل	أثقة كان أبو خُلْدَةَ، بل
كان صدوقًا خَيْرًا مَأْمُونًا	النِّقَّةَ الثَّوْرِيَّ لو تَعَوَّنَا
وربما وَصَفَ ذا الصِّدْقِ وَسِمَ	ضعفا بصالح الحديث إذ يَسِمُ ¹

¹ - زين الدين عبد الرَّحِيم بن الحسين بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن ابن إبراهيم العراقي، ألفية الحافظ العراقي في الحديث الشريف المُسَمَّاة التَّبَصُّرَة والتَّذَكُّرَة، تصحيح وتعليق محمَّد بن الحسين العراقي الحسيني، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص - ص 2 - 9.

الملحق رقم (07): نظم في جرح الرواة للإمام الحافظ العراقي.

وأَسْوَ التَّجْرِيحِ: كَذَابٌ، يَضَعُ	يكذب، وضّاع، ودجال وضَعُ
وبَعْدَهَا مُتَّهَمٌ بِالْكَذِبِ	وساقطٌ، وهالك فاجتنب
وذاهِبٌ، متروك أو فيه نَظَرٌ	وسكتوا عنه به، لا يُعْتَبَرُ
وليس بالثَّقَّةَ، ثم رُدَّ	حديثُهُ، كذا ضعيفٌ جدا
واهٍ بِمَرَّةٍ، وهُمٌ قَدْ طَرَحُوا	حديثه، وأزم به، مُطَّرَحُ
ليس بشيء، لا يساوي شيئاً	ثم ضعيفٌ، وكذا إن جيئاً
بِمُنْكَرِ الْحَدِيثِ أو مُضْطَرِبِهِ	واهٍ، وضَعَفُوهُ، لا يُحْتَجُّ بِهِ
فيه مقال فيه ضعف ضُعفا	تُكْرَرُ منه، أي وتَعْرِفُ اقْتَفَى
ليس بذاك، ليس بالقوي	ليس متيناً، ليس بالمرضى
ليس بِحُجَّةٍ، يليه بعده	ثم يليه، ليس ذا بَعْمَدَه
للضَّعْفِ ما هو، فيه خُلْفٌ، طعنوا	فيه، كذا سيءٌ حِفْظٌ، لَيِّنُ
تَكَلَّمُوا فيه، وكلُّ من ذُكِرَ	مِنْ بَعْدِ "شيئاً" بحديثه أُعْثِرَ ¹

¹ - ألفية الحافظ العراقي في الحديث الشريف، ص - ص 10 - 13.

الملحق رقم (08)¹: نَظْمٌ فِي شُرُوطِ الرَّائِي لِلْأَخْبَارِ لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ
السيوطي.

لِنَاقِلِ الْأَخْبَارِ شَرْطَانِ هُمَا:	عَدْلٌ، وَضَبْطٌ: أَنْ يَكُونَ مَسْلَمًا
يَحْفَظُ إِنْ يُمَلِّ، كِتَابًا يَضْبُطُ	إِنْ يَزُو مِنْهُ، عَالِمًا مَا يُسْقِطُ
إِنْ يَزُو بِالْمَعْنَى، وَضَبْطُهُ عُرِفَ	إِنْ غَالِبًا وَافَقَ مَنْ بِهِ وَصِفُ ^(١)
وَإِثْنَانِ إِنْ زَكَّاهُ عَدْلٌ وَالْأَصَحُّ:	إِنْ عَدْلُ الْوَاحِدِ يَكْفِي أَوْ جَرَحَ
أَوْ كَانَ مَشْهُورًا، وَزَادَ يُوسُفُ ^(٢)	بِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْلَمُ يُعْرِفُ
عَدْلٌ إِلَى ظُهُورِ جَرَحٍ، وَأَبْرَأُ ^(٣)	وَالْجَرَحَ وَالْتَّغْدِيلَ مُطْلَقًا ^(٤) رَأَا
قَبُولُهُ مِنْ عَالِمٍ عَلَى الْأَصَحِّ	مَا لَمْ يُوَثَّقْ مَنْ بِإِجْمَالِ جُرْحٍ ^(١)
وَيُقْبَلُ التَّغْدِيلُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ	أُنْثَى وَفِي الْأُنْثَى خِلَافٌ قَدْرُكُنْ ^(٢)
وَقَدَّمَ الْحَرْجَ وَلَوْ عَدْلَهُ	أَكْثَرُ فِي الْأَقْرَى، (فَإِنْ فَصَّلَهُ
فَقَالَ: مِنْهُ ثَابٌ، أَوْ ثَقَاهُ	بِرُجْهِهِ قَدَّمَ مَنْ ذَكَّاهُ) ^(٣)

¹ - جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، ألفية الإمام السيوطي في علم الحديث الشريف، تصحيح وشرح

قائمة المصادر
والمراجع

أ- القرآن الكريم برواية الإمام حفص عن الإمام عاصم. (الموقع الالكتروني: إسلام ببيت)، الإصدار الرابع.

ب- كتب الحديث:

- (1) الأصبحي مالك بن أنس أبو عبد الله الخزرجي (ت 179هـ/785م)، الموطأ رواية يحيى الليثي وآخرون، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، د.ط، مجموعة الفرقان التجارية، دبي، 1424هـ/2003م.
- (2) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (ت 256هـ/870م)، ط01، دار ابن كثير، دمشق، 1423هـ/2002م.
- (3) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الجامع المُسنَد الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- (4) مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ/874م)، صحيح مسلم، نظر محمد الفريابي، ط1، دار طيبة، الرياض، 1427هـ/2006م.
- (5) ابن حنبل أحمد الشيباني (ت 241هـ/855م)، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مُرشد، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421/2001م.
- (6) البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ (ت 458هـ/1162م)، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.
- (7) الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي (ت 279هـ/892م)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، ج5، بط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- (8) أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت 275هـ/888م)، سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، سوريا، طبعة خاصة، 1430هـ/2009م.

- (9) الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360هـ/918م)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، د.ط، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ/1995م.
- (10) الشافعي محمد بن إدريس (ت 204هـ/820م)، مسند الإمام الشافعي، ويلييه ترتيب مسند الإمام، ترتيب سنجر بن عبد الله الناصري، حققه وخرجه رفعت فوزي عبد المطّلب، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م.
- (11) ابن بَلْبَان الأمير علاء الدين عليّ الفارسيّ (ت 739هـ/1338م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حَبَّان، تحقيق وتخرّيج وتعليق شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ/1991م.

جـ_المصادر:

- (12) ابن الأثير أبو الحسن عزّ الدين علي بن محمد الجزري (ت 630هـ/1232م)، أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة رضي الله عنهم، تحقيق وتعليق علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، تقديم محمد عبد المنعم البري وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م، ج1.
- (13) ابن الأثير عزّ الدين الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، د.ط، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- (14) ابن الأثير الجزريّ، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1987م.
- (15) الآجري أبو بكر محمد بن الحسين، كتاب الشريعة، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، ط1، دار الوطن، الرياض، 1418هـ/1997م.
- (16) الإدريسي أبو عبد الله محمد الحسني (ت 555هـ/1160م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م
- (17) الأدفوي كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب المصري (ت 748هـ/1347م)، معرفة التصوف والصوفي، تحقيق وتقديم محمد عيسى صالحية، ط1، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1408هـ/1988م.

- (18) الأزرقى أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد (ت 250هـ/864م)، أخبار مكة المكرمة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح ملحس، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1403هـ/1983م.
- (19) ابن إسحاق محمد بن يسار المطلبى المدني، السيرة النبوية (80هـ - 699م/151هـ - 769م)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1424هـ/2004م.
- (20) الإسفرايينى أبو المظفر (ت 471هـ/1078م)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م.
- (21) الإسفرايينى أبو المظفر، التبصير في الدين، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.
- (22) الإصطخري أبو القاسم إبراهيم محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي (ت 346هـ/957م)، المسالك والممالك، تحقيق دي غوجه M.J.DEGOEJE، د.ط، مطبعة بريل، ليدن - هولندا، 1927م.
- (23) الأنباري (ت 328هـ/939م)، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق محيي الدين بن عبد الرحمن رمضان، د.ط، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1390، 1971م.
- (24) الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم، كتاب الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1407هـ/1987م.
- (25) الإيجي عضد الله والدّين القاضي عبد الرحمن بن أحمد (680هـ - 756هـ وقيل: 753هـ/1302م)، المواقف في علم الكلام، د ط، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- (26) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت 256هـ/869م)، التاريخ الكبير، تحقيق هاشم الندوي وآخرون، د.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباء، الهند، 1362هـ.

- (27) البرزنجي جعفر بن حسن الشافعيّ (ت 1177هـ/1764م)، المولد النبويّ الشريف صلى الله عليه وسلم (مولد البرزنجي) مخطوطة بخط إبراهيم محمد نوار بدار الكتب المصرية تحت رقم: 219/ق. ب بجامعة الرياض، (5: 376)، القاهرة، 1318هـ.
- (28) البسويّ أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت 277هـ/890م)، كتاب المعرفة والتاريخ، رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، ج1، ط1، مكتبة الدار المدينة المنورة، 1410هـ.
- (29) البشاريّ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت 946/945م-1000م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبع بريل، ليدن - هولندا، 1877م.
- (30) البطليوسي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (ت 444هـ-521هـ/1052م-1127م)، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، بط، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م.
- (31) البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد الفرق (ت 429هـ/1037م)، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1416هـ/1995م.
- (32) البغوي أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (ت 317هـ/929م)، مُعجم الصحابة رضوان الله عليهم، تحقيق محمد الأمين بن محمد محمود أحمد الجنكي، ط1، مكتبة دار البيان، الكويت، 1421هـ/2000م.
- (33) البغوي الحسين بن مسعود (ت 510هـ/1116م)، الأنوار في شمائل سيّدنا النبي المختار صلى الله عليه وسلم، تحقيق إبراهيم اليعقوبي، تقديم محمد اليعقوبي، ط1، دار المكتبي، دمشق، 1416هـ/1995م.
- (34) البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (توفي بعد 270هـ/883م)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ/1987م.

- (35) البوصيري محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي الدلسي (ت 696 هـ/1295م)، البُرْدَة، شرح الشيخ إبراهيم الباجوري، تعليق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، ط2، مكتبة الآداب القاهرة، 1413هـ/1993م.
- (36) البيهقي أبو بكر أحمد الحسين (ت 348 هـ/959م)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تعليق عبد المعطي قلجي، ط1، دار الراح للتراث، القاهرة، 1408هـ/1988م.
- (37) التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت 627 هـ/1230م)، التشوّف إلى رجال التصوّف، تحقيق أحمد توفيق، ط2، كلية الآداب، الرباط، 1997.
- (38) الترمذي محمد بن عيسى، شرح مختصر الشمائل المحمّدية، شرح عبد المجيد الشرنوبى، تعليق محمود بيروتى، ط2، دار البيروتى، دمشق، 1430هـ/2009م.
- (39) الترمذي محمد بن عيسى بن سورة (ت 279 هـ/892م)، الشمائل المحمّدية، تعليق عزة عبيد الدعاس، ط3، دار الحديث، بيروت، 1408هـ/1988م.
- (40) الثعالبي أبو زيد بن عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي (ت 875 هـ/1470م)، الجواهر الحسان في تفسير آي القرآن، تحقيق وتعليق وتخرّيج علي محمد وعوض وعادل أحمد عبد الموجود، وشارك في التحقيق عبد الفتاح أبو سنة، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ/1997م.
- (41) ابن الجزري شمس الدّين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي الشافعي (ت 833 هـ/1429م)، غاية النّهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ/2006م.
- (42) ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرّحمن محمد بن إدريس التميمي (ت 327 هـ/938م)، الجرح والتعديل، تحقيق عبد الرّحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، 1371هـ/1952م.
- (43) ابن حبان أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان التميمي البستي السجستاني (ت 327 هـ/938م)، كتاب الثّقّات، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1393هـ/1993م.

- (44) ابن حبيب البغدادي أبو جعفر محمد (ت 245هـ/859م)، كتاب المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح إيلزه ليختن شتيتير، د.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، 1361هـ/1492م.
- (45) ابن حبيش أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد (584هـ/1188م)، كتاب الغزوات، تحقيق ونشر أحمد عني، ط1، مكتبة الاسكندرية، 1403هـ/1983م.
- (46) ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت 856هـ/1452م)، لسان الميزان، عناية عبد الفتاح أبو غدة، إخراج وطباعة سلمان عبد الفتاح أبو غدة، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1423/2002.
- (47) الحسن أبو سعيد البصري (ت 110هـ/728م)، فضائل مكة والسكن فيها، تحقيق سامي مكّي مالعاني، د.ط، مكتبة الفلاح، الكويت، 1400هـ/1980م.
- (48) ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت 856هـ/1452م)، الإصابة في تمييز الصحابة رضي الله عنهم، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، تقديم وتقريض محمد عبد المنعم البر وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م.
- (49) ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت 856هـ/1452م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق ومراجعة شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، تحقيق سليم عامر وتخريج سعيد اللحام، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1434هـ/2013م.
- (50) ابن حجر الهيتمي شهاب الدين أحمد الشافعي (ت 974هـ/1565م)، النعمة الكبرى على العالم في مولد سيّد ولد آدم، مكتبة الحقيقة، استانبول، طبعة جديدة - 1424هـ/2003م.
- (51) ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 384هـ/994م)، جمهرة أنساب العرب، عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1986م.

- (52) ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جوامع السيرة النبوية، تصحيح عبد الكريم ساسي الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2002م.
- (53) الخزاعي علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود أبو الحسن ابن ذي الوزارتين (ت 789هـ/1388م)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد سيدنا رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1419هـ.
- (54) الخزرجي صفى الدين أحمد بن عبد الله الأنصاري (المتوفى بعد 923هـ/1517م)، خلاصة تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال، د.ط، المطبعة الكبرى الميرية، بولاق، مصر، 1301هـ.
- (55) الخطيب البغدادي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ/1031م)، الكفاية في علم الرواية، تحقيق عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، د.ت، دار المعارف العثمانية، الهند-حيدر آباد، 1357هـ.
- (56) ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي (ت 628هـ/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، د.ط، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1401هـ.
- (57) ابن حنبل أبو عبد الله أحمد الشيباني (ت 241هـ/855م)، كتاب العِلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط2، دار الخاني، الرياض، 1422هـ/2001م.
- (58) ابن حنبل أحمد بن محمد، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، تحقيق وحي الله بن محمد عباس، ط1، دار العلم، جدة، 1403هـ/1983م. الحميري محمد عبد المنعم (ت 900 هـ/1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بط، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- (59) أبو حنيفة الدينوري أحمد بن داود (ت 282هـ/895م)، كتاب الأخبار الطوال، تصحيح فلاديمير جرجاس، ط1، مطبع بريل، ليدن - هولندا، 1888م.

- (60) ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م)، تاريخ ابن خلدون، تصحيح أبو صهيب الكرمي، د.ط، بيت الأفكار الدولية، الأردن، د.ت.
- (61) ابن خلدون ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن الإشبيلي القاهري المالكي (ت 808هـ/1406م)، المقدمة، عناية أبو صهيب الكرمي، د.ط، طبعة بيت الأفكار الدولية، السعودية - الأردن، د.ت.
- (62) ابن خلدون ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن، المقدمة، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/2001م.
- (63) ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1968م.
- (64) ابن أبي خيثمة أبو بكر أحمد زهير بن حرب (ت 279هـ/892م)، التاريخ الكبير، تحقيق صلاح بن فتح هلال، م 1، ط 1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1424هـ/2004م.
- (65) الدارمي عثمان بن سعيد، الرد على الجهمية، تقديم بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط 1، 1405هـ/1985م.
- (66) الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي (ت 696هـ/1296م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم عيسى بن ناجي التتوخي (ت 839هـ/1435م)، تصحيح إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، ط 2، 1388هـ/1968م.
- (67) الدولابي محمد بن أحمد بن حماد (ت 310هـ/922م)، الكنى والأسماء، تحقيق نظر محمد الفاريابي، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/2000م.
- (68) الذهبي أبو عبد الله محمد شمس الدين بن عثمان (ت 748هـ/1348م)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، د ط، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

- (69) ابن الربيع الشيباني وحيد الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ت 930هـ/1523م، حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة سيّدنا النبي المختار صلى الله عليه وسلم، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، ط2، المكتبة المكيّة، مكّة الكرّمة، 1413هـ/1993م.
- (70) الرعيني أبو جعفر وابن جابر الأندلسي (ت 779هـ/1377م)، رسالتان في السيرة النبويّة والمولد الشريف، تحقيق مصطفى بن مبارك عكلي التمكروتي، ط1، دار أبي الرقراق، ربيع الأول 1432هـ/فبراير 2011م.
- (71) ابن زبالة محمد بن الحسن (ت 199هـ/814م)، أخبار المدينة، تحقيق صلاح عبد العزيز بن سلامة، ط1، مركز البحوث والدراسات ، المدينة المنورة، 1424هـ/2003م.
- (72) ابن زبالة محمد بن الحسين، أزواج سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم، رواية الزبير بن بكار، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط1، مطبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1401هـ/1981م.
- (73) الزبيدي أبو بكر محمد (ت 379هـ/989م)، طبقات النحويين واللّغويين، تحقيق محمد أبو الفضل، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1984م.
- (74) الزُّهري محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن شهاب (ت 124هـ/741م)، المغازي النبويّة، تحقيق وتقديم سهيل زكّار، د.ط، دار الفكر، دمشق، 1401هـ/1981م.
- (75) ابن أبي زيد أبو محمد عبد الله القيرواني (ولد بالقيروان بتونس سنة 310 هـ الموافق لـ 922م وتوفي سنة 386 هـ الموافق لـ 996م)، الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، ط2، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1403هـ/1983م.
- (76) ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله (ت 386هـ/996م)، كتاب الجامع، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، ط3، مؤسّسة الرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، 1403هـ/1983م.

- (77) ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله ت 386هـ/996م، رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيرواني لأحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، د.ط، دار الفضيلة، القاهرة، 2005م.
- (78) ابن سالم عبد الله بن أبي بكر الشافعي، رسالة في المولد النبوي الشريف، د.ط، دار الفقيه للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 1426هـ.
- (79) السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطّاحي وعبد الفتاح محمد الحلو، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ/1964م.
- (80) السبكي تاج الدين عبد الوهاب، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النّجار وآخرون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1413هـ/1993م.
- (81) السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرّحمان (ت 902هـ/1496م)، التحفة اللّطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تقديم طه حسين، ط1، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ج1، 1399هـ/1979م.
- (82) السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، بغية الراغب المتمني في ختم النّسائي، تحقيق عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العبد اللطيف، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1414هـ/1993م.
- (83) السخاوي شمس الدّين، الثّحفة اللّطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تقديم طه حسين، د.ط، طبع ونشر أسعد طرابزوني الحسيني، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة، 1979م.
- (84) السخاوي محمد بن عبد الرّحمن بن محمد شمس الدين، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ/1986م.
- (85) السراج البلقيني أبو حفص عمر (ت 805هـ/1402م)، مقدّمة ابن الصّلاح ومحاسن الاصطلاح، تحرير عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)، د.ط، دار المعارف، مصر، 1411هـ/1990م.

- (86) ابن سعد محمد بن منيع الزهري (ت 124هـ/741م)، كتاب الطبقات الكبير، (الجزء الأول في السيرة النبوية، الجزء الثاني في مغازي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، 1421هـ/2001م.
- (87) السمعاني أبو سعد بن عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ/1166م)، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي البماني، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1400هـ/1980م.
- (88) ابن السني أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي (ت 280هـ - 364هـ/974 - 974م)، عمل اليوم والليلة سلوك سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق عبد الرحمن كوثر، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م.
- (89) السهيلي عبد الرحمن (ت 581م/1185م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، ط1، دار الكتب الإسلامية، مصر، 1387هـ/1967م، ج1.
- (90) السيوطي جلال الدين عبد الرحمان (ت 911هـ/1505م)، ألفية الإمام السيوطي في علم الحديث الشريف، تصحيح وشرح أحمد محمد شاكر، د ط، المكتبة العلمية، مصر، 1353هـ/1954م.
- (91) السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن ، طبقات الحفاظ، مراجعة لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1403هـ/1983م.
- (92) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن ، اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية، د ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، 1395هـ/1975م.
- (93) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن ، تاريخ الخلفاء، تعليق محمود رياض الحلبي، ط4، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ/1999م.

- (94) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر ، الخصائص الكبرى، تحقيق محمد خليل هراس، بط، دار الكتب الحديثة، مصر، غرة ربيع الأول 1387هـ/يونية 1967م، ج1، ص4.
- (95) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن الشافعي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ط1، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 1347هـ.
- (96) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، إتمام الدراية لقراء النقاية، ضبط وكتب حواشه: إبراهيم العجوز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م.
- (97) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، لبّ الباب في تحرير الأنساب، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.
- (98) الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخي الغرناطي (ت 790هـ/1388م)، الإعتصام، د.ط، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1332هـ.
- (99) الشافعي محمد بن إدريس المطلبّي (ت 204هـ/819م)، كتاب الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط1، نشر مصطفى البابي الحلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1357هـ/1938م.
- (100) ابن أبي شامة شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ/1266م)، الباعث على إنكار البدع والحوادث، نشر وتصحيح محمد فؤاد منقارة الطرابلسي، د.ط، المطبعة المنيرية بالأزهر، القاهرة، 1374هـ/1955م.
- (101) ابن أبي شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت 665هـ/1258م)، الروضتين في أخبار الدولتين التورية والصلاحية، حققه وعلّق عليه إبراهيم الزبيق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان 1418هـ/1997م.
- (102) ابن شبة أبو زيد عمر التميمي البصري، أخبار المدينة النبوية، د.ط، دار العليان، السعودية، 1410هـ. أبو شهبة محمد بن محمد (1332هـ/1914م)، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، د.ط، عالم المعرفة، لبنان، 1403هـ/1983م.

- (103) الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/1153م)، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1414هـ/1993م.
- (104) الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م.
- (105) الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام (ت 542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ج4، د.ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، مج4، ج1، 1399هـ/1989م.
- (106) أبو الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان الأصبهاني (ت 369هـ/979م)، أخلاق سيّدنا النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه، تحقيق صالح بن محمد الونيان، ط1، دار المسلم، الرياض، 1418هـ/1998م.
- (107) الشيرازي أبو إسحاق الشافعي (ت 476هـ/1093م)، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، د.ط، دار الرائد العربي، بيروت، 1970م.
- (108) الصاوي أحمد المالكي الخلوتي (ت 1241هـ/1825م)، حاشية الإمام الصاوي على تفسير الجلالين، ط1، المطبعة الأزهرية، مصر، 1345هـ/1926م.
- (109) الصّبّاغ محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المكي المالكي (ت 1321هـ/1903م)، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، 1424هـ/2004م.
- (110) صفّي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت 739هـ/1338م)، مرصد الإطلاّع على أسماء الأماكن والبقاع، تحقيق وتعليق محمد علي البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م.
- (111) الصنعاني محمد بن محمد الحسنّي (ت 1099هـ/1768م)، الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، د.ط، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، 1404هـ/1984م.

- (112) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/923م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تفسير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 1422هـ/2001م.
- (113) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تفسير آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن الزكي وعبد السند حسن يمامة، ج13، ط1، دار الهجرة القاهرة، 1422هـ/2001م، ص7.
- (114) الطبري محمد ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ط2، دار المعارف، مصر، القاهرة، جمادى الثانية 1387/سبتمبر1967م.
- (115) الطحاوي أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الحنفي المصري (ت 321هـ/933م)، العقيدة الطحاوية بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1416هـ/1995م.
- (116) الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري الحنفي ت 321هـ/932م، شرح معاني الآثار، تحقيق وتقديم محمد زهري النجار، ومحمد سيّد جاد الحق، مراجعة يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط1، عالم الكتب، الرياض، 1414هـ/1994م.
- (117) أبو العباس جعفر بن محمد (ت 95هـ/775م) ، دلائل النبوة، تحقيق أحمد بن فارس السّلم، ط1، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، 1431هـ/2010م. ابن العربي القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله (ت 543هـ/1148م)، أحكام القرآن مراجعة وتخريج وتعليق محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.
- (118) ابن عبد البرّ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النّمري الأندلسي (ت 463هـ/1080م)، التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد، تحقيق: مصطفى ابن أحمد العلوي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب من عام 1387هـ إلى عام 1412هـ.

- (119) ابن عبد البرّ يوسف التّمري، الدرر في اختصار المغازي والسير، إشراف توفيق محمّد عويضة، تحقيق شوقي ضيف، بط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، دار التحرير، القاهرة، 1386هـ/1966م.
- (120) ابن عبد الحكم أبو محمّد عبد الله (ت 214هـ/829م)، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك وأصحابه، رواية ابنه أبي عبد الله (ت 268هـ/881م)، نسخ وتعليق وتصحيح أحمد عبيد، ط6، بيروت، 1404هـ/1984م.
- (121) ابن عبد ربّه أحمد بن محمّد الأندلسي، العقد الفريد (ت 328هـ/339م)، تحقيق مفيد محمّد قميحة، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1404هـ/1983م.
- (122) ابن عذاري المراكشي (ت 695هـ/1295م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج . س كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- (123) ابن عربي محمّد بن علي محيي الدّين (ت 638هـ/1240م)، المولد النبوي الشريف (مولد ابن عربي)، مخطوطة بجامعة الرياض تحت رقم: 219/م.ع-القرن 13هـ.
- (124) العراقي أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن ابن إبراهيم (ت 806هـ/1403م)، تخرّيج إحياء علوم الدين، عناية، أبو محمد أشرف عبد المقصود، ط1، مكتبة دار طبرية، الرياض، 1415هـ/1995م.
- (125) العراقي زين الدّين عبد الرّحيم بن الحسين بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن ابن إبراهيم، ألفية الحافظ العراقي في الحديث الشريف المسمّاة التبصرة والتذكرة، تصحيح وتعليق محمد بن الحسين العراقي الحسيني، د.ط، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت.
- (126) العزفيّ أبو العبّاس محمّد بن أحمد اللّخمي (ت 633هـ/1235م)، الدر المنظم في مولد النّبّي المعظّم صلى الله عليه وسلم، دراسة وتحقيق عبد الله حمادي، د.ط، دروب ثقافية، عمّان _ الأردن، 2016م. (الكتاب لم يُنشر).

- (127) ابن عساكر أبو القاسم عليّ بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت 571هـ/1175م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محبّ الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، د.ط، دار الفكر، بيروت لبنان، 1415هـ/1995م.
- (128) ابن عطية أبو محمد عبد الحقّ الأندلسي (ت 541هـ/1146م)، المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط2، دار ابن حزم، تق: مجد مكّي، 1428هـ/2007م.
- (129) عياض القاضي أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق سيّدنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، تحقيق علي محمد البجاوي، ج1، بط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ/1984م.
- (130) عياض القاضي اليحصبي السبتي المالكي، إكمال المعلم بفوائد مسلم "شرح صحيح مسلم"، تحقيق يحي إسماعيل، ط01، دار الوفاء، المنصورة - مصر، 1419هـ/1998م.
- (131) عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق محمد بن شريف، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1390هـ-1970م.
- (132) الغزالي محمد أبو حامد الطوسي (ت 505هـ/1111م)، فضائح الباطنية، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، د.ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1383هـ/1964م.
- (133) الغماري أحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي (ت 1360هـ/1380م)، فتح الملك العليّ بصحة حديث باب مدينة العلم عليّ رضي الله عنه، تحقيق عماد سرور، ط2، المكتبة التخصصية في الردّ على الوهابية، 1428هـ/2008م.
- (134) الفاسي عبد الرحمن (ت 1096هـ/1685م)، الأَقْنوم في مبادئ العلوم، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، تحت رقم: 6585.
- (135) الفاكهي أبو عبد الله محمد إسحاق ابن العباس المكيّ (ت 280هـ/885م)، أخبار مكّة في قديم الدّهر وحديثه، تحقيق عبد الملك عبد الله بن دهيش، ط2، دار خضر، بيروت، 1414هـ/1994م.

- (136) أبو الفدا (732 - 672هـ / 1273 - 1331 م)، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1415هـ/1995م.
- (137) أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي ابن العماد (ت 1032هـ/1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق بيروت، 1406هـ/1986م.
- (138) ابن الفراء أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت 516هـ/1122م)، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1403هـ/1983م.
- (139) الفيروزآبادي مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1414م)، المغانم المطلوبة في معالم طابة، تحقيق حمد جاسر، د.ط، دار اليمامة، الرياض، د.ت.
- (140) الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ/2005.
- (141) القاري الملا علي بن سلطان (ت 1012هـ/1603م)، المورّد الروي في المولد النبوي صلى الله عليه وسلم، ترجمة وتحقيق أبو محمد إعجاز أحمد، د.ط، زاوية ببلشرز، باكستان، 1435هـ/2014م.
- (142) ابن قاضي شهاب يوسف بن محمد بن عمر (ت 1447/851م)، أحاديث شريفة منتخبة من مغازي موسى بن عقبة، تقديم مشهور حسن سلمان، ط1، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1412هـ/1991م.
- (143) ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ/889م)، الشعر والشعراء، د.ط، مطبعة بريل، ليدن - هولندا، 1906م.
- (144) ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1343هـ/1925م.

- 145) القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت 656هـ/1258م)، المُفَهِّمُ لِمَا أَشْكَلَ من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محيي الدين ديب متو وآخرون، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، 1417هـ/1996م.
- 146) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 671هـ/1272م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1427هـ/2006م.
- 147) القسطلاني أحمد بن محمد (ت 923هـ/1517م)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح أحمد الشامي، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، 1425هـ/2004م.
- 148) القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت 465هـ/1072م)، تفسير القرآن العظيم المسمى: لطائف الإشارات، تعليق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.
- 149) القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1995م.
- 150) قطب الدين الحنفي (ت 990هـ/1583م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.
- 151) القلقشندي (ت 821هـ/1418م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1400هـ/1980م.
- 152) القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1402هـ/1982م.
- 153) الكاندهلوي محمد يوسف (ت 1384هـ/1964م)، حياة الصحابة رضي الله عنهم، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م.

- 154) الكتاني محمد عبد الحي بن عبد الكبير الفاسي (ت 1382هـ/1962م)، مئية السائل خلاصة الشمائل، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، 1426هـ/2005م.
- 155) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت 774هـ/1372م)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1418هـ/1998م، ط2، 1420هـ/1999م.
- 156) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق وتعليق محمد العيد الخطراوي ومحبي الدين مستو، ط3، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، مكتبة، دار التراث، المدينة المنورة، 1402هـ/1941م.
- 157) ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن عمر القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج3، ط1، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، مصر، 1417هـ/1997م.
- 158) ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي، صحيح قصص الأنبياء عليهم السلام، ط1، غراس، الكويت، 1422هـ/2002م.
- 159) ابن كثير عماد الدين إسماعيل الدمشقي، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، دراسة أحمد محمد شاكر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- 160) الكلاعي أبو الربيع سليمان موسى الأندلسي (ت 634هـ/1237م)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1417هـ/1997م، مج1، ج1.
- 161) اللالكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري (ت 418هـ/1027م)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تخريج وتعليق نشأت بن كمال المصري، مراجعة دار البصيرة، د.ط، دار البصيرة الإسكندرية، دار الآثار، صنعاء، 142هـ/2001م.
- 162) ابن ماكولا الأمير الحافظ علي هبة الله بن جعفر (ت 475هـ/1085م)، الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب،

- تصحيح نايف العباس، ط1، دار الكتاب الإسلامي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1383هـ/1963م.
- (163) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري (ت 450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، د.ط، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م.
- (164) المبرد أبو العباس بن محمد بن يزيد (ت 286هـ/899م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ/1997م.
- (165) مخلوف محمد (ت 1360هـ/1941م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، د.ط، المطبعة السلفية ومطبعاتها، القاهرة، 1439هـ.
- (166) ابن المعتز بالله أبو العباس عبد الله محمد بن المتوكل العباسي البغدادي (ت 296هـ/904م)، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، د.ط، دار المعارف، مصر، 1375هـ/1956م.
- (167) ابن معين أبو زكريا يحيى البغدادي (ت 233هـ/847م)، تاريخ ابن معين - رواية الدوري-، تحقيق أحمد محمد نور سيف، ط1، مركز البحث وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1399هـ/1979م.
- (168) مغلطاي أبو عبد الله علاء الدين بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي (ت 762هـ/1320م)، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عادل بن محمد أبو عبد الرحمن وأسامة بن إبراهيم أبو محمد، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1422هـ/2001م.
- (169) المقرئ أحمد التلمساني (ت 986هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.

- (170) المكيّ تقيّ الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت 832هـ/1428م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد السيّد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م.
- (171) المكيّ محمّد بن أحمد الحسني الفاسي العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمّد حامد الفقي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م.
- (172) المناوي عبد الله بن محمّد (ت 1031هـ/1621م)، المولد النبوي الشريف صلى الله عليه وسلم (التعطيرة الشريفة)، د.ط، مكتبة المودّة الإلكترونية، 2011م.
- (173) ابن منظور بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، تحقيق محمّد أحمد حسب الله وآخرون، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1429هـ/1988م. الواقدي أبو عبد الله محمّد بن عمر (ت 207هـ/823م)، كتاب المغازي، رواية أبي عبد الله محمّد بن شجاع الثلجي، د.ط، مطبع ببتست مشن، مدينة كلكتة، 1855هـ.
- (174) ابن ناصر الدين الدمشقيّ شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أبي عبد الله بن أبي البقاء الشافعي (ت 842هـ/1438م)، جامع الآثار في السير ومولد النبي المختار صلى الله عليه وسلم، تحقيق أبي يعقوب نشأت كمال، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1431هـ/2010م.
- (175) ابن ناصر الدين الدمشقيّ شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أبي عبد الله بن أبي البقاء الشافعي (ت 842هـ/1438م)، مورد الصّادي في مولد الهادي صلى الله عليه وسلم، ط1، الدار الغناء، القاهرة، 1419هـ/2008م. ابن النّجار أبو عبد الله محمّد بن محمود البغدادي (ت 643هـ/1245م)، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، تحقيق محمّد زينهم محمّد عزب، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.
- (176) النّسائي أحمد شعيب (ت 303هـ/915م)، عمل اليوم والليلة، تحقيق فاروق حمادة، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ.
- (177) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق محمّد رواس قلعدجي وعبد البر عبّاس، ط2، دار النفائس، بيروت، 1406هـ/1986م، ج1.

- (178) أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد بن إسحاق بن مهران (ت 430هـ/1038م)، تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، تحقيق وتعليق وتخرّيج علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1407هـ/1987م.
- (179) أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد بن إسحاق بن مهران المُسْتَعْفِرِي (ت 430هـ/1038م)، معرفة الصحابة رضي الله عنهم، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، د.ط، دار الوطن للنشر، الرياض، 1405هـ.
- (180) أبو نُعَيْم الأصبهاني، كتاب الإمامة والردّ على الرافضة، حقّقه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه _ علي بن محمّد بن ناصر الفقيهي، ط1، مكتبة العلوم، المدينة المنورة، 1407هـ/1987م.
- (181) أبو نعيم الأصفهاني أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/1988م.
- (182) النّقشبندِي داود بن سليمان البغدادي (ت 1299هـ/1881م)، الذبّ عن صاحب البردة، تحقيق عبد الرزاق النّقشبندِي البغدادي، د.ط، دار جوامع الكلم، القاهرة، 1425هـ.
- (183) ابن هشام أبو محمّد عبد الملك الحميري البصري المعروف (ت 833م / 218هـ)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط1، دار الصحابة للتراث، مصر، 1416هـ/1995م.
- (184) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، د.ط، مؤسّسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1426هـ/2005م.
- (185) الهمداني لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت 336هـ/947م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمّد بن علي بن الأكوع الحوالي، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1410هـ/1990م.
- (186) الهيثمي علي بن أبي بكر بن سليمان نور الدين (ت 807هـ/1405م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحرير الحافظين العراقي وابن حجر، تحقيق مسلم الدين القدسي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

187) الونشريسيّ أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد بن عليّ (ت 914هـ/1508م)، المعيار المُعَرَّب والجامع المُعَرَّب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء، إشراف محمّد حجي، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - المغرب، 1401هـ/1981م.

188) الونشريسيّ أبو العبّاس أحمد بن يحيى، كتاب الولايات، نشر وتعليق محمّد الأمين بلغيث، د.ط، لافوميك، الجزائر، 1985.

189) ياقوت الحموي الرومي (ت 626هـ/1228م)، مُعجم الأدباء المسمّى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

190) ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1997م.

191) ابن أبي يعلى أبو الحسين محمّد، طبقات الحنابلة، (ت 527هـ/1132م)، تصحيح محمّد حامد الفقي، د.ط، مطبعة السنّة المحمّدية، القاهرة، د.ت.

د- المراجع:

192) أحمد أمين سليم، تاريخ وحضارة العرب، د.ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م. 192- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أيار/مايو 2002.

193) أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ط3، دار دمشق، دمشق، 1994م.

194) أحمد عبد الغفار، دراسات في الحديث الشريف، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م.

195) إسماعيل عبد العزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، إشراف أحمد محمّد العسّال وعبد الستار فتح الله سعيد، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1404هـ/1984م.

196) البشير علي حمد الترابي، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراسة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ/1997م.

- (197) البشير علي حمد الترابي، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ/1997م.
- (198) القاضي أبو المعالي أظهر المبارك كفوري، العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ط2، دار الأنصار، القاهرة، 1388هـ/1969م.
- (199) المعجم الوسيط، مجمّع اللّغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ/2004م.
- (200) برهان الدّين دلّو، حضارة مصر والعراق، ط1، دار الفارابي، بيروت _ لبنان، تمّوز 1989م.
- (201) بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية، د.ط، دار الكتاب العربي، القبة - الجزائر، 2007م.
- (202) أبرار كريم الله، من هم التتار، ترجمة وتعليق رشيدة رحيم الصيروت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1994م.
- (203) جمال عبد الهادي محمّد مسعود ووفاء محمّد رفعت جمعة، تاريخ الأُمّة المسلمة الواحدة، ط1، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1991م.
- (204) جمال عبد الهادي محمّد مسعود ووفاء محمّد رفعت جمعة، جزيرة العرب، ج1، د.ط، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، 1997م.
- (205) حسام الألوسي، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1400هـ/1980م.
- (206) حسين أبو لبابة، موقف المعتزلة من السنّة النبوية، ط2، دار اللواء، الرياض، 1407هـ/1987م.
- (207) حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1993م.
- (208) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط 01، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1987م.

- (209) ديتلف نيلسون وآخرون، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين عليّ، مراجعة زكي محمّد حسين، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1975م.
- (210) زهير محمّد عفانة، دروس وعبر في سيرة خير البشر محمّد صلى الله عليه وسلم، ط1، دار النفائس، الأردن، عمّان، 1425هـ/2005م.
- (211) سعد صائب، دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ، ط1، دار طلاس، دمشق، 1999م.
- (212) سعيد أبو جيب، سحنون مشكاة نور وعلم، ط1، دار الفكر، دمشق، 1401هـ/1981م.
- (213) سميع دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995م.
- (214) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، ج1، 1983م.
- (215) شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط12، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2005.
- (216) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة المكرمة، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1416هـ/1996م.
- (217) عبد الحليم محمود، السنّة في مكانتها وفي تاريخها، د.ط، دار غريب، القاهرة، 1998م.
- (218) عبد الحميد شاكر، غزوات سيّدنا الرسول صلى الله عليه وسلم، ط1، جرّوس برس، طرابلس، لبنان، 1416هـ/1996م.
- (219) عبد الرحمن خليفة، المُشَبَّهَةُ والمُجَسِّمَةُ، المكتبة المتخصصة للردّ على الوهابية، ط1، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1420هـ/1999م.
- (220) عبد العزيز الدوري، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، بط، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 1420هـ/2000م.

- (221) عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، ط1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1419هـ/1998م.
- (222) عبد الله سلوم السامرائي، الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، بط، المكتبة الوطنية، بغداد، 1984م.
- (223) عفت وصال حمزة، نساء حكم اليمن، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1420هـ/1999م.
- (224) علي ظريف الأعظمي، تاريخ الدولة اليونانية والفارسية في العراق، تقديم وتعليق عزة رفعت، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد - الظاهر، 2001م.
- (225) فوزي مكاي، تاريخ العالم الإفريقي وحضارته، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1400هـ/1980م.
- (226) فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، د.ط، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس، مصر، 1983م.
- (227) محمد إبراهيم الفيومي، الخوارج والمرجئة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1423هـ/2003م.
- (228) محمد أبو زهرة، الإمام الصادق، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- (229) محمد أحمد باشميل، غزوة بدر الكبرى، ط6، دار الفكر، سوريا، 1394هـ/1974م.
- (230) محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتأريخ عند العرب، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- (231) محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، ط1، دار إحياء الكتب العلمية، مصر، 1361هـ/1942م.
- (232) محمد بن قاسم جسوس، الفوائد الجلية البهية على الشرائع المحمدية، ط1، مطبعة الجمالية، مصر، 1330هـ.
- (233) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2، دار طلاس، دمشق، 1994م.

- (234) محمد زينهم محمد عزب، الإمام سحنون، تقديم حسين مؤنس، د.ط، دار
الفرجاني، القاهرة- طرابلس- لندن، 1992م.
- (235) _ شكيب أرسلان، الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط1،
المطبعة الرحمانية، مصر، 1355هـ/1936م، ج1.
- (236) محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام، ط1، دار الفكر المعاصر،
بيروت، دار الفكر، دمشق، 1414هـ/1993م.
- (237) محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي،
ط1، دار الفكر، دمشق، 1408هـ/1988م.
- (238) محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي، نظام الحكومة النبوية
المسمى التراتيب الإدارية، تحقيق عبد الله الخالدي، ط2، دار الأرقم بن أبي الأرقم،
بيروت - لبنان، 1346هـ.
- (239) محمد عبد الستار التونسي، بطلان عقائد الشيعة، د.ط، المكتبة الإمدادية،
مكة المكرمة، دار النشر الإسلامية العالمية، باكستان، 1403هـ.
- (240) محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، ط1، دار الفكر
دمشق، 1986هـ/1967م، ط2، 1391هـ/1971م.
- (241) محمد فهمي عبد الباقي، محاضرات في تاريخ مصر البطلمية، د.ط، مدونة
نهضة العرب، مصر، 2011م.
- (242) محمد متولي الشعراوي، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل،
د.ط، دار الندوة، الإسكندرية، د.ت.
- (243) محمد متولي الشعراوي، قصص الأنبياء وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،
نشر حسن محمود، عناية إبراهيم عبد الستار علي وآخرون، ط1، دار القدس،
القاهرة، 1426هـ/2006م.
- (244) محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ط1، عين للدراسات والبحوث
الإنسانية والاجتماعية، مصر - 1998م.
- (245) محمود رزق سالم، الأدب العربي وتاريخه، دار الكتاب العربي، مصر-
1377هـ/1957م.

- (246) محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تصحيح محمّد بهجة الأثري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1314هـ.
- (247) محمود شكري الألوسي وآخرين، مختصر التحفة الإثني عشرة، د.ط، المطبعة السلفية، القاهرة، 1373هـ.
- (248) محمود محمّد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1979م.
- (249) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م.
- (250) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمّد شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكة الكليسي، ج2، د.ط، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- (251) مفيد عرنوق، صرح ومهد الحضارة السومرية، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1999م.
- (252) مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1412هـ/1992م.
- (253) مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1412هـ/1992م.
- (254) محمّد البشير ظافر الأزهرى، اليواقيت الثمينة في أعيان عالم المدنية، د.ط، مطبعة الملاجئ العباسية، مصر، 1324هـ.
- (255) هـ. أر. جب، علم التاريخ، ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد وآخرون، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971م.
- (256) نجدت حمّاش، الشام في صدر الإسلام، ط1، دار طلاس، دمشق، 1987م.
- (257) نعمان قساطلي، الروضة الغناء في تاريخ دمشق الفيحاء، ج2، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، 1406هـ/1982م.
- (258) نور الدين علي جمعة، النبي صلى الله عليه وسلم، ط2، الوابل الطيب، القاهرة، 1430هـ/2009م.

- (259) يسري عبد الغني عبد الله، معجم المؤرخين المسلمين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م.
- هـ_الموسوعات والمجلات والدوريات والندوات
- (260) عبد المؤمن الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرّشاد، القاهرة، 1413هـ/1993م.
- (261) المجلس الأعلى للغة العربية الفصحى وعامّياتها، الندوة الدولية ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 04 ، 05 جوان 2007م.
- (262) مجلة المعرفة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، جامعة بيروت الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، 1401هـ/1981م.
- (263) مجلة جامعة سبها، قسم التاريخ، كلية الآداب، ، المجلّد السادس، العدد الثالث، 2007م.
- (264) موسوعة حضارة العراق، د.ط، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985م/1406هـ.
- و_الرسائل الجامعية
- (265) ربيع عولمي، مكّة ودورها الثقافي والديني في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير في تاريخ الحضارات القديمة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 1428 - 1429هـ/2007، 2008م.
- (266) ربيع عولمي، الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير في تاريخ الحضارات القديمة، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية، 1428-1429هـ/2007-2008م.
- (267) رامي عبد الحكيم قاسم البغدادي، أفراد القوات المسلحة في عهد الملك حمورابي، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، كلية الآداب - جامعة الموصل، 1427هـ/2006م.

ز- المصادر الأجنبية:

- 268) Hichem Djatt, la personnalité et la devenir arabo-islamique, édition du deuil, paris, 1974.
- 269) Edouard Perroy, histoire générale des civilisations- l'expansion de l'orient et de la naissance de la civilisation occidentale, volume 3, presses universitaires de France, paris, 1967.
- 270) Amar Dhina, grand tournants de l'histoire de l'islam, 2^{eme} édition SNED, Alger, 1982.
- 271) Aicha Kassoule, devoir d'histoire et pouvoir d'écriture, préface S.REZZOUG, O.P.U, Alger, 1986.
- 272) MOHAMED Adnan et des autres, introduction-histoire de l'humanité, volume IV, édition UNESCO, paris, 2008.



الفهارس العامة

السورة	الآية الكريمة	الرقم	الصفحة
آل عمران	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾	105	20
البقرة	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	135	39 – 38
الجاثية	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾	24	42
النمل	﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَمِينٍ﴾	22	53
النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾	134	79
الفرقان	﴿اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	05	85
العلق	﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾	5-1	86
القلم	﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	01	86
الأنعام	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾	124	93
التوبة	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	128	94
الصف	﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾	06	95
آل عمران	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾	81	95
الفتح	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾	01	95
المدثر	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبُّكَ فَكْبَرُ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5)﴾	5-1	96

96	163	﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾	النساء
97	01	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	الإسراء
100	199	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾	الأعراف
101	69	﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾	المومنين
101	31	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾	آل عمران
107_106	3-1	﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ... وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾	يوسف
107	53	﴿ سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	فصلت
159	18	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾	الزمر
163	63	﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	النور
164	55	﴿ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ ﴾	الكهف
166	21	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	الأحزاب
166	62	﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾	النور
168	128	﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾	البقرة
169	82	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾	طه
169	106	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾	آل عمران
170	53	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ.. فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾	الأنعام
170	31	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾	آل عمران

		دُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٣﴾	
171	103	﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	آل عمران
171	55	﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	الزمر
172	29	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾	ص
174	69	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	العنكبوت
175	107	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	الأنبياء
175	-151 152	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ... وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾	البقرة
175	-117 118	﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾	التوبة
175	-17 18	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾	الفتح
175	100	﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾	التوبة
176_175	23	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا... وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾	الزمر
176	-23 24	﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ.. غَفُورًا رَحِيمًا﴾	الأحزاب
176	59	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾	النمل
180	02	﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾	الطلاق
180	282	﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾	البقرة
181	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	آل عمران

183	06	﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾	سبأ
185	10	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	الحشر
185	110	﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾	الكهف
187	-07 10	﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾	الحشر
187	29	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾	الفتح
191	06	﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾	الأحزاب
191	32	﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾	الأحزاب
192	33	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	الأحزاب
193	34	﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾	الأحزاب
199	100	﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	التوبة
200	03	﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	الجمعة
201	10	﴿: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	الحشر
212	120	﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	هود
212	5-4	﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ﴾	القمر
214	07	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾	الحشر
215	44	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ	النحل

		يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠٠﴾	
217	04	﴿ أَوْ أَنَارَةٍ مِنْ عَلَمٍ ﴾	الأحقاف
220	100	﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾	التوبة
220	04	﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾	الجمعة
246_245	07	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾	آل عمران
276	34	﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾	آل عمران
276	71	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾	التوبة
276	67	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾	التوبة
285	16	﴿ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾	الفتح
287	54	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾	المائدة

الصفحة	الراوي	الحديث
20	سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه.	«مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمِيتَتْهُ جَاهِلِيَّةٌ»
21	سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه.	«افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ... وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»
50	الإمام البخاري ومسلم رحمهما الله.	«مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنُوءٍ كَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»
77	سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه.	«كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»
77	السيدة عائشة رضي الله عنها.	«أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»
79	الإمام البخاري رحمه الله.	«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»
81-80	سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.	«كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى... هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»
85	سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.	«مَنْ نَظَرَ إِلَى كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ»
96	سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه.	«إِنِّي جَاوَرْتُ بَحْرَاءَ شَهْرًا...»
100	سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه.	«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ»
164	سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.	«أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا... إِلَّا دَخَلَهُ»
165	سيدنا عبد الله بن جرير رضي الله عنه.	«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً... أَوْزَارَهُمْ شَيْءٌ»

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

167	سَيِّدنا أنس رضي الله عنه	«إِنَّ اللهَ لَن يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»
-169 170	سَيِّدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.	«إِنْ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ... هَدَى اللهُ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»
181	سَيِّدنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه	«لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي... وَلَا نَصِيفَهُ»
181	سَيِّدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه	«النَّجُومُ أَمَنَةُ السَّمَاءِ... أُمَّتِي مَا يُوْعَدُونَ»
197	سَيِّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه	«إِنَّ اللهَ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ أَصْحَابِي...»
190 198	سَيِّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه	«دَعُوا لِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي، فَمَنْ سَبَّهَمْ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»
211	سَيِّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	«نَضَرَ اللهُ... أَفْقَهُ مِنْهُ»
214	سَيِّدنا أبو بكره رضي الله عنه	«فَلْيَبْلِغِ الْغَائِبُ الشَّاهِدَ الْغَائِبُ»
215	سَيِّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه	«لَا تَقْرَأْهُ حَتَّى تَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا»
216	سَيِّدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه	«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...»
216	سَيِّدنا أبو هريرة رضي الله عنه.	«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»
219	سَيِّدنا أبي الدرداء رضي الله عنه	«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...»
238	سَيِّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.	«اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»

243	سَيِّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.	«أنا مدينة العلم وعلي بابها»
246	السيدة عائشة رضي الله عنها.	«إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْقُرْآنِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»
247	سَيِّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه	«الأئمة من قريش»
248	محمد ابن شهاب الزهري	«قَدِّمُوا قَرِيشًا وَلَا تَقَدِّمُوهَا»

160 - 93	سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم
119	أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه
227	أحمد بن محمّد ابن خلكان
288	الأحنف بن قيس الأمير
41	إساف ونائلة
54	استرابون
64	الإسكندر المقدوني
258	إسماعيل بن سميع
88	الأصمعيّ
288	إيّاس بن معاوية
251	أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه
45	بظلميوس
282	البغطوريّ الخارجيّ
99-98	البوصيريّ
283 ، 256	جابر بن زيد الأزديّ أبو الشعثاء
103	الجزيريّ
262	حفص بن عبد العزيز الدوريّ
241	حماد بن زيد
205	حمّاد بن سلمة
138	الحماميّ الأمير
68	حمورابي
283	حيان الأعرج
235	خالد بن عبد الله القسريّ

128	خير الإشبيلي محمد ابن
286	ابن داب الوضّاع
126	الداروردي
284	الدرجينيّ الخارجيّ
120	الدوّلي أبو الأسود
96	الرّبيع بن خُثيم
251	الزبير بن عوام رضي الله عنه
248	زرقان المعتزلي
288	أبو زكريا الخارجيّ
234	زياد بن أبي زياد. أبو الجارود
39	زيد بن عمرو بن نفيل
256	سحنون بن سعيد التتوخيّ الأمام
247	سعد بن عبادة رضي الله عنه
232	سعيد الشاميّ ابن
169	سعيد بن جبير
183	سعيد بن زيد رضي الله عنه
120	ابن سيّد النّاس اليعمريّ
243	سيّدنا شيث عليه الصلاة والسلام
103	شعيب أبو مدين
206	شقيق البلخيّ
262	صالح الدهان المعتزليّ
282	صحّار بن عبّاس العبديّ رضي الله عنه
225	الصنعاني الشيعي
107	الضحّاك الهلالي
251	طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

226	عبد الجبار البصري
283	عبد الرحمن بن رستم الخارجي
261	عبد الله بن أحمد بن حنبل
260	عبد الله بن القاسم أبو عبدة
121	عبد الله بن ذكوان أبو الزناد
235	عبد الله بن عدي. أبو أحمد
252	عبد الله بن لهيعة
252	عبد الله بن يزيد المقرئ
227	عبيد الله الشيعي
188	عبيد الله بن عبد الكريم أبو زُرعة الرازي
58	عبيد بن شريّة الجرهمي
119	عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنه
257	عكرمة
202	عليّ بن الحسين زين العابدين
189	عليّ بن محمّد أبو الحسن القابسيّ
228	عليّ بن محمّد. أبو الحسن القابسيّ
261	عمارة بن حيان
197	عمر بن عبد العزيز
249	عمر بن عبد العزيز
281	عمران بن حطان الخارجي
257	عمرو بن دينار
121	عمرو بن دينار البصريّ
240	إبن أبي العوجاء الرافضيّ
241	إبن القاسم الطائكانيّ
279	القاضي النّعمان الشيعيّ

57	كعب الأحبار
274	الكليني الشيعي
44	كورش
281	اللواتي الخارجي
281	ماكسن الجرامي الوسياني الخارجي
257	مجاهد
129	محمدّ الجوهري
262	محمدّ بن أحمد الدولابي
233	محمدّ بن الحنفية
226	محمدّ بن الطيب الباقلاني. أبو بكر
120	محمدّ بن شهاب الزهري
143	محيي الدين بن عربي
241	المختار بن عبيد الثقفي
278	المسعودي الشيعي
202	مصعب بن سعد بن أبي وقاص
198	المعافي بن عمران
260	معتمر بن سليمان
232	المغيرة بن سعيد الكوفي
183	المغيرة بن شعبة
43	نبوخذنصر
165	نصيب الأصغر
264	نفيع أبو بكرة رضي الله عنه
236	هشام بن الحكم الرافضي
259	هند بنت المهلب بن أبي صفرة
273	الورجلاني الخارجي

281	الوسيانى الخارجى
58	وهب بن منبه
277	اليعقوبى الشيعى

111	الأخباريون
28	أصحاب الحديث
238	الإمامية
35	الأنباط
236	الأئمة
237	الباطنية
28	البكرية
285	بنو حنيفة
228	التتار
74	تميم
38	ثمود
149	الثوبانية
50	جرهم
224	الجهابذة
24	الجهمية
28	الحسينية
38	الحنيفية
230	الخطابية
22	الخوارج
24	الروافض
135	السلف
173	السلف الصالح
168	السواد

168	الشِرْذمة
85	الشُعوبِيَّة
27	الشيعة
174	الصوفيَّة
27	الضِرارية
37	عاد
289	العزّابة
227	العلويّة
255	الغسانية
49	القّافة
22	القدريّة
74	قيس
244	الكاملية
225	كتامة
28	الكلابيّة
49	الكهنة
25	المجسّمة
22	المجوس
111	المُحدّثون
22	المرجئة
45	المُزدكيّة
25	المُشبّهة
27	المعتزلة
230	المُغبريّة
230	المنصوريّة

24	النَّجارية
249	النَّجَدات
40	اليهودية

61	الأبلة
51	الأخشبان
60	أوغاريت
47	أيلة
108	بُصرى
285	تاهرت
50	تهامة
43	تيماء
235	جيلة
62	حران
54	حضر موت
286	حُنين
247	السقيفة
155	السند
47	الفسطاط
47	القلزم
283	نفوسة
23	النَّهروان
61	نينوى
65	هيت
286	اليمامة

فهرس الموضوعات

شكر

إهداء

مقدمة.....أ.

مدخل.....20.

الفصل الأول: الكتابة التاريخية في حضارة العرب القديمة.....32.

أولاً: علم التاريخ عند العرب القدامى.....34.

1_ أصول التراث التاريخي عند العرب القدامى.....34.

2_ أثر الديانات القديمة على التدوين التاريخي عند العرب.....38.

3_ علاقات العرب بالحضارات الأخرى.....42.

ثانياً: تدوين التاريخ عند العرب القدامى.....47.

1_ كتابة التاريخ وحفظه في جزيرة العرب.....47.

2_ الكتابة التاريخية عند عرب جنوب الجزيرة.....53.

3_ التورخ في بلاد العرب شمال الجزيرة.....59.

ثالثاً: الكتابة في علم التاريخ عند العرب المسلمين الأوائل.....75.

1_ علم التاريخ وشروط المؤرخ.....75.

2_ شرف علم التاريخ.....80.

3_ محلّ وموضوع الكتابة التاريخية.....86

الفصل الثاني: تجلّيات الكتابة التاريخية عند المسلمين.....91

أولاً: صلة علم التاريخ بشخص سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.....93

1_ صفات سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.....93

2_ شمائله ومعجزاته صلى الله عليه وسلم.....95

3_ نبوءات سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم.....106

ثانياً: سيرة ومغازي سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.....110

1_ السيرة العطرة لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.....110

2_ مغازي سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.....114

3_ أصول التدوين في المغازي والسيرة والشمائل الشريفة.....117

4_ مؤلّفات المسلمين في السيرة النبويّة الشريفة.....126

5_ كتب شمائل ودلائل النبوة والموالد الشريفة.....137

ثالثاً: مؤلّفات تاريخ مكّة والمدينة المشرفتين وكتب السيرة العامة.....148

1_ كتب تاريخ المدينة المنورة.....148

2_ مؤلّفات تاريخ مكّة المكرمة.....151

3_ كتب التاريخ العامة في السيرة النبويّة الشريفة.....153

4_ كتب السيرة الأدبيّة.....157

الفصل الثالث: أصول وقواعد الكتابة التاريخية عند أهل السنّة والجماعة..161

أولاً: التّأصيل التاريخي لأهل السنّة والجماعة.....163

1_ التعريف اللَّغوي والاصطلاحي.....163

2_ تسمية وظهور أهل السنّة والجماعة.....168

3_ الرّعيّل الأوّل من أهل السنّة والجماعة.....175

ثانياً: صدق وعدالة أهل السنّة والجماعة في الرواية.....180

1_ عدالة صحابة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم.....180

2_ عدالة آل بيت سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم.....190

3_ عدالة التابعين من أهل السنّة والجماعة.....194

ثالثاً: علم السّنَد ومكانته من علم التاريخ.....207

1_ تعريف السّنَد لغة واصطلاحاً.....207

2_ سند الرواية وعلاقته بالكتابة التاريخية.....211

3_ حفظ السند بين طبقات أهل السنّة والجماعة.....217

الفصل الرابع: مناهج الكتابة التاريخية عند الشيعة والخوارج.....222

أولاً: تاريخ ظهور فرق الشيعة ومزاعمها.....224

1_	الظهور التاريخي لفرق الشيعة.....	224
2_	مزايم الشيعة في الأصول التاريخية.....	229
3_	منهج الشيعة في الرواية التاريخية.....	238
ثانيا: منهج الخوارج في التدوين التاريخي.....		
1_	طعون الخوارج في أصول التاريخ الإسلامي.....	245
2_	الرواية التاريخية عند الخوارج.....	251
3_	الأغاليط المذهبية التاريخية عند الخوارج.....	256
ثالثا: منهج الشيعة والخوارج في المسانيد والمؤلفات التاريخية.....		
1_	مغالطات الشيعة والخوارج في السند والتاريخ.....	268
1_1	مغالطات الشيعة.....	268
1_2	مغالطات الخوارج.....	271
2_	أشهر المؤرخين الشيعة ومناهجهم في الكتابة التاريخية.....	274
3_	مسانيد الخوارج ومنهجهم في التأليف التاريخي.....	281
خاتمة.....		291
الملاحق.....		297
قائمة المصادر والمراجع.....		306
الفهارس العامة.....		337

338.....	فهرس الآيات الكرىمات.
343.....	فهرس الأحادىث الشرىفة.
346.....	فهرس الأعلام البشرىة المترجمىن.
351.....	فهرس الأمم والقباىل والفرق والجماعات.
354.....	فهرس الأعلام الجغرافىة المعرّفة.
355.....	فهرس الموضوعات.

مُلَخَّص

الحديث على الفرق الإسلامية والتأريخ لها يكتسي نوعا من الخصوصية والاستثناء في تاريخ المسلمين عموما سيما في القرون الأولى وما عرفته هذه الحقبة من ظهور لهذه الفرق المختلفة من ناحية المشارب والمآرب، وانعكاس ذلك على أهل القرون المتوالية، حيث لم يخلو عصر من تداعيات الافتراق الذي أصاب الأمة الإسلامية منذ عصرها الأول إثر وفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبرز ذلك جلياً في آخر عهد الخلافة الراشدة؛ فكان السواد الأعظم من المسلمين من أهل السنة والجماعة، وبرزت إلى الوجود فرق أخرى منها الشيعة والخوارج، وهاتين الفرقتين الأخيرتين عمَلتا على نشر معتقداتهما ومقالتيهما ومحاولة إقناع العامة بشتى الطرق للاعتراف بها وتصحيح مذهبيهما، وعمَدَت في ذلك إلى تأويل نصوص القرآن الكريم، ووضع الحديث النبوي الشريف، واختلاق الأسانيد والرواة، لكن الله قيض لهذا الدين والعلم والتاريخ من يحميه من التأويل الفاسد والتحريف والغلو، عن طريق الجهابذة الذين جمعوا بين مختلف العلوم.

Summary

Talking about Islamic trends and writing their history is very specific within general history of Muslims. This specificity went back to early centuries when these trends were founded with different doctrines. However, these differences had impacted peoples of followed centuries. Moreover, outcomes of separation among Muslims remarkably marked each period, starting from the first period followed the death of OUR MISTER MOHAMMUD (PBUH). The differences of Muslims' doctrines appeared clearly at the end of the rule of Rightly Guided Caliphate where the great majority of Muslims were Sunni, but in the same while appeared two other trends : Shia and Kharijites. These two trends worked on spreading their believes and tried to convince people about them. Shia and Kharijite tried intentionally to make their own interpretation of texts of the holly Quran, and put away Hadith of the Prophet (PBUH). Further, they created their own bonds and narrators, butnevertheless, Allah has protectec Islam and its history from any twist by great muslim scholars.

